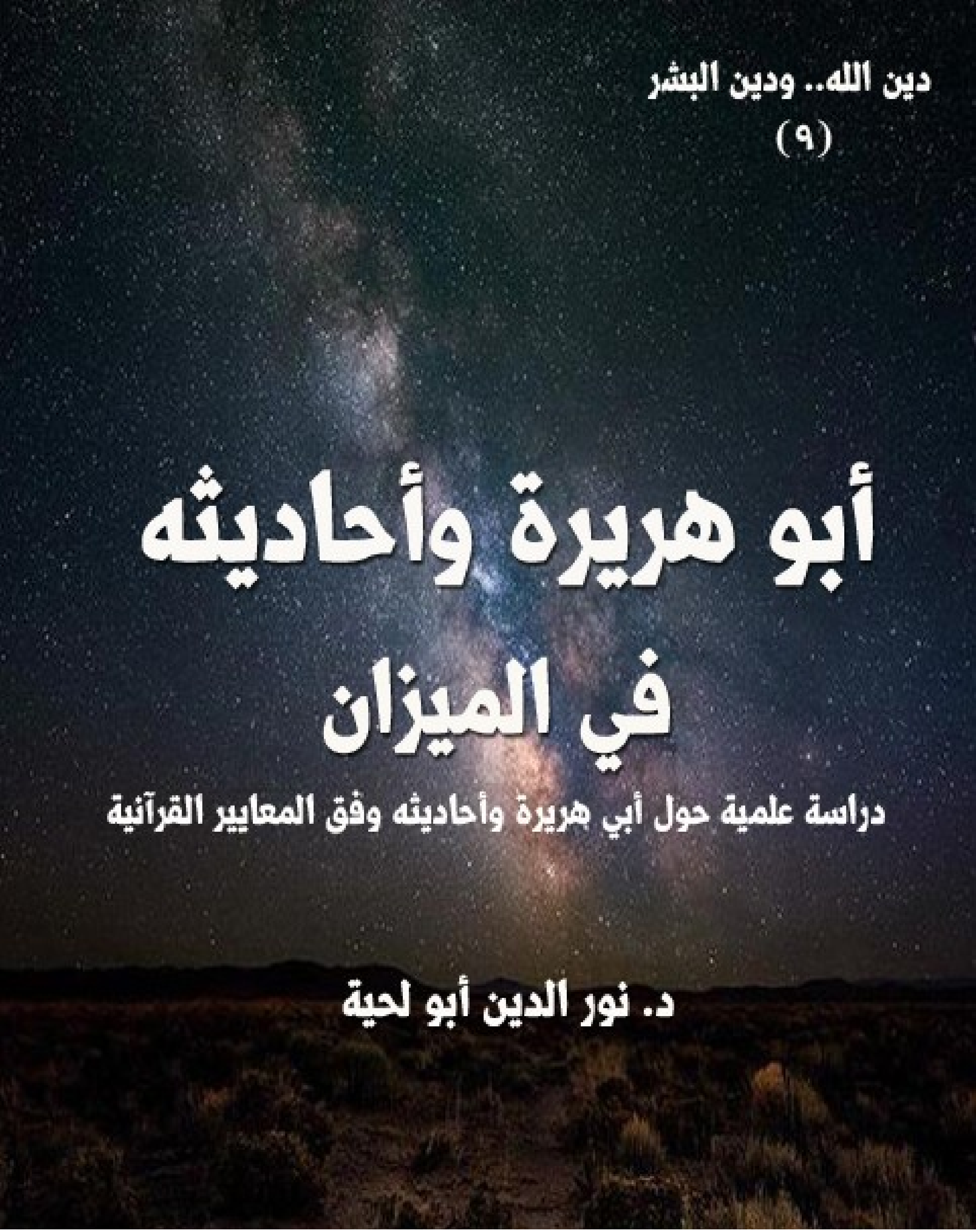


دين الله.. ودين البشر

(٩)

أبو هريرة وأحاديثه في الميزان

دراسة علمية حول أبي هريرة وأحاديثه وفق المعايير القرآنية

د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

لا نريد من خلال هذا البحث رمي أحاديث أبي هريرة، ولا طرحها، ولا تكذيبها جميعا، وإنما ندعو إلى تمحيصها حتى نميز السم عن العسل، والصدق عن الكذب، والإلهي عن البشري، والمقدس عن المدنس.

ذلك أن الكثير من الروايات التي رواها أبو هريرة نجدها مروية من طرق غيره من الصحابة، بل نجدها عند الشيعة أو غيرهم من فرق المسلمين بأسانيدهم الخاصة بهم.

لكن غيرها، وخاصة مما اختص به، نحتاج فيه إلى تحقيق كبير، ذلك أن أبا هريرة لم يكن من الصحابة السابقين، ولا من الذين اكتفوا بالتلمذة على رسول الله ﷺ.. بل كان تلميذا نجيبا لغيره، وخاصة لكعب الأحبار، ولذلك اختلطت ــ باتفاق العلماء والمحدثين ــ أحاديثه التي رواها عن كعب بأحاديثه التي رواها عن رسول الله ﷺ، وكان له فوق ذلك اجتهاداته في بعض روايات الحديث، حيث كان يروي الحديث، ثم يضيف له بعض الإضافات التي يسميها العلماء إدراجا، ويعبر عنها هو بأنها من كيسه..

دين الله .. ودين البشر

(9)

أبو هريرة وأحاديثه في الميزان

دراسة علمية حول أبي هريرة وأحاديثه وفق المعايير القرآنية

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1436 – 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة

على الرغم من الحساسية الكبيرة التي يشكلها الحديث عن أبي هريرة إلا أنه لا مناص لنا من ذلك، ليس باعتباره شخصا محبوبا ومقربا من المدرسة السلفية في جميع عصورها فقط، وإنما باعتباره مصدرا للكثير من العقائد والمفاهيم والقيم التي نسبت للإسلام، ولذلك نحتاج إلى التأكد من سلامة المصدر حتى نحقق النسبة، فالإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وأحب أن أنبه أولئك المستعجلين الذين لا تتسع صدورهم لأمثال هذه الأحاديث، أنني لا أضع أبا هريرة ومعاوية في سلة واحدة.. فشتان بينهما.. فمعاوية رأس الفتنة، ورئيس الفئة الباغية، وفرعون هذه الأمة.. أما أبو هريرة فليس سوى إنسان بسيط، صحب رسول الله ﷺ فترة قصيرة من الزمن، وكانت فيه بعض الصفات التي جعلته مقربا ومرضيا عنه من طرف معاوية والفئة الباغية معه.. ولذلك مكنوه من الكثير من الصلاحيات، وأتاحوا له الكثير من التلاميذ والرواة، لا ليمرروا مشروعهم الانقلابي فقط، وإنما ليظهروا بمظهر ديني يتيح لهم أن يطيعهم الناس طواعية بعد أن أطاعوهم قهرا.

ولذلك، فإن أحاديثه، أو الروايات التي رواها لا يصح إقصاؤها، ولا رفضها جميعا، فلا يمكن لأحد من الناس أن يسقي الناس سما دون أن يخلطه بالعسل، أو أن يصدق الناس كذباته دون أن يكون فيها بعض الصدق أو الكثير من الصدق.

ولذلك لا نريد من خلال هذا البحث رمي أحاديث أبي هريرة، ولا طرحها، ولا تكذيبها جميعا، وإنما ندعو إلى تمحيصها حتى نميز السم عن العسل، والصدق عن الكذب، والإلهي عن البشري، والمقدس عن المدنس.

ذلك أن الكثير من الروايات التي رواها أبو هريرة نجدها مروية من طرق غيره من الصحابة، بل نجدها عند الشيعة أو غيرهم من فرق المسلمين بأسانيدهم الخاصة بهم.

لكن غيرها، وخاصة مما اختص به، نحتاج فيه إلى تحقيق كبير، ذلك أن أبا هريرة لم يكن من الصحابة السابقين، ولا من الذين اكتفوا بالتلمذة على رسول الله ﷺ.. بل كان تلميذا نجيبا لغيره، وخاصة لكعب الأحبار، ولذلك اختلطت ــ باتفاق العلماء والمحدثين ـ أحاديثه التي رواها عن كعب بأحاديثه التي رواها عن رسول الله ﷺ، وكان له فوق ذلك اجتهاداته في بعض روايات الحديث، حيث كان يروي الحديث، ثم يضيف له بعض الإضافات التي يسميها العلماء إدراجا، ويعبر عنها هو بأنها من كيسه..

ولهذا كله نحتاج إلى التحقيق في أبي هريرة باعتباره إماما من أئمة السلفية لوثوقهم فيه ثقة مطلقة، ودفاعهم عنه دفاعا شديد، حتى أنهم يعتبرون الطاعن فيه أو الناقد له ناقدا للسنة نفسها.

ولذلك ثارت حميتهم على كل من دعا إلى مراجعة رواياته، وأقاموا عليه القيامة، وألفوا في الرد العاطفي عليه الكتب الكثيرة المشحونة بأصناف التكفير والتضليل والتبديع.

ولعل الشيخ العلامة المحقق محمود أبو رية ــ وهو عالم من علماء الأزهر الكبار ـ أكبر من تعرض للأذى بسبب دعوته إلى التحقيق في أحاديث أبي هريرة في كتابيه المهمين والجديرين بالدراسة [أضواء على السنة المحمدية]، و[شيخ المضيرة]، والذي قال في مقدمته مشيرا إلى تلك المواجهة الشديدة التي تلقاها بسبب أطروحاته العلمية فيهما: (فإن بعض من أصيبوا بالحشوية والجمود قابلونا بالشتم القاذع، والسب الوضيع فلم نلتفت إليهم، وتركناهم في ضلالهم يعمهون. ولو أن هذه الفئة قد التزمت معنا الطريق السوى، الذى يقضى به النقد العلمي النزيه، لقابلناهم مسرورين ولنازلناهم فرحين، ولكنها ارتطمت في حمأة السباب، وزاغت عن سبيل الصواب، فلذلك سقط معها الخطاب. ولقد كان أكثر ما نالنا من شتم الشاتمين، وقذف القاذفين، مرده إلى ما بيناه من تاريخ (أبى هريرة) وما أظهرناه في هذا التاريخ من حقائق مذهلة لم تكن

معروفة لهم من قبل، فصدموا بها، ودهشوا لها، وكادوا منها يصعقون ! ولم يلبثوا أن هبوا ليخففوا عنهم ما أصابهم من هول الصدمة، فلم يجدوا غير الوسيلة التى يحسنونها، فأطلقوا ألسنتهم بسبنا، وشهروا أقلامهم لشتمنا) [1]

وقد ذكر الشيخ الكتب التي ألفت في الرد عليه في تلك الفترة القصيرة التي تلت صدور الكتابين، فذكر أنها بلغت (خمسة عشر كتابا، في مصر، والحجاز والشام. هذا عدا جميع المجلات التى تتجر بالدين في بلاد المسلمين، ولا نعلم ماذا سيظهر غدا)

وقد أضيف إلى تلك الكتب التي ألفت في عصره عشرات الكتب التي ألفها أبناء المدرسة السلفية في تكفيره وتضليله[2]، واعتباره رأسا من رؤوس الطاعنين في السنة، ولو أنهم فقهوا عنه، وحققوا فيما ذكره لاعتبروه جنديا أو رأسا من رؤوس تحرير السنة من الدجل والخرافة والضلالة.

وهكذا كان حالهم مع كل من يذكر أبا هريرة، أو يشكك في بعض رواياته من أمثال شيخنا الجليل العلامة محمد الغزالي في كتابه العظيم [السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث]، والذي لم يكن يقل في تحرره من كتابي الشيخ محمود أبو رية.

وقد لقي الشيخ محمد الغزالي نفس ما لقيه الشيخ محمود أبو رية، وألفت في الرد عليه، وتبديعه وتضليله، واعتباره رأسا من رؤوس الطاعنين في السنة الكتب والمقالات الكثيرة.

وهكذا يتعرض كل من يدعو إلى التحقيق وإعادة النظر

---

1) شيخ المضيرة، ص8.

2) من الكتب المؤلفة حول أبي هريرة والدفاع عنه ما كتبه الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه (دفاعٌ عن السنة)، والدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنةُ ومكانتها في التشريع الإسلامي)، والدكتور محمد أبو زهو في كتابه (الحديثُ والمحدثون)، والأستاذ محمد عجاج الخطيب في كتابه (أبو هريرة راوية الإسلام).. والأستاذُ عبد المنعم صالح العلي العزّي، في كتابه (دفاعٌ عن أبي هريرة)، وغيرُهم أمثال: الدكتور محمد السماحي، والشيخ عبدِ الرحمن العلمي اليماني مديرِ مكتبة الحرم المكي، والشيخِ محمد عبد الرزاق حمزة مديرِ دار الحديث بمكة المكرمة..

فيما ينسب لرسول الله ﷺ من أحاديث قد تنحرف بالدين انحرافا شديدا.

ولكن لا مناص من أن نسير على خطى أولئك الصادقين المحققين، وإن كنا نعلم أن مصيرنا لن يقل عن مصيرهم، فضريبة التواصي بالحق ــ كما يذكر القرآن الكريم ــ هي التواصي بالصبر.. وليس هناك من دعا لحق، وسكت عنه.

فالشيطان لا يسمح لأحد من الناس بأن يواجه مشروعه القائم على تحول الدين إلى دجل وخرافة وضلالة وعنف وإرهاب.

وهو بسبب يأسه من تحريف القرآن الكريم راح إلى الرواة والروايات يستعملهم لينسخ بهم حقائق القرآن، وليوقع البشرية في دينه الممتلئ بالدجل.

ولذلك فإن بحثنا عن أبي هريرة، لا علاقة له بكونه صحابيا أو غير صحابي، ولا بكونه من أهل الجنة أو من غير أهلها، وإنما حديثنا عنه مرتبط برواياته، لتمييز المقبول منها مما وافق القرآن الكريم، ورفض ما عداه من الذي أملاه أبو هريرة من كيسه أو من كيس كعب الأحبار وغيره من اليهود.

وقد قسمنا بحثنا ـ بحسب العنوان ـ إلى قسمين:

الفصل الأول: حول مفاتيح شخصية أبي هريرة، باعتباره راوية، يخضع لكل ما يقتضيه الجرح والتعديل من أحكام، وقد حاولنا من خلال استعراض رواياته عن نفسه أن نتعرف على طبيعته وشخصيته، ومدى أثرها في رواياته.

الفصل الثاني: حول روايات أبي هريرة، وأصنافها والانتقادات الموجهة لها.

الفصل الأول
مفاتيح شخصية أبي هريرة

حتى نكون صادقين مع أنفسنا، ومع الواقع، وحتى لا نحمل أبا هريرة ما لا يحتمل، فإن شخصية أبي هريرة من خلال الروايات التي حدث بها عن نفسه، ومن خلال ما ذكر المؤرخون عنه، تدل على أنه لم يتتلمذ التلمذة الكافية على يدي رسول الله ﷺ.. فهو لم يدخل دار زيد بن الأرقم، حيث كان السابقون من الصحابة يتخفون عن أعين المشركين ليتلقوا تلك التربية الخاصة على يدي رسول الله ﷺ.

وهو كذلك لم تشمله تلك الأحكام المتشددة المرتبطة بالصحابة السابقين من وجوب قيام الليل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: 20]

وهو كذلك لم توضع على صدره الصخرة التي وضعت على صدر بلال، وهو ينادي بكل شجاعة: أحد أحد.

وهو لم يكو بالحديد كما كوي خباب، ولا سملت عينه كما سملت عين زنيرة، ولا ذاق طعم الحصار الذي حوصر به رسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار في الشعب، حتى ماتت خديجة وأبو طالب، بل استشهدا في سبيل الله.

وهو لم يهاجر إلى الحبشة هاربا بدينه كما هرب جعفر بن أبي طالب ومن معه من الصحابة.

وهو ـ عندما ذهب المسلمون إلى المدينة ــ لم يشاركهم في أي غزوة من الغزوات، لا في بدر ولا في أحد ولا في

الأحزاب..

هـو لم يفعـل كـل ذلـك على الـرغم من أنـه ــ كمـا تـدل الروايـات الكثـيرة الصـحيحة ــ سـمع برسـول اللـه ﷺ، وعلم بالإسلام، ومع ذلك لم يسـلم حـتى انتشـرت بين قبائـل العـرب انتصارات المسلمين، وصـارت لهم الفتـوح الكثـيرة الـتي ملأت القلوب طمعا فيهم.

كمـا أشـار إلى ذلـك قولـه تعـالى عنـد ذكـره لموقـف المنافقين ومرضى القلوب يوم الأحـزاب: ﴿يَحْسَـبُونَ الْأَحْـزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَـوَدُّوا لَـوْ أَنَّهُمْ بَـادُونَ فِي الْأَعْـرَابِ يَسْـأَلُونَ عَنْ أَنْبَـائِكُمْ وَلَـوْ كَـانُوا فِيكُمْ مَـا قَـاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 20]، فهذه الآية الكريمة تشـير إلى أن كـل الجزيـرة العربية كانت تسـمع أخبـار رسـول اللـه ﷺ مـع قومـه، وتنتظـر النتيجة.

وعندما صارت النتيجة في صالح الإسلام، وذلـك بعـد صـلح الحديبيـة الـذي سـماه اللـه فتحـا، بـل فتحـا مبينـا، وانتصـر المسلمون في خيـبر الممتلئـة بـالثروات، بـدأت الوفـود تتوافـد رغبة ورهبة.. رغبة في أن تنال من تلـك المكاسـب، ورهبـة من أن تصل إليها جيوش المسلمين.

وكان من بين تلك الوفود وفود اليمن.. وكان من بينهم أبـو هريرة.

وقد ورد في الروايـات الصـحيحة مـا يـدل على أن الأخبـار كانت تصـله عن غـزوات المسـلمين مـع المشـركين، ولكن مـع ذلك لم يحضر لنصـرة المسـلمين، ومنهـا مـا رواه البخـاري عن عنبسـة بن سـعيد: أن أبـا هريـرة أتى رسـول اللـه ﷺ وسـأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص: لا تعطــه، فقال أبو هريرة: (هذا قاتـل ابن قوقـل) فقـال: (واعجبـا لـو بـر

تدلى من قدوم الضـأل[1] تنعي على امـرءا أكرمـه اللـه بيـدي، ومنعه أن يهينني بيده؟)[2]

فهذا الحديث الخطير ينبئ عن معـاني كثـيرة في شخصـية أبي هريـرة، وأولهـا، وأخطرهـا أنـه كـان يسـمع بالإسـلام وبمـا يتعرض له المسلمون من صنوف الأذى، ولكنه لم يحضر ــ كمـا فعل الكثير من الصادقين من أمثال أبي ذر وغيره ـ حتى فتحت خيبر، فجاء يطالب بقسمة له فيها.

ومن الملاحظ أن رسول الله ﷺ لم يـدافع عن أبي هريـرة في وجه ذلك الصحابي الذي راح يطعن فيه، كما فعل مع غــيره من الصحابة، وهذا له دلالتـه الخاصـة، الـتي سـنعرفها من خلال هذه المفاتيح التي نحاول من خلالها التعـرف على شخصـية أبي هريرة في جانبها النفسي وأثرها عليها في جانبها الروائي.

ومن أهم ما قد يعذر أبـا هريـرة في كـل مـا سـنذكره هـو قصر المدة التي صحب فيها رسول الله ﷺ، والتي لم تصل إلى السنتين، لأن رسول الله ﷺ كـان قـد أرسـله إلى البحـرين بعـد فترة وجيزة من صحبته له.

بالإضافة إلى أن فترة صحبته له كانت مزدحمــة بالأحــداث كفتح مكــة والغــزوات المختلفــة الــتي تلتهــا، كحــنين وتبــوك والطائف وغيرها، بالإضافة إلى حجة الوداع.. وهي جميعا مما لا تتيح لـه التفـرغ والجلـوس لرسـول اللـه ﷺ مثلمـا كـان يجلس السابقون في مكة المكرمة، والذين تفـرغ لهم رسـول اللـه ﷺ تفرغا تاما.

وفترة التلمـذة - كمـا هـو معلـوم - لهـا تأثيرهـا الكبـير في شخصـية التلميـذ، فليس من اكتفى بالمدرسـة الابتدائيـة، كمن

---

1) قال ابن بطال في شرحه للحديث: (واعجبًا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن) وقد روى من رأس ضأن، فمن رواه لوبر بفتح البـاء فمعنـاه أنـه شبه أبا هريرة بالوبر الذى لا حطب له ولا مقدار ؛ لأنه لم يكن لأبى هريرة عشيرة ولا قوم يمتنع بهم ولا يغنى فى قتال ولا لقاء عدو وكان ابن سعيد وأبـو هريرة طارئين، ذكر الطبرى أن أبا هريرة وأبانًا قدما على الرسول بخيبر. ومن روى الوبر بإسكان البـاء فمعنـاه أنـه يشـبهه بـالوبر وهـو دويبـة على قـدر السنور، عن صاحب العين، فأراد به فى ضعف المنة وقلة الغناء كالنسور فى السباع [شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال (5 / 40)]

2) أورد البخاري القصة في موضع متفرقة، انظر: فتح الباري: 7/ 395.

أكمل دراسته إلى الجامعة، وما بعد الجامعة، وأبو هريرة لم يكن مستواه الدراسي إلا كتلميذ ابتدائي أمام أولئك الصحابة السابقين الذين سبقوه بمراحل دراسية كثيرة.

ومثل ذلك الأحداث المختلفة الشديدة فإن لها تأثيرها الذي لا ينكره أحد.. بل إن الله تعالى فرق بين المؤمنين الذين أسلموا قبل صلح الحديبية، وبين من أسلموا بعدها، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: 10]، وأبو هريرة ـ للأسف ـ لم يحظ بكل ذلك، بل جاء في الفترة التي قوي فيها الإسلام، ثم لم ينل من التلمذة إلا مدة قصيرة جدا، كما سنرى.

بناء على هذا سنتحدث في هذا الفصل عن خصائص شخصية أبي هريرة من الناحية النفسة، ثم عن آثارها عليه في الناحية الروائية.

أولا ـ الجانب النفسي في شخصية أبي هريرة

لعـل من أهم المفـاتيح الدالـة على شخصـية أبي هريـرة انضمامه لأهل الصفة في المدينة المنورة، على الرغم من كونه في ذلك الحين كان شابا قادرا على العمل، ولكنه آثـر أن يظـل في ضيافة المسلمين يأكل على موائدهم، ويـتزلف إليهم لينـال من طعـامهم، وقـد ظلت معـه هـذه الخصـلة حـتى آخـر عمـره عندما كان يؤثر مائدة معاويـة الممتلئـة بصـنوف الأطعمـة على مائدة علي الممتلئة بكل ألوان الزهد والتقشف.

وقد أشار الثعالبي إلى هذه الخصلة فيه، فقـال: (كـان أبـو هريرة على فضله واختصاصه بالنبي ﷺ مزاحا أكولا وكان يدعى الطب، فيقول: (أكل التمر أمـان من القـولنج، وشـرب العسـل على الريـق أمـان من الفـالج، وأكـل السـفرجل يحسـن الولـد، وأكـل الرمـان يصـلح الكبـد، والـزبيب يشـد العصـب، ويـذهب الوصب والنصـب، والكـرفس يقـوى المعـدة، والقـرع يزيـد في اللب، ويرق البشرة، وأطيب اللحم الكتف وحواشي فقار العنق والظهر. وكان يديم أكل الهريسة والفالوذج)[1]

وهكذا حدث أبو عثمان النهدي قال: كنا مع أبي هريرة في سفر فحضر الطعام، فبعثنا إلى أبي هريـرة وهـو يصـلي، فجـاء الرسول فذكر أنه صائم، فوضع الطعام ليؤكل، وجاء أبو هريـرة وقـد أكـادوا يفرغـون، منـه فتنـاول فجعـل يأكـل، فنظـروا إلى الرجل الذي أرسلوه إلى أبي هريرة، فقال: ما تنظرون إلي قـد والله أخبرني أنه صائم! قال: صدق. ثم قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: صوم، شهر الصبر وثلاثـة أيـام من الشـهر صوم الدهر. فأنا صائم في تضعيف الله- عز وجل- ومفطـر في تخفيفه[2].

---

1) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص 86 و87.

2) الطيالسى (ص 315، رقم2393)، وأحمـد (2/513، رقم 10673)، وأبـو يعلى (12/5، رقم6650)، والـبيهقى فى شـعب الإيمـان (3/290، رقم 3574)، وأبو نعيم (1/382)

وقد ذكر أبو هريرة عن نفسه ذلك في روايات كثيرة تستدعي منا مراجعة وتحليلا عميقا لنعرف حقيقته، وحقيقة المجتمع الإسلامي كما كان يراه.

ومن تلك الروايات ما حدث به محمد بن سيرين، قال: كنا عند أبى هريرة، وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فتمخط، فقال: بخ بخ أبو هريرة يتمخط فى الكتان، لقد رأيتنى وإنى لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيا على، فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى، ويرى أنى مجنون، وما بى من جنون، ما بى إلا الجوع(1).

وفي رواية عن أبي هريرة قال: أتت علي ثلاثة أيام لم أطعم، فجئت أريد الصفة(2) فجعلت سقط. فجعل الصبيان يقولون: جن أبو هريرة. قال: فجعلت أناديهم وأقول: بل أنتم المجانين، حتى انتهينا إلى الصفة. فوافقت رسول الله ﷺ أتي بقصعتين من ثريد. فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كي يدعوني، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا شيء في نواحي القصعة. فجمعه رسول الله ﷺ فصارت لقمة، فوضعه على أصابعه فقال لي: (كل، بسم الله)، فوالذي نفسي بيده، ما زلت آكل منها حتى شبعت(3).

فهاتان الروايتان، وغيرها كثير، تصوران المجتمع المسلم في عهد رسول الله ﷺ بغير الصورة التي صور بها القرآن الكريم مجتمع المدينة، فقد قال تعالى واصفا الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

---

1) البخاري 9/128 (7324)

2) الصفة موقع مظلل في مؤخرة مسجد النبي ﷺ بالمدينة من الجهة الشمالية.

3) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: حياة الصحابة (1/ 379)

[الحشر: 9]

وهي كذلك تصطدم مع تلك الروايات الكثيرة التي تصور التضامن الشديد بين المسلمين، ومن بينها هذه الصورة العظيمة التي ذكرها أبو هريرة نفسه، وهي أنّ رجلا أتى النّبيّ ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلّا الماء. فقال رسول الله ﷺ: (من يضمّ- أو يضيف- هذا؟) فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلّا قوت صبياني. فقال: هيّئي طعامك وأصبحي سراجك ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيّأت طعامها وأصبحت سراجها ونوّمت صبيانها، ثمّ قامت كأنّها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنّهما يأكلان فباتا طاويين فلمّا أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: (ضحك الله اللّيلة- أو عجب من فعالكما- فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9])(1)

ومنها هذه الصورة التي رواها أنس بن مالك، فقال: (لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم فقالوا: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أبذل في كثير منهم، لقد أشركونا في المهنأ، وكفونا المؤنة، ولقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كله، فقال رسول الله ﷺ: (كلا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم به عليهم) (2)

ومنها تلك الصورة العظيمة التي رسمت مجتمع الأنصار رسما جميلا حقيقا بذلك الثناء العظيم الذي ذكره الله تعالى، وهي ما روي أن عبد الرحمن بن عوف لما قدم المدينة آخى النّبيّ ﷺ بينه وبين سعد بن الرّبيع الأنصاريّ، فعرض عليه أن يناصفه ماله، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك دلّوني

(1) رواه البخاري (3798)

(2) رواه الضياء في المختارة (5/ 290)

على السّوق...) (1)

وهذه الصورة الجميلة لا تختص بسعد بن الربيع فقط، بل تضم أيضا عبد الرحمن بن عوف الذي آثر العمل والكسب على أن يظل عبئا على إخوانه من الأنصار.. وهو ما لم يفعله أبو هريرة على الرغم من شبابه، وقوته، وقدرته على العمل، مع أنه هو نفسه من روى قوله ﷺ: (لأن يأخذ أحدكم أحبلا، فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكفّ اللّه بها وجهه خير من أن يسأل النّاس أعطي أم منع)(2)

ومع أن النبي ﷺ كان قد أشاع بين أصحابه حرمة السؤال، والنظر لما في أيدي الناس، بل كان يبايعهم على ذلك.

فعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: (من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنة)، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً (3).

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: ألا تبايعون رسول الله، وكنا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله، قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا، وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئاً، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه(4).

---

1) رواه البخاري (2048)

2) رواه البخاري.

3) رواه أبو داود رقم (1643) في الزكاة، باب كراهية المسألة، والنسائي 5 / 96 في الزكاة، باب فضل من لا يسأل الناس شيئا.

4) رواه مسلم: 3/97 (2367)

بالإضافة إلى ذلك، فإن النبي ﷺ نهى عن السـؤال من هـو أشد حاجة من أبي هريرة نفسه، بل راح يبيع له مـا عنـده حـتى يكفـه عن سـؤال النـاس، ففي الحـديث الصـحيح أنّ رجلا من الأنصار أتى النّبيّ يسأله، فقال: (أما في بيتـك شـيء؟) قـال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضـه، وقعب نشـرب فيـه من الماء، قال: (ائتـني بهمـا) فأتـاه بهمـا، فأخـذهما رسـول اللّـه بيده، وقال: (من يشتري هذين؟) قال رجل: أنا آخذهما بـدرهم، قـال: (من يزيـد على درهم؟). مـرّتين أو ثلاثـا. قـال رجـل: أنـا آخذهما بدرهمين، فأعطاهمـا إيّـاه، وأخـذ الـدّرهمين وأعطاهمـا الأنصاريّ، وقال: (اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدّوما فأتني به) فأتاه به، فشدّ فيه رسـول اللّـه عـودا بيده ثمّ قال له: (اذهب فاحتطب وبـع، ولا أرينّـك خمسـة عشـر يوما) فـذهب الرّجـل يحتطب ويـبيع، فجـاء وقـد أصـاب عشـرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما. فقال رسـول اللّـه : (هذا خـير لـك من أن تجيء المسـألة نكتـة في وجهـك يـوم القيامة، إنّ المسألة لا تصلح إلّا لثلاثة: لذي فقر مـدقع، أو لـذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع)(5)

فهـذه الأحـاديث جميعـا تشـير إلى أن رسـول اللـه ﷺ لم يتعامل مع أبي هريرة بمثل هذه المعاملة، تأليفا لقلبه، لأنه قدم المدينــة بســبب جوعــه وفقــره، وكــان يطلب أن يحصــل مــا يســدهما، فلــذلك تركــه رســول اللــه ﷺ يســأل المســلمين، واستضافه مع أهل الصفة في المسجد، مع أن الضيافة لا تصـح بعد ثلاثة أيـام، وكـان أول مـا طلبـه عنـد حضـوره خيـبر هـو أن يعطيه سهمه فيها.

وهكـذا نـرى أحـاديث أبي هريـرة تتنـاقض تمامـا مـع تلـك الصورة الجميلة التي نسمع بها عن مجتمـع الصـحابة، المجتمـع الممتلئ بالإيثار والكرم وكـل معـاني المـروءة.. ويسـتحيل على مجتمع يتصـف بهـذا أن يـترك امـرؤا يصـل بـه الجـوع إلى تلـك الحالة التي وصفها، ثم لا يدركه.

---

5) أحمد 3/100 (11990) وفي 3/100 (11991) و3/114 (12158) وأبـو داود 1641 وابن ماجة: 2198 والترمذي: 1218 والنسائي 7/259.

فنحن هنا بين محذورين كلاهما مر، فإما أن نصدق أبا هريرة، ونكذب تلك الصورة الجميلة التي ذكرها القرآن الكريم، والتي نقرأ عنها في كتب الحديث والسيرة، أو أن نكذب أبا هريرة، وكيف نكذبه، وما ذكره نجده في صحيح البخاري وغيرهما، وفي أعلى درجات الصحة كما يذكرون.

وقد ذكر أبو هريرة دور الجوع في حرصه على العلم، فقال: (كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني) (1)

وقال ـ يصف حادثة من الحوادث ـ: (والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر أبو القاسم ﷺ، فعرف ما في وجهي وما في نفسي، فقال: (أبا هريرة) قلت له: لبيك يا رسول الله، فقال: (الحق)، واستأذنت فأذن لي؛ فوجدت لبنا في قدح. قال: (من أين لكم هذا اللبن؟) فقالوا: أهداه لنا فلان - أو آل فلان -. قال: (أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (إنطلق إلى أهل الصفة فأدعهم لي). قال: - وأهل الصفة أضياف الإسلام، لم يأووا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها -. قال: وأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى به بقية يومي وليلتي. وقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم؛ وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد. فانطلقت فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت. ثم قال: (أبا هر، خذ فأعطهم) فأخذت القدح فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح، حتى أتيت على آخرهم، ودفعت إلى رسول الله ﷺ، فأخذ القدح فوضعه في يده بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إلي وتبسم

---

(1) رواه البخاري : 1/40 (118)

وقال: (أبا هر) قلت: لبيك رسول الله، قال: (بقيت أنا وأنت). فقلت؛ صدقت يا رسول الله، قال: (فاقعد فاشرب) قال: فقعدت فشربت، ثم قال لي: (شرب)، فشربت؛ فما زال يقول لي: (إشرب)، فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له في مسلكا قال: (ناولني القدح)، فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة[1].

وقال يصف حادثة أخرى من حوادث جوعه: (كنت من أهل الصفة فظللت صائما فأمسيت وأنا أشتكى بطني، فانطلقت لأقضى حاجتى، فجئت وقد أكل الطعام، وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام لأهل الصفة[2]، وقلت: إلى من أذهب؟ فقيل لى، اذهب إلى عمر بن الخطاب، فأتيته وهو يسبح بعد الصلاة، فانتظرته فلما انصرف دنوت منه، فقلت: أقرئنى ! وما أريد إلا الطعام ! قال: فأقرأني آيات من سورة آل عمران، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب، فأبطأ فقلت ينزع ثيابه ! ثم يأمر لى بطعام ! فلم أر شيئا) [3]

وقال في وصف حادثة أخرى: والله الذى لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه من المسجد، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله وما سألته إلا (ليشبعني) - فمر ولم يفعل ثم مر عمر بى فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فلم يفعل)[4]

---

1) البخاري: 8/67 (6246)

2) في هذا القول غمز كبير للأنصار، لأن معاوية والفئة الباغية كان له موقف سلبي منهم.

3) أبو نعيم في الحلية: 1/378.

4) رواه البخاري.

وفي هذه الأحاديث إهانة كبيرة لكبـار الصـحابة السـابقين، فهو يصـور لا مبـالاتهم بجوعـه وفقـره، وحجـره المعصـب على بطنه، مع كونه من المسلمين الجدد الذين يحرصون على تثبيت الإيمان في قلوبهم بكل ما يتطلبه التثبيت من واجبات.

وقـد جـر ذلـك الاهتمـام الشـديد من أبي هريـرة بحاجاتـه الشخصية إلى تصنيف الصحابة بحسب اهتمامهم به ـ لا بحسب واقـع الحـال ـــ فقـد كـان يقـول: (مـا احتـذى النعـال، ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب - بعد رسول الله ﷺ - أفضل من جعفر بن أبى طالب)(1)

وقد ذكر سبب ذلك، فقال: (كنت أستقرئ الرجـل الآيـة - هي معى - كى ينقلب بى فيطعمـــني، وكـــان أخـــير النـــاس للمسكين - جعفر بن أبى طـالب - كـان ينقلب بنـا فيطعمنـا مـا كان في بيتـه) (2)، وقـال: (وكنت إذا سـألت جعفـرا عن آيـة لم يجبنى حتى يذهب إلى منزله)(3)

وقال: (إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة على رسول اللـــه ﷺ واني كنت ألزمه بشبع بطني حـتى لا أكـل الخمـير ولا ألبس ولا يخـــدمني فلان وفلانـــة وكنت ألصـــق بطـــني بالحصـــباء من الجـــوع، وكنت اســتقرئ الرجـــل الآيـــة هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخـير النـاس للمسـاكين جعفـر بن أبي طـالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته..) (4)

ولو طبقنا المقـاييس السـلفية على هـذه المقولـة من أبي

---

1) رواه أحمد 2/413 (9342) والترمذي: 3764 .

2) رواه البخاري.

3) رواه الترمذي.

4) رواه البخاري.

هريرة لاعتبرناه مبتدعا، فهم يروون عن الإمام أحمد أنه سئل عن رجل ذكر أنه يحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يفضل بعضهم على بعض، فقال: (السنة أن يفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعلي من الخلفاء) [1]

وقال ابن كثير مقررا لذلك: (وأفضل الصحابة، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء - عليهم السلام -: أبو بكر الصديق ثم من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب.. ولهذا قال الدارقطني: من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار) [2]

بعد هذا العرض الموجز لبعض النواحي الشخصية المتعلقة بأبي هريرة يمكننا أن نرى صفتين كبيرتين وخطيرتين جعلتاه محط اهتمام من لدن معاوية والفئة الباغية، وهما:

1 ـ مزاحمته لكبار الصحابة، وحرصه على إظهار نفسه أكثر ذكاء وولاء منهم.

2 ـ حرصه على تحقيق أكبر ما استطاع من مكاسب دنيوية.

وقد كان لكلا الصفتين أثره الخطير على الجانب الروائي في شخصيته.

وسنحاول في هذا المبحث أن نذكر أدلة ذلك، كما وردت به الروايات المعتمدة.

1 ـ مزاحمة كبار الصحابة:

لا نحتاج إلى تكلف تحليل أو تأويل حتى نكتشف دعاوى أبي هريرة المتعلقة بصحبته، والتي يزعم فيها أنه نال الحظ الأوفر من القرب والخلة فيها من رسول الله ﷺ.

---

1) رواه الخلال في (السنة) (2/ 372)

2) الباعث الحثيث (ص: 183)

ولعل أكبر ما يدل على ذلك هو تلك العبارات التي يصدر بها أحيانا حديثه، وقد قال فيها ابن قتيبة: (لما سمع علي أبا هريرة يقول: قال خليلي وسمعت خليلي، وكان سيء الرأي فيه، قال: (متى كان خليلك) [1]

ومما يدل على صحة هذا الخبر عن الإمام علي، وموقفه السلبي منه ما رواه العقيلي عن الوراميني قال: (حدثنا يحيى بن المغيرة قال حدثنا أبو زهير قال حدثنا الأعمش عن أبي صالح وأبي رزين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من أحدث حدثا أو آوى محدثا، وذكر الحديث، وذكر في آخره كلاما لأبي هريرة في علي وكلاما لعلي في أبي هريرة، قال أبو زهير: فحدث الأعمش بهذا الحديث وعنده المغيرة بن سعيد فلما بلغ قول أبي هريرة في علي قال: (كذب أبو هريرة)، فلما بلغ قول علي في أبي هريرة قال: (صدق علي)، قال: فقال الأعمش: (صدق علي وكذب أبو هريرة لا، ولكن غضب هذا فقال، وغضب هذا فقاله)[2]

وما لنا نذهب بعيدا، والرواية التي يتشبث بها السلفية في مناقب أبي هريرة أكبر دليل على ذلك، فهم يروونها بفخر، ولا يعملون عقولهم ليعلموا ما تحمله من طعون في كبار الصحابة وصغارهم.

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: (إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ علي ملء

---

1) تأويل مختلف الحديث ص 48- 49

2) الضعفاء ج4 ص 179، وقد ذكر ابن أبي الحديد الخبر في [شرحه على نهج البلاغة: ج4، ص 76] عن شيخه الأسكافي قال: وروى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مرارا، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لكل نبي حرما وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمنا حدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها)، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة.

بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا. وكان يشغل إخواني من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة، أعي حين ينسون) [1]

فهذا الحديث الخطير المتفق على صحته يرويه السلفية في مناقب أبي هريرة، ولو عقلوا لاستدلوا به على مثالبه.. فهو يرسم صورة سيئة للمهاجرين والأنصار، وانشغالهم عن رسول الله ﷺ بالتجارة والعمل.

وهو يبين في الحديث ــ قصد أو لم يقصد ــ أنه لولاه لضاعت كل تلك التعاليم المقدسة التي كلف رسول الله ﷺ أن يبلغها للأمة.

بل إنه عندما عارضته عائشة زوج رسول الله ﷺ في بعض الأحاديث، وقالت: إنك لتحدث عن النبي ﷺ حديثا ما سمعته منه، قال لها: (يا أمه! طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة وما كان يشغلني عنها شيء!) [2]

بل إنه يصرح بذلك في مواضع أخرى، ومنها ما رواه البخاري عنه، قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إلا الله خالصا من قبل نفسه) [3]

ففي هذا الحديث يضع أبو هريرة نفسه في المحل الأول من الصحابة الحريصين على تعلم أحكام الدين، مع كونه ــ كما ذكرنا ـ جاء متأخرا جدا، وفي فترة مليئة بالأحداث الخطيرة

---

(1) رواه الحميدي (1142) وأحمد: 2/240 (7273) والبخاري: 1/40 (118) ومسلم: 7/166.

(2) الطبقات الكبرى (2/ 278)

(3) رواه أحمد (2/373)، والبخاري (1/35)

التي مرت بها الدعوة الإسلامية، والتي دلت الوقائع التاريخية على أن المهاجرين والأنصار كانوا ألصق فيها برسول الله ﷺ من ظله.

ولم يكتف أبو هريرة بكل تلك الدعاوى، بل راح يزعم أن رسول الله ﷺ خصه بأسرار كثيرة لا يعلمها باقي الصحابة، وقد عبر عن ذلك بقوله ــ في الحديث الذي رواه البخاري ــ: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما: فبثثته فيكم، وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم) (1)

وورد في روايات أخرى أقل صحة قوله: (لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخرف، وقالوا أبو هريرة مجنون)، وفى رواية: (لو حدثتكم بكل ما في جوفى لرميتموني بالبعر)، وفي رواية: (حفظت من رسول الله ﷺ خمسة أجربة، فأخرجت منها جرابين، ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة) (2)

ولم يكتف بذلك أيضا، بل زعم أن رسول الله ﷺ خصه بميزة كان يدخرها له من دون الصحابة جميعا، ليحفظ له سنته ما ظهر منها وما بطن، وقد عبر عنها بقوله ــ في تعليل كثرة رواياته ـ: (.. وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه: إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول. فبسطت نمرة علي، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء) (3)

فهذا الحديث المتفق على صحته لا يقل خطرا عن الأحاديث السابقة، وأول ما يشد الانتباه فيه هو تلك البرودة

---

(1) رواه البخاري 1 / 192 و193

(2) انظر هذه الروايات في: الطبقات الكبرى (2/ 278)

(3) رواه الحميدي (1142) وأحمد: 2/240 (7273) والبخاري: 1/40 (118) ومسلم: 7/166.

التي يصور بها أبــو هريــرة الصــحابة، وعــدم تجــاوبهم مــع طلب رسول الله ﷺ على الرغم من ذلك الترغيب العظيم.. ولا ينسى أن يبين أنه وحده الذي بــادر لأمــر رســول اللــه ﷺ ليفــوز بتلــك الذاكرة العجيبة التي حرم منها كل الصحابة.

ومثل هذا ذلك الحديث الذي أشاعته الفئة الباغية لتبين أن أبا هريرة هو راوية الإسلام الأكبر، وأنه حظي بدعوة خاصــة من رسول الله ﷺ ليحفظ للأمــة أمــر دينهــا، ففي الحــديث أن رجلاً جاء إلى زيد بن ثابت فسأله، فقال له زيد: عليــك بــأبي هريــرة، فــإني بينمــا أنــا وأبــو هريــرة وفلان في المســجد، نــدعو اللــه ونذكره، إذ خرج علينــا رســول اللــه ﷺ حــتى جلس إلينــا فقــال: عودوا للذي كنتم فيه. قــال زيــد فــدعوت أنــا وصــاحبي، فجعــل رسول الله ﷺ يؤمّن على دعائنــا، ودعــا أبــو هريــرة فقــال: إني أسألك مثل ما ســأل صــاحباي، وأســألك علمًــا لا يُنســى،فقــال: سبقكم بها الغلام الدوسي) [1]

بل إنه يدعي أن رســول اللــه ﷺ خصــه من دون الصــحابة، وخصوصا الفقراء منهم، بكيس عجيب من الطعام لا ينفذ، فقـــد روى الترمــذي عنــه قولــه: (أتيت النــبي ﷺ بتمــرات، فقلت: يــا رسول الله: ادع الله فيهن بالبركــة، فضــمهن، ثم دعــا لي فيهن بالبركة، وقــال: (خــذهن واجعلهن في مــزودك هــذا، أو في هــذا المزود، كلما أردت أن تأخذ منه شيئاً، فأدخل فيــه يــدك، فخــذه ولا تنثره نثرا)، وقد ذكر أبو هريرة أنه ظلّ يأكل من ذلك التمـــر زماناً طويلاً، واستمرّ حتى يوم مقتل عثمان[2].

بل إنه فوق ذلك كله يــدعي أنــه ﷺ خصــه بمزايــا لم يخص بها أقاربه وعشيرته، فقد روي عنه قوله: قــال: كنت أدعـــو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺوأنا أبكي، قلت: يا رسول اللـــه، إني كنت أدعـــو أمي إلى الإســـلام فتـــأبى، فـــدعوتها

1) رواه النسائي.

2) رواه أحمد 2/352 (8613) والترمذي: 3839.

فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة)، فخرجت مستبشرا بدعوة النبي ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشفة قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وقال خيرا. قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين)، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني(1).

وهذا الحديث العجيب الممتلئ بالدعاوى يتلقاه السلفية بكل سرور، في نفس الوقت الذي يزعمون فيه أن أبا طالب عم رسول الله ﷺ، والذي قضى حياته كلها دفاعا عنه، ولاقى في ذلك كل الشدائد، لم يحظ بذلك الحنان والعطف من رسول الله ﷺ كما حظيت أم أبي هريرة، حيث أنه يزعم أن رسول الله ﷺ دعا لها بالهداية على رغمها من سبها له ﷺ، واستجاب الله له، بينما لم يدعو لعمه، أو لم يستجب الله له.

وهو فوق ذلك كله يزعم أنه دعي له بأن يصير محبوبا للمؤمنين، هو وأمه، وأن كل من سمع به أحبه في نفس الوقت الذي ترد فيه الروايات الكثيرة عن ذلك البغض الشديد الذي تعرض له الإمام علي ـ عدو الفئة الباغية الأول ـ حتى قال ابن تيمية مخبرا عن ذلك: (.. أن الله قد أخبر أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات ودا. وهذا وعد منه صادق. ومعلوم أن الله قد جعل للصحابة مودة في قلب كل مسلم، لا سيما الخلفاء - رضي الله عنهم -، لا سيما أبو بكر وعمر ; فإن عامة

(1) أحمد 2/319 (8242)

الصحابة والتابعين كانوا يودونهما، وكانوا خير القــرون. ولم يكن كذلك علي، فـإن كثـيرا من الصـحابة والتـابعين كـانوا يبغضـونه ويسـبونه ويقاتلونــه، وأبــو بكــر وعمــر قــد أبغضــهما وســبهما الرافضة والنصيرية والغالية والإسماعيلية. لكن معلوم أن الذين أحبوا ذينك أفضل وأكثر، وأن الذين أبغضوهما أبعد عن الإســلام وأقـل، بخلاف علي، فـإن الـذين أبغضـوه وقـاتلوه هم خـير من الذين أبغضوا أبـا بكـر وعمـر، بـل شـيعة عثمـان الـذين يحبونـه ويبغضون عليا، وإن كانوا مبتدعين ظالمين، فشـيعة علي الـذين يحبونـه ويبغضـون عثمـان أنقص منهم علمـا ودينـا، وأكـثر جهلا وظلما. فعلم أن المودة التي جعلت للثلاثة أعظم)([1])

2 ـ حرصه على الدنيا:

وهــذا على خلاف الصــورة الــتي كــان عليهــا الصــحابة السابقون الكبار الذين وصفهم الله تعالى بكونهم باعوا أنفسهم لله، فلا يريدون غـيره، كمـا قـال تعـالى: ﴿مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ رِجَـالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَـدُوا اللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَـى نَحْبَـهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]

لكن أبا هريرة لم يكن ينظـر إلى الـدين بهـذه الصـفة، بـل كان ينظر إلى ما حققه بسببه من مكاسب دنيويـة، ويقـارن بين حالته المادية قبل التدين وبعده، ولعل هذا هو الذي جعله يختــار صحبة معاوية والفئة الباغية معه على صحبة علي ومن معه من الســابقين من الصـحابة، فقـد كـان ينظـر إلى الـدين باعتبـاره فرصة لتحقيق المكاسب، لا كونـه محلا للبلاء والتضـحيات، كمـا قال تعـالى: ﴿أَمْ حَسِـبْتُمْ أَنْ تَـدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142]

وقد عبر عن ذلك بصراحة في روايات كثيرة صحيحة، منها قوله وهو على منبر رسول الله ﷺ حين كان أميرا على المدينة بتكليف من الفئة الباغيـة: (الحمـد للـه الـذي أطعمـني الخمـير، وألبسني الحرير؛ وزوجـني بنت غـزوان بعـد مـا كنت أجـيراً لهـا

([1]) منهاج السنة النبوية (7/ 137)

بطعام بطني، فأرحلتني فأرحلتها كما أرحلتني)(1)

وروي أنه صلى بالناس يوماً، فلما سلم رفع صـوته فقـال: (الحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إمامـا، بعـد ان كان أجيراً لابنة غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله)(2)

وكان كثيرا ما يذكر بفخر كيف تحـول من ماضـيه الممتلئ بـالفقر إلى حاضـره الجديـد الممتلئ بـالغنى، ومن ذلـك قولـه: (نشأت يتيما، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسـرة بن غـزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، فكنت أخـدم اذا نزلـوا، وأحـدوا اذا ركبوا فزوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما، وجعـل أبا هريرة إماما) (3)

وقال مضـارب بن جـزء: كنت أسـير في الليـل فـإذا رجـل يكبر، فلحقته فإذا هو أبـو هريـرة، فقلت: ماهـذا؟. قـال: اشـكر الله على ان كنت اجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني؛ فكنت إذا ركبوا سقت بهم، وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها فأنـا الأن اركب، فـاذا نـزلت خـدمتني، وكـانت اذا اتت على مكـان سـهل نزلت فقالت: لا اريم حتى تجعل لي عصيدة، فهـا انـاذا إذا اتيت على نحـــو من مكانهـــا قلت لهـــا: لا اريم حـــتى تجعلي لي عصيدة(4).

وكان يقول: أكـريت نفسـي من ابنـة غـزوان على الطعـام بطني وعقبة رجلي قال: فكانت تكلفـني أن أركب قائمـاً؛ وأورد حافياً، فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله فكلفتها أن تركب قائمــة،

---

1) أبو نعيم في الحلية: 1/384.

2) أبو نعيم في الحلية:1/379.

3) طبقات ابن سعد: 4/53.

4) أبو نعيم 1 / 380، وابن عساكر 19 / 123 / 1.

وأن تورد حافية) [1]

وهذا الموقف إن صح عنه يدل على عدم استيعابه لقيم الإسلام، وأخلاقه العالية، وإلا كيف يتحدث عمن صارت زوجته بهذه الطريقة، ثم كيف يرضى أن يتصرف معها بمثل ما كانت تتصرف به معه؟

ولذلك فإن المشكلة مع أبي هريرة لا تتعلق برواياته فقط، وإنما تتعلق أيضا بسلوكاته التي أرادت الفئة الباغية أن تنسخ بها تلك القيم النبيلة التي جاء بها رسول الله ﷺ، والتي مثلها السابقون الصادقون من الصحابة، لتجعل أبا هريرة هو نموذجهم لا عمارا وبلالا وأبا ذر وغيرهم من الذين ضحوا بكل شيء في سبيل الله، ومثلوا القيم الإسلامية بأرقى درجاتها.

وقد روي أنه أيام ولايته على المدينة في خلافة معاوية كان يتصرف تصرفات غريبة تلفت الانتباه إليه، وهم يحملونها على تواضعه، ولكنها قد تحمل على محامل أخرى، ومنها ما رواه محمد بن زياد قال: كان مروان ـ أيام ولايته على المدينة في خلافة معاوية ـ يستخلف أبا هريرة على المدينة فيضرب برجليه فيقول: خلوا الطريق خلوا الطريق قد جاء الأمير قد جاء الامير ـ يعني نفسه[2].

وعن أبي رافع قال: كان مروان يستحلف أبا هريرة على المدينة فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعة وفي رأسه خلبة من ليف فيسير فيلقى الرجال فيقول: الطريق! قد جاء الأمير! (قال): وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقى نفسه بينهم، ويضرب برجليه[3].

---

1) الطبقات الكبرى (4/ 243)

2) رواه أحمد: 2/94.

3) المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص94.

لكن المهم في الولايـة ليس في التواضـع أو اللعب مـع الصبيان، وإنما في حفظ الأمانة، وعدم الانجـرار وراء مغرياتهـا، وهذا ما افتقده أبو هريرة في ولاياته المختلفة للأسف.

وكمقارنة بسيطة بين تلاميـذ رسـول اللـه ﷺ الكبـار، وبين أبي هريرة في امتحان الولاية والمنصب نكتشف الفـرق الكبـير بين التربية النبوية الخالصة، وبين التربية المختلطة.

فقد اتفق المؤرخون لأبي هريرة أن عمر بن الخطاب حين ولاه على البحـرين سـنة 21هـ، بلغتـه عنـه أشـياء تخـل بأمانـة الوالي، فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي.

فقد روي أنه قدم بعشرة آلاف، وهو مبلـغ ضـخم جـدا في ذلـك الحين وفي هـذا الحين، فقـال لـه عمـر: اسـتأثرت بهـذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبـو هريـرة: لسـت بعـدو الله وعدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، فقـال لـه عمـر: فمن أين هي لـك؟ قـال أبـو هريـرة: خيـل نتجت، وغلـة رقيـق لي، وأعطية تتابعت علي(1).

وفي رواية أن عمر قال لأبي هريرة: (كيف وجدت الإمـارة يا أبا هريرة؟ قال: بعثتني وأنا كاره، ونزعتني وقد أحببتها، وأتـاه بأربعمائة ألف من البحرين، فقال: أظلمت أحدا، قـال: لا، قـال: أأخذت شيئا بغير حقـه؟ قـال: لا، قـال: فمـا جئت بـه لنفسـك؟ قال: عشرين ألفا، قال: من أين أصبتها؟ قال: كنت أتجر، قـال: فـانظر رأس مالـك ورزقـك فخـذه واجعـل الآخـر في بيت المال(2).

وهذه روايات خطيرة جدا، لأنه إمـا أن ننسـب فيهـا الظلم لعمر بن الخطاب، بسبب أخذه مال امرئ مسلم بغير حق، وإما أن نقر بأن ما فعله كان عدلا ومتناسبا مع السلوك الذي سـلكه أبو هريرة، وفي هذه الحالة نحن مضطرون للإقـرار بـأن تلمـذة

(1) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (5/ 252). تاريخ دمشق، ابن عساكر، (67/370). سير أعلام النبلاء (2/612)

(2) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (5/ 252، 253)

أبي هريـرة لرسـول اللـه ﷺ لم تكن كافيـة لتملأه بتلـك القيم النبيلة التي تمثلت في كبار الصحابة.

وكلنا نعرف ونردد بفخـر قصـة سـعيد بن عـامر حين كـان واليا على حمص، وسأله عمر بن الخطاب، فقال له: ما لـك من المال؟ قال: سلاحي وفرسـي وأبغـل أغـزو عليهـا، وغلام يقـوم عليَّ وخادم لامرأتي، وسهم يعد في المسلمين. فقال له عمـر: ما لك غير هذا؟ قال: حسبي هذا، هذا كثير. فقال له عمـر: فلمَ يحبـك أصـحابك؟ قـال: أواسـيهم بنفسـي، وأعـدل عليهم في حكمي. فقال له عمر: خذ هذه الألـف دينـار فتقـوَّ بهـا. قـال: لا حاجة لي فيها، أعط من هو أحوج إليها مـني. فقـال عمـر: على رسلك حتى أحدثك ما قال رسول اللـه ﷺ، ثم إن شـئت فاقبـل وإن شئت فـدع: إن رسـول اللـه عـرض عليَّ شـيئًا فقلت مثـل الذي قلت، فقال رسول الله: (من أعطي شيئًا من غـير سـؤال ولا استشراف نفس، فإنه رزق من الله فليقبله ولا يرده)، فقال الرجل: أسمعت هذا من رسول الله؟ قـال: نعم. فقبلـه الرجـل ثم أتى امرأته فقال: إن أمير المؤمنين أعطانا هذه الألف دينار، فإن شئت أن نعطيـه من يتجـر لنـا بـه ونأكـل الـربح ويبقى لنـا رأس مالنا، وإن شئت أن نأكل الأول فالأول. فقالت المرأة: بل أعطه من يتجر لنا به ونأكل الربح، ويبقى لنا رأس المال. قـال: ففرقيه صررًا. ففعلت، فجعل كل ليلة يخرج صـرة فيضـعها في المساكين ذوي الحاجة، فلم يلبث الرجل إلا يسيرًا حـتى تـوفي، فأرسل عمر يسأل عن الألف، فأخبرته امرأته بالذي كان يصنع، فالتمسوا ذلك فوجدوا الرجل قدمها لنفسه، ففـرح بـذلك عمـر وسُرَّ وقال: يرحمه الله، إن كان الظن به كذلك[1].

وكلنا نعرف ما ذكره المؤرخون عن عمـير بن سـعد الـذي كان عـاملا على حمص، وبقى فيهـا عامًـا كـاملا دون أن يرسـل إلى عمر بالمدينة أي رسالة، فأرسل إليه عمر ليأتي إليه، وجـاء عمير وشاهده الناس، وهو يدخل المدينة وعليه آثار السفر، وهو يحمـل على كتفيـه جرابًـا وقصـعة (وعـاء للطعـام) وقربـة مـاء

1) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق 1/1309.

صغيرة، ويمشي في بطء شديد من التعب والجهد.

ولما وصل إلى عمر بن الخطاب قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فرد عمر السلام ثم قال له: ما شأنك يا عمير؟ فقال عمير: شأني ما ترى، ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم، معي الدنيا؟ فقال عمر: وما معك؟ قال عمير: معي جرابي أحمل فيه زادي، وقَصْعَتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعصاي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوًا إن عَرَض (ظهر)، فوالله ما الدنيا إلا تَبعٌ لمتاعي. فقال عمر: أجئت ماشيًا؟ قال عمير: نعم. فقال عمر: أَوَلَمْ تَجدْ من يعطيك دابة تركبها؟ قال عمير: إنهم لم يفعلوا، وإني لم أسألهم. فقال عمر: فماذا عملت فيما عهدنا إليك به؟ قال عمير: أتيت البلد الذي بعثتني إليه، فجمعت صُلَحَاء أهله، ووليتُهم جَبايَة فيئهم (جمع صدقاتهم) وأموالهم، حتى إذا جمعوها وضعتها، ولو بقى لك منها شيء لأتيتك به، فقال عمر: فما جئتنا بشيء؟ قال عمير: لا. فقال عمر: جدِّدوا لعمير عهدًا، ولكن عميرًا رفض وقال في استغناء عظيم: تلك أيام خَلَتْ، لا عَمِلتُ لك، ولا لأحد بعدك(1).

وكلنا نعرف ما ذكروه عن حذيفة بن اليمان، ذلك التلميذ الذكي النجيب من تلاميذ رسول الله ﷺ، فقد روي أن عمر ولاه على المدائن، وكتب له عهدا قال فيه لأهل المدائن: (اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم)، فخرج على حمار موكف، تحته زاده، فلما قدم المدائن، استقبله أعاظم الدهاقين (التجار) وبيده رغيف، وعرق من لحم. ولما قرأ عليهم عهده، قالوا: سل ما شئت، قال: طعاما آكله، وعلف حماري هذا - ما دمت فيكم - من تبن. فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: (أقدم)، فلما بلغه قدومه، كمن له على الطريق - وكانت هذه عادته - فلما رآه على الحال التى خرج عليها، أتاة فالتزمه وقال: أنت أخى وأنا أخوك(2).

---

1) الطبراني في الكبير من 17 / 51 (109) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية 1 / 250، وابن عساكر في تاريخه 46/ 489، وابن الجوزي في المنتظم 4 / 319.

وكلنا نعرف ما ذكروه عن سلمان الفارسى الذي دخل عليه قوم - وهو أمير على المدائن - وهو يعمل الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا وأنت أمير يجرى عليك رزق؟ فقال: (إنى أحب أن آكل من عمل يدى)، وكان يشترى خوصا بدرهم فيعمله ويبيعه بثلاثة دراهم ينفق درهما ويتصدق بدرهمين، وروي أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار أيام كان بها مع النبي ﷺ وكان عطاؤه خمسة آلاف، يتصدق به، ويأكل من عمل يده(1).

هذه هي نماذج التربوية في أسمى قممها، وهي النماذج التي لا يهتم لها السلفية، ولا يراعونها، ولا ينشرون قصصها، لأنها تشوه كل أولئك الذين تعلقوا بهم من أصحاب الفئة الباغية، الذين خرجوا لأجل الدنيا، وشوهوا الدين وحرفوه لأجل الدنيا، غير مراعين لوصيته ﷺ بالحذر من الدنيا وفتنها، كما قال ﷺ: (ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا فتهلككم كما أهلكتهم) (2)

وليت المشكلة في حرص أبي هريرة على الدنيا توقفت عند هذا الحد، بل أنها امتدت إلى الجانب المهم في شخصيته، وهي الجانب الروائي، حيث كان يخضع في روايته أو كتمانه للحديث إلى الرغبة والرهبة، لا إلى مجرد رغبته في تبليغ الدين.

ونحن لا نحتاج فيه إلى تكلف استدلال، فأبو هريرة نفسه صرح به، وحديثه في ذلك موجود في الصحاح المعتبرة، وإن كان السلفية ينشرون الحديث الذي يناقضه، والذي يقول فيه: (والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً ابداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

2) سير أعلام النبلاء: 2/260.

1) الاستيعاب: 2/572.

2) رواه البخارى (3/1152، رقم 2988)، ومسلم (4/2273، رقم 2961)

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة: 159، 160]) (1)

لكنهم يتعمدون أو يتجاهلون حديثه الآخر، والذي يشوهه تشويها خطيرا، وهو قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) (2)

وقد قال ابن حجر في تفسير ذلك الوعاء الذي لم يبثه: (حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضهم ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان. يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية ؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة) (3)

ولسنا ندري كيفية الجمع بينهما، وهل كان رسول الله ﷺ في أحدهما نبينا مبلغا، وفي الآخر قاصا حكواتيا مع أن الله تعالى قال فيه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم: 3، 4]، أم السكوت عن أولئك المجرمين الذين حذر منهم رسول الله ﷺ، وبين خطرهم على دين المسلمين ودنياهم جائز لمن تصدر للرواية عن رسول الله ﷺ، مع أن الله تعالى قال: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا [الأحزاب: 39]؟

---

(1) الحميدي (1142) وأحمد 2/240 (7273) والبخاري: 1/40 (118)، ومسلم: 7/166.

(2) صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: العلم، باب: حفظ العلم، (1/261)، رقم (120)

(3) فتح الباري: (1/216)

وهل هناك موضع أهم من ردع المحرفين والتحذير منهم حتى يبقى الدين صافيا نقيا، أم أن الكتمان جائز هنا، وغير جائز في القصص والأساطير وغيرها؟

لكن السلفية الممعنين في التناقض استطاعوا أن يجمعوا بين النقيضين، واستطاعوا أن يخرجوا أبا هريرة كالشعرة من العجيبن من هذا التناقض العجيب.

وقد قال بعضهم بعد رواية حديث الكتمان: (في غاية الصحة رواية ودراية، والمراد بالوعاءين: نوعان من الأحاديث التي تلقاها عن النبي ﷺ فأحد الوعاءين، وهو الأول: فيه ما يتعلق بأحاديث الأحكام والآداب والمواعظ وقد بلغه حتى لا يكون كاتما للعلم، وأما الآخر: وهو ما يتعلق بالفتن والملاحم، وأشراط الساعة، والإشارة إلى ولاة السوء، فقد آثر أن لا يذكر الكثير منه حتى لا يكون فتنة لسامعه) (1)

وقال آخر بثقة عجيبة: (إن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها؛ لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم كتم العلم)(2)

وقال ابن كثير: (وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم، وما وقع بين الناس من الحروب والقتال، وما سيقع مع معرفة أبي هريرة لها، التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه، وردوا ما أخبر به من الحق، كما قال: لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم، وتقتتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني) (3)

بل إن الذهبي استنبط من هذا حكما شرعيا، ودليله فعل

---

(1) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة، ص262.

(2) فتح الباري (1/ 262).

(3) البداية والنهاية، (4/ 590)

الصحابي الذي هو نجم من النجوم التي يمكن أن تعوض الاستنان بسنة رسول الله ﷺ فقال في تأويل الحديث: (هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديث يتعلق بحل أو حرام فلا يحل كتمانه، فإنه من البينات والهدى) (1)

هذا ما ذكره بعضهم، أما بعضهم الآخر، فراح يورد موقفا هشا ضعيفا من مواقفه ليبينوا أنه استطاع أن يقف في وجه السلطة التي خدمها بكل ما يقدر عليه، وهو موقفه من دفن الإمام الحسن في بيت عائشة، فقد ذكر ابن كثير في [البداية والنهاية] عن الوليد بن رباح، قال: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت وال، وإن الوالي لغيرك فدعه - يعني حين أرادوا أن يدفنوا الحسن مع رسول الله ﷺ - ولكنك تدخل فيما لا يعنيك، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك، يعني معاوية) (2)

وهم لا ينظرون إلى السبب الحقيقي الذي جعل أبا هريرة يقف هذا الموقف، مع أنه واضح لا يحتاج كثير تأمل، ذلك أن الخلاف ـ كما ذكرنا سابقا ـ كان شديدا بينه وبين عائشة زوج النبي ﷺ، وعندما رآها معارضة لدفن الإمام الحسن أمام قبر جده راح يعارضها في ذلك.. بدليل أنه استمر مع مروان ومع الفئة الباغية، ولم يمسوه بسوء كما فعلوا مع غيره من الذين قتلوهم وعذبوهم(3).

ونحب أن نضيف لما ذكره هؤلاء من أسباب كتم أبي هريرة لأحاديث مثالب الفئة الباغية، سببا آخر مهما نص عليه بعض كبار السلف الذين يثق فيهم السلفية، بالإضافة إلى تأييده

---

1) سير أعلام النبلاء، (2/ 597)

2) البداية والنهاية، (4/ 593)

3) أمثال محمد بن أبي بكر الذي قتله معاوية، وأحرق في جوف حمار ميت، وقيل: قتله عمرو بن العاص صبراً، ولما بلغ عائشة قتله إشتد عليها، وقالت: كنت أعده ولداً وأخا، ومذ أحرق لم تأكل عائشة لحماً مشوياً، وكان له فضل وعبادة، وكان علي يثني عليه. [إبن الأثير - أسد الغابة: 4/324]

من طرف كبار أعلامهم.

وهو ما ذكره الإمام أحمد بسنده الصحيح إلى سعيد بن المسيب من قوله: (كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية، سكت، فإذا أمسك عنه، تكلم) [1]

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان المالكي على هذا الحديث بقوله: (فأبو هريرة يمسك عن بعض العلم خوفاً ويمسك عنه طمعاً أيضاً.. إذاً فالرجل يتأثر بالسياسة، وهذا الأثر السياسي موجود على من دونه، وعلى هذا فأهل الحديث عندما يظهرون بأن الصحابة والتابعين وأهل الحديث لا يتأثرون بالسلطة ولا يخافون لومة لائم، هذا كله غير صحيح على إطلاقه، هم مثل علماء ودعاة اليوم.. يتأثرون بالسلطة السياسية والمذهبية، خوفاً وطمعاً، رغبة ورهبة.. فيجب مراقبة الأثر السياسي والمذهبي، ثم سلفية اليوم يزايدون على الإمام أحمد والذهبي وابن كثير! وقد يضطرون لتكذيب أحمد بن حنبل - مع أنه لم ينفرد بالخبر، ففي الثقات للعجلي: (حدثنا العلاء ثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت وإذا أمسك عنه تكلم) [2]، فهذا العجلي يتابع الإمام أحمد بالسند نفسه في أن أبا هريرة كان (لأجل المال) يسكت عن بعض العلم، ومعاوية خبير في اشتراء الذمم.. وعلى هذا يمكن أن نفهم الأحاديث التي رواها أبو هريرة في فضل أهل البيت أو ذم بني أمية، فيحتمل أنه تكلم بها في فترة تأخر المال من معاوية) [3]

---

1) سير أعلام النبلاء [ج 2 / 615] البداية والنهاية – [ج 8 / ص 122]

2) الثقات للعجلي:ج 1 / 405.

3) انظر مقالا له على موقعه الإلكتروني بعنوان [علم الحديث - أمانة أهل الحديث... في الميزان]

ثانيا ـ آثار الجانب النفسي على روايات أبي هريرة

لقد كان لتلك الجـوانب النفسـية في شخصـية أبي هريـرة تأثيراتها السلبية عليه في جوانبه الروائية، والتي تهمنا أكـثر من جوانبـه الشخصـية الـتي لا يختلـف فيهـا أبـو هريـرة عن أكـثر المسلمين، بل عن أكثر البشر، فكلهم يحب أن تكون له سـمعة طيبة، ويحب أن يذكر بخير، ويحب أن يحبه الناس، ويتعلقوا بـه، وبكل ما يرتبط به.

ولكن المشكلة التي جعلتنا نختص أبا هريرة بذلك الاهتمام هو كونه تصدر لروايـة حـديث رسـول اللـه ﷺ.. ولـذلك لم يبـق مجرد شخص عادي، تحـرم غيبتـه، ويحـرم التنقيب عن أسـراره وأغوار حياته.. بل إنه صار نائبـا أو وكيلا أو ناطقـا رسـميا باسـم رسول الله ﷺ.. وهذه الوظيفة الخطيرة الـتي تولاهـا تسـتدعي منـا أخـذ أكـبر قـدر من الحيطـة، لأن كـل حـديث من أحـاديث رسول الله ﷺ دين..

وبناء على هـذا لا تعنينـا كـل تلـك البحـوث الـتي تقصـر أو تطول في بيان مدة صحبته، فلا حـرج عليـه أن يصـحب رسـول اللـه ﷺ من أول البعثـة أو من آخرهـا، فالصـدق هـو المعتـبر، لا السبق.

وبناء عليه كذلك لا تعنينا أعداد الأحاديث الـتي رواهـا، فقـد روى غيره ممن بعده أكثر منه، بـل يـروون عن أحمـد بن حنبـل أنه حفظ ألف ألف حديث.. ولذلك لا حاجة لتلك المعجـزة الـتي ذكرها، والتي جعلته ـ كما يذكر ـ يحفظ أكثر مما يحفظ غيره.

وبناء عليه كـذلك لا يهمنـا صـحبته لمعاويـة والفئـة الباغيـة معه، أو صحبته لعلي ومن معـه من السـابقين الصـادقين.. فكم من أصحاب علي أو معاوية ممن لا نسمع به، ولا نهتم له.

إنمـا الـذي يعنينـا هـو تلـك السـموم الـتي وردت في بعض أحاديثه، والتي تشوه الدين تشويها تاما، ولا يعنينـا عـددها، فقـد يقضـي فـيروس واحـد لا تـراه العين المجـردة، ولا المجـاهر

الإلكترونية على إنسان كامل، بل قد تقضي على بشر كثيرين.

وهكذا فعلت الكثير من أحاديث أبي هريرة الـتي لم تـترك مجـالا من مجـالات الـدين، وقيمـة من قيمـه إلا حرفتهـا عن مسارها.. وهذا ما أرضى عنه الفئـة الباغيـة، ومـا أسـخط عليـه الكثير من الصحابة السـابقين والمحققين اللاحقين من أصـحاب العقول التي لم تعطل..

وبما أننا سـنتعرض بتفصـيل لـذلك في الفصـل الثـاني من هذا الكتاب، فإننا نكتفي هنا ببعض الأمثلة والنماذج عن تخــريب أحاديث أبي هريرة لقيم الدين.

فأحاديثه التجسيمية الكثيرة للـه، ككونـه على مثـل صـورة آدم؛ طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً، وكونه يظهر في صور مختلفة، وأن الخلق يعرفونه من خلال رؤية سـاقه بعـد أن يكشف عنهـا، وأن جهنم لا تمتلئ حـتى يضـع اللـه رجلـه فيهـا.. تدمر كل تلك المعاني التنزيهيه التي وردت في القــرآن الكــريم عن الله.

وأحاديثه عن موسى عليه السلام وجريه عريانـا أمـام بـني إسرائيل، ولطمه لملك الموت، وإحراقه لقـرى النمـل، وغيرهـا تمسخ كل تلـك الصـورة الجميلـة الـتي رسـمها القـرآن الكـريم لموسى والأنبياء عليهم السلام.

وأحاديثه عن رسول الله ﷺ، وأنه كان يؤذي ويســب ويلعن ويجلد من لا يستحق ذلك في حـال غضـبه، ولـذلك شـرط على الله تعالى أن يحول من كل تلك التصـرفات كفـارة لـذنوب من يتعـرض منـه لهـذا الشـر.. يقضـي على تلـك الصـورة الجميلـة لرسول الله ﷺ الممتلئ بالحنان والرحمة والحكمة.

وأحاديثه عن المرأة، وتحقيرها، وأنـه لـولا حـواء مـا خـانت امرأة زوجها، وحكايته عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو كنت آمرا أحـدا أن يسـجد لأحـد لأمـرت المـرأة أن تسـجد لزوجهـا)[1]،

1) ابن ماجة (1853)

وحديثـه (يقطـع الصـلاة: المـرأة والحمـار والكلب)، وحديثـه (الشؤم في ثلاثة: في الدار والمرأة والفرس) يقضـي على كـل تلك المعاني النبيلة الـتي وردت في القـرآن الكـريم عن كرامـة المرأة، وكونها شقيقة الرجل، لا تختلف عنه في شيء.

وأحاديثـه المتعلقـة بـالكون، وخارطتـه، وأنـه لـولا بـني إسرائيل لمـا خـنز اللحم، ودعوتـه لغمس الـذباب في الطعـام، وغيره كثير.. هي التي جعلت السلفية يخالفون العالم أجمع في علوم الفلك والجغرافيا والبيولوجيا وكل العلوم.

وأحاديثه المتعلقـة ببـني اسـرائيل، وأن أمـة منهم فقـدت، وبعد البحث عنها تبين أنهـا الفـأر بـدليل أن الفـأر إذا وضـع لهـا ألبان الابل لم تشرب، واذا وضع لها ألبان الشاة شربت.. ينسـخ كل معارف البشرية المتعلقة بالتاريخ والبيولوجيا وكل العلوم.

وحديثه عن بعض الصحابة، وأنه ــ بصـحبة أربعـة آلاف من الجيش ـ خاضوا في بحر لجـاج لم يـره أحـد قبلهم، ولا بعـدهم، فساروا عليـه بأقـدامهم، ولم تبتـل قـدم ولا خـف ولا حـافر في معجـزة أكـبر من معجـزة موسـى عليـه السـلام، يقضـي على أرخميدس وقوانينه، بل يقضي على كل قوانين البحار.

هذه مجرد نمـاذج عن أحـاديث أبي هريـرة، سـنتعرض لهـا ولغيرها بتفصيل في الفصل الثاني من هـذا الكتـاب، وهي تـبين خطورة الأحاديث التي رواها.. ولا يهم عدد تلك الأحاديث.. فقـد يقضي ذئب واحد على قطيع كامل من الغنم.. وهكذا فعلت تلك الأحاديث.

فنحن بين أمرين، بين حماية الذئب الذي سطا على الغنم، أو بين وضع سياج له يحول بينه وبين الوصول إليها.

ومشكلة أصـحاب العواطـف المجـردة والـورع البـارد أنهم لأجل الحرص على سـمعة أبي هريـرة يحطمـون سـمعة أعظم إنسـان محمـد رسـول اللـه ﷺ.. ويحطمـون سـمعة أعظم دين ممتلئ بكل القيم النبيلة.

فأيهما أشد خطرا أن يعتبروا أبا هريرة اجتهد مثلما اجتهد ولي نعمته معاوية فأخطأ، وبذلك يحمون حبيبهم أبا هريرة، كما حموا حبيبهم معاوية، ويحمون معه سياج الدين وقيمه.. أو أن يعتبروه أصاب في كل ما روى، وأن عدالته مطلقة، وحينها سيحطمون كل قيم الدين، ويحطمون معها مكانة رسول الله ﷺ الممتلئ بالطهر والنبل والكمال.

بناء على هذا سنحاول في هذا المبحث تبيان الثغرات المرتبطة بالجانب الروائي في شخصية أبي هريرة، والتي أفرزها الجانب النفسي فيه، وقد رأينا أنه يمكن جمعها في ثغرتين خطيرتين:

الأولى: الحشو والإغراب، فأبو هريرة كان لشدة حرصه على الحديث يجمع من كل من هب ودب من غير تحقيق ولا تثبت، ويحاول أن يغرب في ذلك لإرضاء جماهير المحيطين به.. وهي صفة قربته للسلفية وحببتهم فيه، فكلاهما يميل إلى الحشو كما يميل إلى الإغراب.

وثانيهما: التدليس والخلط، فأبو هريرة لم يكتف برسول الله ﷺ.. بل أضاف إليه الكثير من الروايات.. سواء تلك التي اجتهد فيها.. أو تلك التي رواها عن غيره، وخصوصا كعب الأحبار.

وسنحاول هنا إثبات ذلك من خلال الروايات والمصادر المعتبرة لدى السلفية.

1 ـ الحشو والإغراب:

من أول مظاهر الشخصية الروائية لأبي هريرة، وأكثرها خطرا ظاهرة الحشو والإغراب، وهي تعني الجمع من دون تمحيص ولا تحقيق ولا غربلة ولا تثبت.. وهي نفس الصفة التي اتسم بها السلفية في عصورهم المختلفة، ولذلك لقبوا بالحشوية، من طرف الكثير من العلماء المتقدمين، وخاصة المتكلمين منهم.

وأبـو هريـرة والسـلفية في هـذا يشـبهون ذلـك الصـحفي اللاهث وراء جمع أكبر قـدر من المعلومـات المرتبطـة بالحادثـة التي يريد الحديث عنها من دون التحقق منها، أو التحقيق فيهـا، لأن هدفه الوصـول إلى الخـبر، وإمتـاع فضـول السـامع بـه، ولا بأس ـ إن كان كاذبا ـ أن يصدر تكذيبه بعد ذلك.

ولعل سبب هذا هو أن أبا هريرة يحاول التعويض عن تـأخر صحبته لرسول الله ﷺ بجمع أكبر قدر من الروايات، وهو هـدف نبيل لو أضـاف إليـه التحقـق والتثبت، لأن الحـديث الواحـد كمـا ذكرنا قد ينسخ الجبال من الحقائق.

وقد ورد في الروايـات الكثـيرة مـا يـدل على أنـه اتهم من لدن الصحابة، بل كبارهم بسـبب ذلـك بالكـذب على رسـو اللـه ﷺ، وقد أشار إلى ذلك، بل صرح بـه فيمـا رواه أبـو رزين قـال: خرج إلينا أبو هريرة، فضرب بيده على جبهتـه، فقـال: (ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله ﷺ لتهتدوا وأضل..) (1)

ومن الصحابة الذي ورد النص الصريح بتكذيبهم له سعد بن أبي وقـاص، فقـد نقـل ابن عسـاكر رد سـعد بن أبي وقـاص لروايته، فقال: (حدث أبو هريرة، فرد عليـه سـعد فتواثبـا حـتى قامت الحجزة، وأرتجت الأبواب بينهما) (2)

ومنهم عبد الله بن عمر الـذي كذبـه بصـراحة ليس فوقهـا صراحة، فقد حدث طـاووس قـال: (كنت جالسـا عنـد ابن عمـر فأتـاه رجـل فقـال: إن أبـا هريـرة يقـول: إن الـوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا، فقال ابن عمر: كـذب أبـو هريـرة جـاء رجـل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن صـلاة الليـل فقـال: مثـنى مثـنى

1) رواه مسلم ج3 ص1660.

2) تاريخ دمشق ج67 ص 346.

فإذا خشيت الصبح فواحدة) (1)

وهكذا رد عليه حديثه في فضل اتباع الجنائز، فقـد ورد في الحـديث الـذي رواه البخـاري: (حُـدث ابن عمـر أن أبـا هريـرة يقول: من تبع جنازة فله قيراط، فقال: أكـثر أبـو هريـرة علينـا) (2)

ومنهم عائشة التي اعترضت عليه في رواياتـه، بـل اتهمتـه بالكذب، لكنـه بـدل أن يخضـع لقولهـا، ويحـترم محلهـا، وكونهـا أسبق منه للإسلام، وأكثر قربا منه لرسول اللـه ﷺ، راح يتهمهـا بكونها كانت مشغولة عن رسول الله ﷺ.

ففي الحديث عن سعيد بن العاص عن عائشـة: أنهـا دعت أبا هريرة، فقالت له: يا أبا هريرة، ما هذه الأحاديث الـتي تبلغنـا أنك تحدث بها عن النبي ﷺ، هـل سـمعت إلاّ مـا سـمعنا؟ وهـل رأيت إلاّ ما رأينا؟ قال: يا أماه، إنه كان يشغلك عن رسول اللـه ﷺ المرآة والمكحلة، والتصـنع لرسـول اللـه ﷺ، وإني واللـه مـا كان يشغلني عنه شيء) (3)

ولسـت أدري لم لم يلتفت السـلفية لهـذا الطعن الخطـير من أبي هريـرة في أم المؤمـنين عائشـة، واتهامهـا بانشـغالها بنفسها عن رسول الله ﷺ.. وهل هنـاك تهمـة أخطـر من هـذا؟ وهل يمكن لزوجة أن تنشغل عن زوجها، وخاصة إن كان رسولا لله؟

بل إنها أنكرت عليه إنكارا شديدا ما رواه عن رسـول اللـه ﷺ أنه قال: (يقطع الصلاة المـرأة والحمـار والكلب، ويقي ذلـك

---

1) جامع بيان العلم وفضله: ج2ص 1101، قال محقق الكتاب أبو الأشبال الزهيري: إسناده صحيح، ومن هذا الوجه أخرجه النسائي في (الكبرى) كما في التحفة (5/ 238)

2) صحيح البخاري: ج2 ص110.

3) فتح الباري 7/76.

مثل مؤخرة الرحل) (1)

حيث ردت عليه بقولها: (قد شبهتمونا بالحمير والكلاب. والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة، فتبدو لي الحاجة، فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله ﷺ فأنسل من عند رجليه) (2)

وفي رواية قالت: (إن المرأة لدابة سوء، لقد رأيتني بين يدي رسول الله ﷺ معترضة كاعتراض الجنازة وهو يصلي)

وردت عليه ما رفعه إلى النبي ﷺ من قوله: (إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار) بغضب شديد، وصفه الراوي بقوله: (فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض)، ثم قالت: (والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: (كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة، ثم قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]) (3)

وهذه الروايات كلها مقبولة لدى السلفية، ولسنا ندري من نصدق فيها، هل عائشة زوج رسول الله ﷺ، أو أبا هريرة.. وفي حال تكذيبنا له، فإن هذا سيجعلنا نشك في باقي أحاديثه، لأن من قواعد المحدثين إلقاء التهمة على من كذب في حديث واحد.

ومثل ذلك كان موقف عمر ـ الذي عرفنا سابقا أنه اتهمه في أمانته ـ وقد أضاف إلى ذلك اتهامه في صدقه، بل هدده بتسليط العقوبة عليه إن حدث عن رسول الله ﷺ.. ولهذا قلت

(1) مسلم (1/365، رقم 511)

(2) رواه أحمد 6/41، والبخاري 1/136 ومسلم 2/60.

(3) رواه أحمد: 6/150 وفي 6/240 وفي 6/246.

روايته في عهده، ولم يتحرر إلا في عهد معاوية.

وقد روي عن أبي سلمة أنه قال لأبي هريره: أكنت تحـدث في زمان عمر هكـذا؟ فقـال: (لـو كنت أحـدث في زمـان عمـر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته) [1]

وقد روى مسـلم أن عمـر بن الخطـاب ضـربه لمـا سـمعه يحدث عن رسول الله ﷺ بهذا الحـديث الإرجـائي الخطـير: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) [2]

وقد قال الشـيخ المحـدث رشـيد رضـا معلقـا على موقـف عمر: (لو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة لمـا وصـلت إلينـا تلك الأحاديث الكثيرة) [3]

ولسـت أدري لم لا يعمـل السـلفية هنـا بسـنة عمـر الـتي يــدعون لهــا كــل حين، بــل يصــرخون في كــل حي باســمه، ويزعمون أنه سلفهم، وأنهم أتباعـه من دون النـاس، فقـد كـان عمر من أكثر الصحابة شدة على الحشوية الـذين يـروون مـا لا يتثبتون في روايته، وقد روي عن أبي سـعيد الخـدري قـال:كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً، فلم يـؤذن لي فـرجعت، فقـال: ما منعـك؟ قلت: اسـتأذنت ثلاثـاً فلم يـؤذن لي فـرجعت، وقـال رسول الله ﷺ: (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن لـه فلـيرجع). فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سـمعه من النـبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معـك إلا أصـغر القـوم، فكنت أصـغر القــوم فقمت معــه، فــأخبرت عمــر أن النــبي ﷺ قــال ذلك[4].

---

1) تذكرة الحفاظ (1/ 12)

2) صحيح مسلم ج 1 ص 201.

3) مجلة المنار ج 10 ص 851.

وروي عن هشام،عن أبيه، أن عمر نشد الناس: من سمع النبي ﷺ قضى في السقط، فقال المغيرة: أنا سمعته قضى فيه بغرة عبد أو أمة، قال: ائت بمن يشهد معك على هذا، فقال محمد بن مسلمة: أنا أشهد على النبي ﷺ بمثل هذا) (1)

وفي رواية في صحيح البخاري عن المغيرة بن شعبة قال: سأل عمر بن الخطاب عن إملاص المرأة؛ هي التي يضرب بطنها فتلقي جنينا فقال: أيكم سمع من النبي ﷺ فيه شيئا، فقلت: أنا، فقال: ما هو؟ قلت: سمعت النبي ﷺ يقول: (فيه غرة عبد أو أمة)، فقال: لا تبرح حتى تجيئني بالمخرج فيما قلت، فخرجت، فوجدت محمد بن مسلمة، فجئت به، فشهد معي أنه سمع النبي ﷺ يقول: (فيه غرة عبد أو أمة) (2)

وهكذا كان الكثير من الصحابة لا يقبلون أي حديث يروى لهم، خشية أن يدس في السنة ما ليس منها، وقد روي عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: 13] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]؟ أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ

4) رواه البخاري 11 / 23، ومسلم رقم (2153)، والموطأ 2 / 963 و964.

1) البخاري: (6/2531)

2) البخاري: (6/2531)

مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى: 51]؟ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ [المائدة: 67]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل: 65]) (1)

وفي هذه الرواية نلاحظ كيف كانت عائشة تعرض الروايات التي كانت تنتشر في عهدها على القرآن الكريم، لأنه يستحيل أن تعارض السنة القرآن.

ولهذا كان موقف السلفية شديدا على عائشة في هذه الناحية، ويفضلون أبا هريرة وأمثاله عليها، وقد قال ابن خزيمة الذي يلقبونه [إمام الأئمة] ردا عليها: (هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، ولو كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها.. ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها) (2)

ولم يكن الإنكار على أبي هريرة خاصا بعمر وعائشة، بل شمل الإنكار كثيرا من الصحابة السابقين، ومنهم الزبير بن العوام الذي قال واصفا روايته للحديث: (صدق كذب، صدق كذب)، فسأله ابنه عن معنى كلامه؟ فقال: (أمّا أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا شكّ، ولكن منها ما وضعه على مواضعه، ومنها ما لم يضعه على مواضعه)(3)

وهكذا أنكر الحنفية أحاديثه التي ينفرد بها، ولم يأخذوا بها،

---

1) أحمد 6/236، والبخاري 4/140، ومسلم 1/110 و111.

2) التوحيد لابن خزيمة (2/ 556)

3) انظر: تاريخ مدينة دمشق، 67: 356 (8895)، البداية والنهاية، لابن كثير 8: 117.

بل قدموا عليها القياس، مع العلم أنه لا اجتهاد في موضع نص، وقد نقل محمّد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة - عن أبي حنيفة قوله: (أُقلّد من كان من القضاة من الصحابة: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والعبادلة الثلاثة، ولا أستجيز خلافهم برأيي، إلاّ ثلاثة نفر)، وفي رواية: (أُقلّد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأي إلاّ ثلاثة نفر: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وسمرة بن جندب)، فقيل له في ذلك؟! فقال: أمّا أنس، فاختلط في آخر عمره، وكان يفتي من عقله، وأنا لا أُقلّد عقله؛ وأمّا أبو هريرة، فكان يروي كلّ ما سمع من غير أن يتأمّل في المعنى، ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ) (1)

وروى أبو يوسف صاحب أبي حنيفة المعروف قوله: (قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيء عن رسول الله ﷺ يخالف قياسنا، ما تصنع به؟ فقال: إذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأي. فقلت: ما تقول في رواية أبي بكر وعمر؟ قال: ناهيك بهما. فقلت: وعليّ وعثمان؟ قال: كذلك. فلمّا رآني أعدّ الصحابة، قال: والصحابة كلّهم عدول ما عدا رجالاً، ثمّ عدَّ منهم أبا هريرة، وأنس بن مالك) (2)

ومن أبرز الأمثلة العملية على اتهام الحنفية لأبي هريرة، وتركهم حديثه إذا عارض قياسهم، تركهم لحديث المُصَرّاة الذي رواه أبو هريرة(3).

ومثل ذلك قولهم ببطلان الصلاة بالكلام مطلقاً، ولو عن نسيان، أو جهل، أو ظنّ المصلّي بأنّه خرج من الصلاة، خلافا لحديث أبي هريرة، الذي حدّث بأنّ النبيّ ﷺ سها فسلّم في

---

1) مختصر المؤمل في الردّ إلى الأمر الأوّل، لأبي شامة 1: 62 - 63 (148، 149).

2) نقلا عن: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 4: 68 (56)

3) وهي: البقرة، أو الشاة، أو الناقة، يجمع اللبن في ضرعها ويحبس أياماً لا تحلب فيها لإيهام المشتري أنّها غزيرة اللبن، وقد عللوا ذلك بأن أبا هريرة غير فقيه، وحديثه هذا مخالف للأقيسة بأسرها؛ فإنّ حلب اللبن من التعدّي، وضمان التعدّي يكون بالمثل أو القيمة، والصاع من التمر ليس واحداً منها.

الرباعية عن ركعتين، ثمّ قام من مصلاّه ودخل حجرته، ثمّ رجع فقيل له: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال: لم تقصر، ولم أنسَ. فقالوا: بلى، صلّيت بنا ركعتين. وبعد حوار كان بينه وبينهم أيقن ممّا يقولون، فبنى على الركعتين وأتمّ الصلاة، ثمّ سجد للسهو(1).

وهكذا نجد الحنفية لا يبنون على الأحاديث التي يرويها أبو هريرة، وينفرد بروايتها أي حكم فقهي، وكل ذلك من اتهامهم له، فهم لا يشترطون ستر العورة في الطواف، خلافا لحديث هريرة: (لا يطوف بالبيت عريان) (2)

وهم يقولون ببطلان الفريضة بطلوع الشمس على خلاف حديث أبي هريرة في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ، قال: (من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس، فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس، فقد أدرك العصر)(3)

وهم يقولون بعدم وجوب الفدية على من أفطر لعذر ولم يصم إلى رمضان الآخر، خلافاً لما روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ في رجل مرض في رمضان، ثم صحّ ولم يصم حتّى أدركه رمضان آخر، فقال: (يصوم الذي أدركه، ويطعم عن الأوّل لكلّ يوم مدّاً من حنطة لكلّ مسكين) (4)

وهم يقولون بمنع وقف المنقول، خلافاً لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ما ينقم ابن جميل إلاّ أنّه كان

1) صحيح البخاري 1: 175، صحيح مسلم 2: 86.

2) قال ابن حجر في (فتح الباري): (قوله: باب لا يطوف بالبيت عريان)، أورد فيه حديث أبي هريرة في ذلك، وفيه حجّة لاشتراط ستر العورة في الطواف كما يشترط في الصلاة... والمخالف في ذلك الحنفية؛ قالوا: ستر العورة في الطواف ليس بشرط) (فتح الباري 3: 387)

3) صحيح البخاري 1: 144.

4) سنن الدارقطني 2: 176، 177.

فقيراً فأغناه الله ورسوله، وأمّا خالد فإنّكم تظلمون خالداً قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله) (1)

وليس هذا الموقف خاصا بفقهاء الحنفية، بل إنه شمل الكثير من التابعين ومن بعدهم، وقد عبر عن ذلك إبراهيم النخعي وهو من كبار التابعين المعتبرين لدى السلفية، فقد قال: (كانوا يتركون أشياء من أحاديث أبي هريرة) (2)،وقال: (كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة ويدعون) (3)، وقال: ((كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً))(4)

بل عبر عن ذلك بعبارة جامعة خطيرة، ليت السلفية طالعوها وتدبروها وأعملوها إن كانوا يزعمون حقيقة أنهم يرجعون إلى السلف، ويأخذون عنهم، فقد قال: (لم يكونوا يأخذوا من حديث أبي هريرة إلاّ ما كان في صفة جنّة أو نار)(5)

وهكذا أنكر المعتزلة حديثه، فقد روي عن أبي جعفر الإسكافي قوله: (وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا، غير مرضي الرواية، ضربه عمر بالدرّة، وقال له: قد أكثرت الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ)(6)

وهكذا كان موقف الشيعة منه، فقد رووا عن الإمام عليّ

---

1) صحيح البخاري 2: 129، صحيح مسلم 3: 68.

2) العلل، لأحمد بن حنبل 1: 428 الحديث (946)

3) الفصول في الأُصول، للجصّاص 3: 127.

4) تاريخ مدينة دمشق 67: 360 (8895)

5) تاريخ مدينة دمشق 67: 361 (8895)

6) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 4: 67.

قوله: (ألا إنّ أكذب الناس - أو قال: أكذب الأحياء - على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي) (1)

ورووا عن الإمام جعفر الصادق قوله: (ثلاثة كـانوا يكـذبون على رسول الله ﷺ: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة) (2)

وكل ذلك الإنكار بسبب تسرعه وعدم تثبته، ومحاولته جمع أكبر قدر من الروايات لينال الـرقم القياسـي في الروايـة، وقـد عبر عن ذلـك فقـال: (لم يكن أحـد من أصـحاب النـبي ﷺ أكـثر حديثاً مني إلاَّ عبد الله بن عمرو، فإنه كتب ولم أكتب) (3)

بناء على هذا سنحاول أن نذكر هنا باختصـار بعض مظـاهر الحشـو والإغـراب في أحـاديث أبي هريـرة، والـتي تـدعونا إلى المزيد من التثبت فيها.

أ ـ الحشو في أحاديث أبي هريرة:

من أول مظاهر الحشو عند أبي هريرة اهتمامه بأن يكــون أكثر الصحابة رواية حتى أنه كان يتسابق مع من يراه يحفــظ أو يروي أكثر منه، فعن المغيرة بن حكيم ومجاهد أنهما سـمعا أبـا هريرة يقول: (ما كان أحد أحفظ لحديث رسـول اللـه ﷺ مـني، إلاَّ عبد اللـه بن عمـرو، فـإني كنت أعـــي بقلـبي، ويعي بقلبـه ويكتب، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له)(4)

وعن المغيرة بن حكيم أنه سمع أبا هريرة يقول: (مـا كـان أحـد أعلم بحـديث رســــول اللـه ﷺ مـني إلاَّ عبـد اللـه بن عمرو، فإنه كان يكتب بـيـده، فاسـتأذن رسـول اللـه ﷺ فـأذن

1) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 4: 68.

2) الخصال: 190 الحديث (263)

3) تقييد العلم: ص82.

4) تقييد العلم: ص82.

له، فكان يكتب بـــيـــده، ويعي بقلبـه، وإنمـا كنت أعي بقلـبي) (1)

وعند التأمل البسيط فيما ذكره أبـو هريـرة نكتشـف سـرا خطـيرا من أسـرار تقـديم أبي هريـرة على غـيره، ذلـك أنـه ـ بحسب قول أبي هريرة ـ فإن أحاديث عبد اللـه بن عمـرو أكـثر عددا من أحاديثه، لكن الواقع لا يقول بذلك، فروايات عبـد اللـه بن عمـرو لا تعـدو الـ(1000) حسـب روايـة ابن الأثـير و(700) عند ابن الجوزي لم يرو منها البخاري غـير ثمانيـة ومسـلم غـير عشرين (208)

وسبب ذلك أن الفئة الباغية وفرت لأبي هريرة من التلاميذ ومن البيئة المناسبة، ما لم توفره لعبد الله بن عمرو، ولا لغيره من الصحابة، وقد قال ابن حجـر تعليقـا على قـول أبي هريـرة، وتبريرا لغياب أحاديث عبد الله بن عمرو: (هذا استدلال من أبي هريرة على ما ذكره من أكثرية ما عند عبـد اللـه بن عمـرو، أي ابن العاص، على ما عنده. ويستفاد من ذلك أن أبا هريـرة كـان جازماً بأنَّه ليس في الصحابة أكـثر حـديثاً عن النـبي ﷺ منـه إلاَّ عبد الله، مع أن الموجود المروي عن عبد اللـه بن عمـرو، أقـل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة) (2)

وقد برر ذلك بتبريرات هزيلة لا يصح اعتبارها، (أحــدها: إن عبد الله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشـتغاله بـالتعليم. فقلّت الرواية عنه. ثانيها: إنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو الطائف ولم تكن الرحلة إليها ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحـديث إلى أن مات.. ثالثها: ما اختصَّ به أبو هريرة من دعوة النبي ﷺ لـه بأنـه لا ينسى ما يحدث به.. رابعها: إن عبـد اللـه كـان قـد ظفـر في الشام بحمـل جمـل من كتب أهـل الكتـاب، فكـان ينظـر فيهـا،

---

(1) تقييد العلم: ص83.

(2) فتح الباري: ج1 ص217.

ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثرت أئمة التابعين..)(1)

وأحسن من تبريراته ما ذكره الشيخ حسن بن فرحان المالكي في مقال مهم له حول الموضوع، حيث تساءل تساؤلا مشروعا عبر عنه بقوله: (مع أن هناك خلافا في أبي هريرة خاصة، لكن تعالوا نتعلم ونسأل: فأبو هريرة مثلاً أسلم عام 7 هـ ومات عام 57هـ، وسعد بن أبي وقاص من أوائل من أسلم بمكة، وشهد المشاهد كلها، ومات في السنة نفسها تقريباً (57هـ) ومكانهما واحد، فلماذا أحاديث سعد (121) فقط؟!)(2)

ثم أجاب عن ذلك بتساؤل آخر مشروع عبر عنه بقوله: (هذا سؤال مشروع.. رجل صحب النبي ﷺ سنتين أو ثلاثاً يروي أكثر من ثلاثة آلاف، ورجل صحب النبي ﷺ 23 سنة يروي فوق المئة فقط، والطلاب هم الطلاب، بمعنى أن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة كلاهما مدنيان، وسنة الوفاة واحدة، وسعد من أول من أسلموا، وأبو هريرة من آخر من أسلمو.. وليس معروفاً عن سعد أنه يمتنع عن الحديث، فلماذا انهال رواة التابعين على أبي هريرة وتركوا سعد بن أبي وقاص البدري؟)(3)

ثم أجاب الإجابة المنطقية التي يدل عليها كل شيء، فقال: (إنه الرضا السياسي)

ثم بين البراهين الدالة على هذا الرضا، فقال: (سعد بن أبي وقاص كان يعاند سياسة معاوية، وينكر عليه، ويذكره بفضائل علي ويمتنع من سبه، فموقفه السياسي قلل رواته وأحاديثه بعكس أبي هريرة الذي - وإن كان يمانع أحياناً - إلا أن أبناءه كانوا من قواد معاوية يوم صفين، ودخل هو مع معاوية

---

(1) فتح الباري: ج1 ص217.

(2) انظر مقالا له على موقعه الإلكتروني بعنوان [علم الحديث - أمانة أهل الحديث...ـ في الميزان]

(3) المرجع السابق.

الكوفـة، وولي لـه على المدينـة.. فالرضـا السياسـي عن أبي هريرة أدى لتكالب الناس عليه، كما أن السخط السياسـي على سعد بن أبي وقاص أضاع كثيراً من أحاديثه) (1)

وقد ذكر الشيخ حسـن بن فرحـان المـالكي بعض مظـاهر الخصـــومة بين معاويـــة وســـعد بن أبي وقـــاص، وهي نفس الخصومة التي كان يواجـه بهـا معاويـة السـابقين من الصـحابة، فقال: (أنا اقول هذه الأمـور باختصـار شـديد، ولا أريـد أن أذكـر المواقف، ولا أن سعد بن أبي وقاص مات مسموماً على الأرجح من معاوية، ولا أن معاوية كان يشـكك في نسـب سـعد بن أبي وقاص وقال له: (يأبى عليك الخلافة بنو عـذرة) فهـو يتهمـه في نسبه، وأنه من بني عذرة، وهم ليسوا من قريش) (2)

ونفس التسـاؤلات تطـرح عنـد مقارنـة عـدد أحـاديث أبي هريرة بأحـاديث غـيره من الصـحابة ممن سـبقوه في الإسـلام، لكنهم حرموا من الرضا السياسي من الفئة الباغية ممـا صـرف التلاميذ عنهم.

ومثله أبو حميد السـاعدي(3) الـذي تـوفي بعـد أبي هريـرة بثلاث سنوات، (توفي بعد عام 60 هـ)، وسبقه إلى الإسلام، بـل كان من البدريين، ومع ذلك لم يرووا عنه سوى ثلاثـة أحـاديث.. فهل يعقل أن يصحب رجل رسول الله ﷺ كل تلك المدة، ويرى بدرا وأحدا والأحزاب، وغيرها كثير، ومـع ذلـك لا يـروي إلا ثلاثـة أحاديث؟

ومثلـه أم سـلمة زوج النـبي ﷺ(4) الـتي تـوفيت بعـد أبي

---

1) المرجع السابق.

2) المرجع السابق.

3) انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 80)

4) انظر ترجمتها في الإصابة في تمييز الصحابة (8/ 404)

هريرة بأربع سنوات (توفيت سنة 61 هـ)، ومع ذلك لم تروِ سوى 158 حديثا.. مع أنها كانت من السابقين للإسلام، وهاجرت للحبشة، ثم عادت مع زوجها أبي سلمة، وتحاصرا في الشعب مع بني هاشم، ولم يشترك أحد غيرهما مع بني هاشم.. وسبب ذلك التقصير في الرواية عنها هو موقفها المتشدد من معاوية والفئة الباغية معه، فقد كانت معارضة شديدة للعن الإمام علي على المنابر، ورثت الحسين، وروت فضائل أهل البيت.. ولذلك لا يكاد السلفية يذكرونها أو يهتمون بها، لأنهم يرتبون أمهات المؤمنين بحسب مواقفهم من معاوية، لا بحسب كونهن أمهات المؤمنين.

ومثله صالح شقران[1] مولى النبي ﷺ الذي توفي بعد أبي هريرة بثلاثة عشر عاماً (توفي عام 70 هـ)، ومع ذلك لم يرووا عنه سوى حديث واحد فقط، رغم أنه بدري، ومولى للنبي ﷺ، والمولى أقرب من غيره[2].. ومع ذلك لم يرووا عنه إلا حديثا واحدا فقط.. وسبب ذلك بسيط، وهو أن صالحا كان قد قاتل مع الإمام علي بصفين، وهو مولى للنبي ﷺ نفسه، وكل ذلك ساهم في (إماتة حديثه وسيرته، كل تلامذة أبي هريرة بقوا بعد أبي هريرة في المدينة ثلاثة عشر عاماً، وقد انقطع حديث أبي هريرة بموته، فلماذا لم يبحثوا عن صحابة كشقران؟)[3]

ومما يدل على كون الرضا السياسي هو السبب في كثرة أحاديث أبي هريرة هو كون أكثر الروايات الواردة عن أبي هريرة رواها أبو سلمة بن عبد الرحمن، وكان مقربا للفئة

1) وهو مولى رسول الله ﷺ، واسمه صالح بن عديّ، قال ابن حجر: (وكان حبشيا، يقال أهداه عبد الرّحمن بن عوف لرسول الله ﷺ، ويقال اشتراه منه فأعتقه بعد بدر، ويقال: إن النّبيّ ﷺ ورثه من أبيه هو وأمّ أيمن، ذكر ذلك البغويّ عن زيد بن أخرم، سمعت ابن داود يعني عبد اللَّه الخريبي يقول ذلك.. وقال أبو حاتم: يقال إنه كان على الأسارى يوم بدر، وكذا حكى ابن سعد، وزاد: لم يسهم له لكونه مملوكا، لكن كان كلّ من افتدى أسيرا وهب له شيئا، فحصل له أكثر مما حصل لمن شهد القسمة) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (3/ 284)

2) ومن دلائل قربه من رسول الله ﷺ ما رواه التّرمذيّ، عن شقران، قال: أنا واللَّه طرحت القطيفة تحت رسول اللَّه ﷺ في القبر. ورواه ابن السّكن من طريق ابن إسحاق عن الزّهري عن علي بن الحسين، قال: نزل في قبر رسول الله ﷺ العبّاس، والفضل، وشقران، وأوس بن خولي، وكان شقران قد أخذ قطيفة كان النبيّ ﷺ يلبسها فدفنها في قبره.

3) علم الحديث - أمانة أهل الحديث... في الميزان، للشيخ حسن بن فرحان المالكي.

الباغية، بل كان يعمل شرطياَ وقاضياَ لمعاوية ومروان.

ومن العجيب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن روى من حديث أبي هريرة أكـثر من سـعيد بن المسـيب على الـرغم من كونـه كان صهرا لأبي هريرة، وزوجا لابنته، ومع أنه أقـدم صـحبة لأبي هريرة منه، وماتا في سنة واحدة (94هـ)

وسبب ذلك بسيط، وهو سعيد بن المسـيب لم يكن مقربـا من الفئة الباغية، بل (كان يدعو على بني مـروان في سـجوده، ويتهم معاوية بأنـه (أول من رد قضـاء رسـول اللـه ﷺ، ويصـرح بذمه، كل هذا بأسانيد صحيحة)

وعلى خلاف سعيد بن المسيب نرى الزهـري يشـتهر أكـثر من غـيره من تلامـذة أبي هريـرة، والسـبب بسـيط، وهـو أن الزهري كان مقربا للفئة الباغية، بل (عمل في بلاط عبد الملـك ثم الوليد ثم سليمان ثم يزيـد بن عبـد الملـك ثم هشـام، وكتب حديثه في بلاط هشام بن عبـد الملـك، ورواتـه مـوالي هشـام.. ونصــف الحــديث في الكتب الســتة يكــاد يكــون عن الزهــري وتلامذته كشعيب بن أبي حمزة ويـونس بن يزيـد الأيلي وعقيـل بن خالد (كلهم موالي لبني أمية)]. وقـد عاصـر الزهـري علمـاء أجل منه مدنيون (بينما هو شامي وشيوخه مدينون)، فمن أهــل المدينة من طبقة الزهـري محمـد البـاقر وزيـد بن علي وربيعـة الرأي)

والسبب في ذلك هـو الرضـا السياسـي من الفئـة الباغيـة سـوى كـان ذلـك الرضـا متوجهـا للصـحابة أو للتـابعين أو من بعدهم.

وليس الأمر قاصرا على تلاميذ أبي هريرة، بـل يتعـداه إلى تلاميذ غـيره من الصـحابة، فـأكبر من روى أحـاديث عائشـة هـو عروة بن الزبير، لكونه كان من أكـثر التـابعين قربـا من معاويـة والفئة الباغية، (وقد مدحه أهل الحديث، وهو عند التحقيق متهم بكثـير من أحـاديث عائشـة، ومعظم الأحـاديث الـتي يحتج بهـا الشيعة في تكـذيب عائشـة، أو يحتج بهـا المستشـرقون في ذم

النـبي ﷺ هي من طريـق عـروة عن عائشـة، أنـا اتهم عـروة.. فأحاديثه عن عائشـة فيهـا الكثـير من الإسـاءة لرسـول اللـه ﷺ ولعائشــة نفســها، كمــا أن المكــثر عنــه ابنــه هشــام (صــديق المنصور)، وهو يروي عن أبيه عن عائشة، هذا الطريـق (هشـام بن عروة عن أبيه عن عائشة) مادته المسيئة خـرجت في كثـير من الكتب والأفلام التي تسيء للنبي ﷺ)

ب ـ الإغراب في أحاديث أبي هريرة:

من الظواهر البادية للعيـان في أحـاديث أبي هريـرة كونهـا تميل إلى الإغراب والخيال أكثر من روايات غيره من الصــحابة، بـل يصـح أن نعتـبره أول مخـرج لهـذا النـوع من الروايـات في التاريخ الإسلامي، ولعل سبب ذلك يعود لتلمذته الطويلــة لكعب الأحبار، ولكتب أهل الكتاب كما سنرى أدلـة ذلـك لاحقـا، ويعـود أيضا لرغبته في إرضاء جمهور المحيطين به، وهم عادة ـ كسائر البشر ـ يميلون للحكايات والقصص الغريبة التي ترضي الخيال، وإن كانت تتصارع مع العقل.

وهذه السمة في روايات أبي هريرة هي الـتي جعلتـه أكـثر الصحابة قربا من العقل السلفي، فهو عقل لا عقلاني، يقبل كل ما يستحسنه الخيال، ويرضى عنه، ولا يهم بعد ذلك أن يتنــاقض مع العقل، أو لا يتناقض، فالعقل لا أهمية له عنـد السـلفية، بـل هم يذكرون أن كل حديث ورد في شأنه إما ضعيف أو موضـوع، وكل آية تدعو إلى استعماله مؤولـة أو محـددة بـزمن معين هـو زمن السلف.. وبعدها ينتهي دور العقل ليبدأ دور التبعية.

وسنذكر هنا باختصـار بعض الروايـات الغريبـة الـتي حـدث بها، ووقعت له، وسـنذكر في الفصـل الثـاني نمـاذج أخـرى عن الأحاديث الغريبة التي رواها عن بني إسرائيل وغيرهم..

فمن تلك الأحاديث هذه القصة العجيبة التي أخبر فيهـا عن خـوارق كـبرى رآهـا بزعمـه آلاف النـاس، ومـع ذلـك لم يهتمـوا بروايتها ولا إشاعتها، ولا نقلها، وكأنها حدث عادي لا قيمة له.

وقد عبر عن تلك الرواية بقوله: (لمـا بعث النـبي ﷺ العلاء

بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب، انتهينا إلى ساحل البحر فقال: (سموا الله واقتحموا)، فسمينا الله واقتحمنا، فعبرنا فما بل الماء أسافل أخفاف إبلنا، فلما قفلنا صرنا معه بفلاة من الأرض، وليس معنا ماء، فشكونا إليه فقال: (صلوا ركعتين)، ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا وأسقينا، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا فلم نره(1).

وهذه غرائب لم تحصل لرسول الله ﷺ نفسه، ومع كبار الصحابة، ونحن نعرف جيدا ما حصل للمسلمين في أحد والأحزاب وتبوك وغيرها، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك الرعب الشديد الذي أصاب المسلمين في غزوة الأحزاب مع كون رسول الله ﷺ كان بينهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 9 - 11]

وجل ما حصل في تلك الغزوة هو تلك الريح الشديدة التي جعلت الأحزاب يتفرقون، وهو شيء لا يمكن مقارنته بتلك المعجزة التي ذكرها أبو هريرة، والتي جعلت جيشا بأكمله يسير على الماء من غير أن تبتل أحفاف إبلهم.

بل إن هذه المعجزة الكبيرة التي ذكرها أبو هريرة تفوق المعجزة التي حصلت لموسى عليه السلام، فموسى عليه السلام احتاج لأن ينشق البحر، حتى يسير على اليابسة، لكن أبا هريرة ومن معه لم يحتاجوا إلى ذلك، بل عطلوا كل قوانين المياه، ليسيروا عليه.

وهذا كله يدعو إلى الشك في روايته خاصة وأنه خص بهذه

---

1) الطبراني في الاوسط 4/15

الكرامـات العلاء الحضـرمي باعتبـاره ولي نعمتـه في البحـرين، مثلما كان جعفر ولي نعمته في المدينة، بالإضافة إلى أن أسرة العلاء كانت ذات علاقة كبيرة ببني أمية، فقد سـكن أبـوه مكـةَ، وحالف حَرْب بن أمية والد أبي سفيان، وتزوّج أَبـو سـفيان بنتـه الصعبة بنت الحضرمي.

ومن تلك الأحاديث الغريبة التي رواها عن نفسه قصته مـع المزود، فعنه قال: أتيت النبي ﷺ يومًا بتمرات، فقلت: ادع اللـه لي فيهن بالبركة، قال: فصفهن بين يديـه، قـال: ثم دعـا، فقـال لي: (اجعلهن في مزود، فأدخل يدك، ولا تنثره)، قـال: (فحملت منه كـذا وكـذا وسـقًا في سـبيل اللـه، ونأكـل، ونطعم، وكـان لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان، انقطع عن حقوي، فسقط) (1)

وهـــذا حـــديث ممتلئ بالغرابـــة، ويـــدعو إلى الكثـــير من التساؤلات، ولعل أولها هو ارتباطه بالجانب السياسي، فقد كـان لأبي هريرة ـ كما ذكرنا سابقا ـ موقـف سـلبي من الإمـام علي، ولذلك راح يصور في هذا الحديث أن البركة رفعت أيام ولايتـه.. بالإضـافة إلى أن من العجب أن تحصـل لـه مثـل هـذه الكرامـة العظيمة، ثم لا يحـدث بهـا في عهـد أبي بكـر ولا عهـد عمـر ولا عهد عثمان، بـل ينتظـر حـتى تـأتي الفئـة الباغيـة ليحـدثها بهـا، وليتزلف إليها عن طريق ذلك.

بالإضافة إلى ذلك كله، فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يضع الحجـر على بطنـه من الجـوع، وكـان ــ كمـا ورد في الأحـاديث الصـحيحة ــ لا يجـد من الـدقل مـا يملأ بطنـه، هـو والكثـير من صحابته.. فكيف لم يقم بتفعيـل البركـة في ذلـك الـوقت، ومـع غيره من الصحابة، وخص بها أبا هريرة من دون الناس.

وغيرهـا من التسـاؤلات الكثـيرة الـتي لا تعـني أننـا ننكـر الكرامات ولا البركات، ولكنا نعتبر أصل التكليف الإلهي مرتبــط بسـنن اللــه تعـالى العاديــة، لا بــالخوارق.. فللخــوارق مجالهــا

(1) رواه أحمد 2/ـ 352 والترمذي (3839)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه وقد روي من غير هـذا الوجـه عن أبي هريـرة. وقـال الألبـاني في صحيح الترمذي (3015): حسن الإسناد.

المحدود الضيق.

ومن تلك الأحاديث الغريبة التي رواها عن نفسه قصته مع الشيطان، والتي عبر عنها بقوله: (وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟)، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذَبك، وسيعود)، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني؛ فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟)، قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود)، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟)، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: (ما هي؟)، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: (أما إنه قد صدَقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟)، قال: لا، قال: (ذاك شيطان) [1]

---

1) البخارى (2/812، رقم 2187)

وهذا الحـديث ممتلئ بالغرابـة من نـواح كثـيرة جـدا، لعـل أوضـــحها معارضـــته لمـــا ورد في النصـــوص الكثـــيرة من أن الشـيطان يخنس عنـد ذكـر اللـه تعـالى، ومنهـا قولـه ﷺ: (إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس) (1)

وفي حديث آخر قـال ﷺ: (لا تقـل: تعس الشـيطان؛ فإنـك إذا قلت: تعس الشيطان، تعـاظم، وقـال: بقـوتي صـرعته، وإذا قلت: بسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب) (2)

وغيرها من الأحاديث الكثيرة، التي تبين معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4]

لكن الشيطان الذي وصفه أبا هريرة كان قويا إلى الدرجـة التي لم يفر منها عند سماع القرآن، أو عند ذكر الله، وإنمـا راح هو نفسه يقرأ القرآن الكريم، بل يقرأ سيدة آي القرآن.

بالإضافة إلى ذلـك، فـإن مـا ذكـره يخـالف تلـك النصـوص المقدســة الكثــيرة الــتي تــبين خطــورة الشــيطان، وعداوتــه الشــديدة للإنســان، كقولــه تعــالى: ﴿إِنَّ الشَّــيْطَانَ لَكُمْ عَــدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَـا يَـدْعُو حِزْبَـهُ لِيَكُونُـوا مِنْ أَصْـحَابِ السَّـعِيرِ﴾ [فاطر: 6]، لكن أبا هريرة جعله ناصحا وصادقا.

بالإضافة إلى ذلك كله، فإن هذا الحديث وغيره أشـاع تلـك الثقافة الخطيرة المرتبطة بعالم الجن والعفاريت، والـتي يحبهـا السلفية ويتمسـكون بهـا، ويبـدعون من يخـالفهم فيهـا.. مـع أن عالم الجن عالم مختلف عن عالمنا تمامـا، فلا حاجـة للشـيطان في التمر، ولا في أكله، ولـو أراد ذلـك لأخـذه من غـير أن يـراه أحد، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27]

---

1) مسند أبي يعلى (7/278،279)

2) رواه أحمد (5/59)

هذه بعض التساؤلات البسيطة حول الحـديث الـذي أصـبح شعارا للسلفية يرددونه كل حين، لصلته الشـديدة بعـوالم الجن والشـياطين، وليـبرروا حـواراتهم معهم أثنـاء الرقيـة، وليجـدوا الذريعة لكل الخرافات التي كان يلقيهـا ابن تيميـة على السـذج من أتباعه عن علاقته بعالم الجن والشياطين كمـا وضـحنا ذلـك في ردودنا المفصـلة على الرقيـة السـلفية في سلسـلة [الـدين والدجل]

ومن تلك الأحاديث الغريبة تصويره لأصحاب الصفة، وكيف كان حـالهم وفقـرهم في مجتمـع المدينـة المنـورة، وتحت عين رسول الله ﷺ، والصحابة الكبار، فقد وصفهم، فقال: (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصـفَّة مـا منهم رجـل عليـه رداء، إمـا إزار وإمـا كسـاء، قـد ربطـوا في أعنـاقهم، فمنهـا مـا يبلـغ نصـف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهيـة أن تـرى عورته)[1]

ومنها ذلك الحديث العجيب الغريب الذي تكذبه سـنن اللـه تعالى في كونه، كما تكذبه النصوص المقدسة، وهـو روايتـه عن النبي ﷺ أنه قال: (لـو تـابعني عشَـرة من اليهـود، لم يبـقَ على ظهرها يهودي إلا أسـلم)، وفي روايـة: (لـو آمن بي عشـرة من أحبــار اليهــود، لآمن بي كــل يهــودي على وجــه الأرض)، وفي رواية: (لو تابعني عشرة من اليهود، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم)، وفي رواية: (لو اتبعـني وآمن بي عشـرة من اليهـود، لأسلم كل يهودي) [2]

وهذا الحديث ممتلئ بكل أصناف الغرابـة، وللأسـف تلقـاه السـلفية بكـل أنـواع القبـول، لأن راويـه أبـو هريـرة، ومخرجـه البخاري ومسلم..

وأول تلك التساؤلات هو ارتباط العشرة من اليهـود بجميـع

---

1) رواه البخاري.

2) رواه أحمد 2/346 (8536) و2/416 (9377)، والبخاري: 5/89 (3941) ومسلم 8/128.

يهود العالم كما تنص على ذلك بعض روايات الحديث.. فهل للعقول العشرة تأثيرها على جميع من عداها من العقول؟

ثم إن المسيح عيسى عليه السلام اتبعه من اليهود أكثر من عشرة بكثير.. ومع ذلك لم يتبعه أكثر اليهود.. ومثله كل أنبياء بني إسرائيل، فقد كان لهم من الحواريين ــ كما ورد في الحديث ـ ما هو أكثر من العشرة.. ومع ذلك لم يؤمن باقي اليهود، ولم يخضعوا لأنبيائهم.

فهذا الحديث يهدم كل قوانين التكليف الإلهي ونظامه الكوني المرتبط بحرية كل إنسان في اختيار ما يراه مناسبا.

بل يهدم تلك البرمجة الإلهية للعقول، والتي تجعل كل عقل كائنا قائما بذاته، لا يمكن لأحد أن يؤثر فيها إلا باختياره المطلق، وبعد قناعته الشخصية، بينما هذا الحديث يربط قناعة كل العقول اليهودية بقناعة عشرة من الناس فقط.

2 ـ التدليس والخلط:

من أخطر الظواهر في شخصية أبي هريرة الروائية ظاهرتا التدليس والخلط، وهما ظاهرتان خطيرتان تجعلان كل رواية ينفرد بها أبو هريرة محل شك وريبة.. ذلك أن كل حديث من الأحاديث يؤسس لمعنى من المعاني وقيمة من القيم التي يكلف المؤمنون جميعا بالتعبد بها ومراعاتها باعتبارها معبرة عن مراد الله.

ولذلك يحتاج تبيان ذلك المراد إلى الصدق المطلق الذي يؤكده التواتر، أو تؤكده وثاقة الراوي وصدقه، بالإضافة إلى كونه مندرجا في المعاني العامة التي دعا إليها القرآن الكريم.

وروايات أبي هريرة للأسف لا تحوي هذه الصفات.. وباتفاق المحدثين أنفسهم، ولو أنهم طبقوا مقاييسهم في الجرح والتعديل عليه لضعفوه، بل لجعلوه من الوضاعين، لأنهم اتهموا من هو أدنى منه بذلك.. لكن الذي حماه هو تلك القاعدة التي ابتدعوها من غير دليل، وهي أن الصحابة كلهم عدول،

ومحصنون من الأحكام التي تجري على غيرهم، وهي قاعة مناقضة للعقل، وللقرآن الكريم، وللسنة المطهرة، ولكل شيء.

وسنرى هنا نماذج وأمثلة وأدلة على تدليسه وخلطه، ودور ذلك في تشويه عقائد الدين وقيمه.

أ ـ التدليس:

يتفق كل علماء الحديث المحققين على أن أول من سن سنة التدليس في الحديث أبو هريرة، كما قال الذهبي تعليقا على قول شعبة: (كان أبو هريرة يدلس): (قلت [أي الذهبي]: تدليس الصحابة كثير، ولا عيب فيه، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم والصحابة كلهم عدول)(1)

لكن المشكلة التي لا يستقيم معها قول الذهبي ولا غيره من المبررين لتدليس الصحابة هو أن أبا هريرة لا يروي فقط أقوالا، بل يضيف إليها مواقف حصلت له، مع أنها لم تحصل..

فهو يصدر معظم رواياته بقوله: قال رسول الله ﷺ أو سمعت، أو حدثني دون أن يكون سمع من النبي ﷺ أو تحدث معه.. بل إنه فوق ذلك روى مشاهد كثيرة لم يحضرها، كحديثه عن فتح خيبر، وحديث دخوله على رقية زوجة عثمان، التي توفيت في الثانية من الهجرة، رغم أنه أسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.. وأنه أفتى بفطر من أصبح جنبا في رمضان قبل الغسل، ولما بلغه عن عائشة وأم سلمة خلاف ذلك، قال: إنه لم يسمعه من النبي ﷺ وإنما أخبره به الفضل بن عباس.

لكن المحدثين وجدوا مع ذلك كله مبررات تنفي هذا الغموض، وتستر هذه الثغرة الخطيرة، فذكروا أن قول أبي هريرة: (سمعت، أو حدثني، أو قال فلان، أو قال رسول الله ﷺ) حتى ولو لم يحصل ذلك كله، فإنه مرسل من الصحابة.. والصحابة كلهم عدول.

---

1) سير النبلاء 2/608.

واعتذروا لذلك أيضا بما قال ابن سيرين: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم...)(1)

وهذا تبرير أخطر، لأنه يدل على أن الأمر كان قبل ذلك سائبا يحدث من شاء بما شاء، من غير أن يطالب بأي بينة.

وقد رووا في ذلك عن حميد قوله: (كنا مع أنس بن مالك، فقال: والله ما كل ما نحدثكم سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن كان يحدث بعضنا بعضا، ولا يتهم بعضنا بعضا)(2)

وعن البراء، قال: (ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ كان يحدثنا أصحابنا عنه، بل كانت تشغلنا عنه رعية الإبل)(3)

وقال: (ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله ﷺ إذ كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون - يومئذ - فيحدث الشاهد الغائب)(4)

وهذا عجيب.. ويدل على سذاجة كبيرة، فمنذ متى كان الناس لا يكذبون.. وهل هناك عصر من العصور تقاعد فيه الشيطان عن الوسوسة إلى الناس، بل كيف يدعون هذا، وهم يرمون أنبياء الله، بل يرمون خليله عليه السلام بكونه كذب ثلاث مرات.

لكن ما أسهل أن يجد المحدثون مصطلحا معينا، ويضعوا معه قانونا استثنائيا حتى لا ترمى روايات أبي هريرة أو غيره من المدلسين، يقول ابن الصلاح: (ثم إنا لم نعد في أنواع

1) صحيح مسلم (بشرح النووي) (1/173)

2) الجامع لأخلاق الراوي، (1/174، 175)

3) أحمد، رقم (18516)

4) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (1/174)

المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه مرسل الصحابي، مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم يسمعوه منه؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند؛ لأن روايتهم عن الصحابة، والجهالة بالصحابي غير قادحة؛ لأن الصحابة كلهم عدول)(1).. و(الصحابة جميعا عدول مرضيين، فإن الجهل بأسمائهم في السند لا يضر، وعليه فإن العلم بهم والجهل سواء، وأن السند متصل غير منقطع، ويكون - حينئذ - حجة يلزم العمل بها)(2)

ويقول السيوطي ــ معبرا عن وجهة نظر المحدثين في ذلك ــ: (أما مرسل الصحابي كإخباره عن شيء فعله النبي ﷺ أو نحوه، مما يعلم أنه لم يحضره لصغر سنه أو تأخر إسلامه، فمحكوم بصحته على المذهب الصحيح الذي قطع به الجمهور من أصحابنا وغيرهم، وأطبق عليه المحدثون المشترطون للصحيح القائلون بضعف المرسل، وفي الصحيحين من ذلك ما لا يحصى؛ لأن أكثر رواياتهم عن الصحابة وكلهم عدول، ورواياتهم عن غيرهم نادرة، وإذا رووها وبينوها، بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليست أحاديث مرفوعة، بل إسرائيليات أو حكايات أو موقوفات)(3)

وما ذكره السيوطي خطير جدا، فهو يذكر أن في الصحيحين من ذلك ما لا يحصى.. ثم بعد ذلك يتهمون كل من طعن في حديث من الصحيحين بسبب مخالفته للقرآن الكريم أو للعقل أو للقيم الإنسانية بأنه زنديق وضال مضل..

بناء على هذا سنذكر هنا بعض النماذج عن تلك الأحاديث التي لا ندري ما نصف فيها أبا هريرة، هل بالتدليس، أم

1) علوم الحديث، ابن الصلاح، ص50، 51.

2) التأصيل الشرعي لقواعد المحدثين، د. عبد الله شعبان، ص470.

3) تدريب الراوي، (1/ 207)

بالكذب، لأنه لا يكتفي بأن يـروي الحـديث من غـير سـند، وإنمـا يضيف إليه ادعاء سماعه لـه، مـع العلم أنـه لم يشـهد الحادثـة، ولم يرهـا، ولم يسـمع مـا دار فيهـا، إلا إذا كـان ذلـك من بـاب المعجـزات الـتي ادعى حصـولها للعلاء الحضـرمي، فيكـون قـد حضر بقلبه لا بجسمه.

فمن تلـك الأحـاديث مـا رووه عنـه أنـه قـال: (دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان، وبيـدها مشـط، فقـالت: خرج رسـول اللـه ﷺ من عنـدي آنفـا، رجلت رأسـه، فقـال لي: كيف تجدين أبا عبد الله؟ قلت: بخـير، قـال: (أكرميـه، فإنـه من أشبه أصحابي بي خلقا)(1)

وهـذا من الأحـاديث الـتي تقـرب بهـا إلى بـني أميـة، وهي كثيرة جدا، وليته قبل أن يرويه تثبت من وقت وفاة رقيـة، لأنهـا توفيت بإجماع العلماء سنة ثلاث للهجرة، بعد فتح بدر، وقبل أن يسلم أبو هريرة، لأنه أسلم سنة سبع بعد فتح خيبر.

ولهذا اعتبر علماء الحديث هذا الحديث من الأحاديث الـتي صح سندها ووهى متنـا، فقـد قـال الحـاكم في المسـتدرك بعـد إخراجه للحديث من طـريقين قـال فيهمـا: (هـذا حـديث صـحيح الإسناد واهي المتن)، وقال الذهبي: (صحيح منكر المتن) (2)

وقد حاول السـلفية بكـل مـا أوتـوا من صـنوف الحيلـة أن يدافعوا عن هذه التهمة، وأبرز تلك الحيـل، وأيسـرها عليهم هـو رد اعتبار الحاكم لصحة الحديث، باعتباره من غـير جهابـذة هـذا العلم، مـع كـونهم يرجعـون إلى حديثـه في حـال انسـجامه مـع أهوائهم.

بـل إنهم يضـعون هـذا الحـديث فيمـا يوردونـه من منـاقب عثمان، ليلبسوا به على العوام، ولـيردوا بـه على الشـيعة، فـإن

---

(1) الحاكم في المستدرك، (4/52)، رقم (6854)

(2) الحاكم في المستدرك، (4/52)، رقم (6854)

أنكـر عليهم أحـد، بـادروه بمـا يذكرونـه من تـوهين الحـاكم وتضعيفه.

مع العلم أن الذهبي نفسه ـ مع تشدده في الرجال ــ قـال بصـحة السـند، لكنـه تعجب من المتن، فقـد قـال في تلخيص المستدرك: (صحيح منكر المتن فإن رقية ماتت وقت بـدر وأبـو هريرة أسلم وقت خيبر) [1]

لكنه لم يجرؤ ـ بسـبب تلـك القواعـد الـتي وضعوها حـول عدالة الصحابة ـ أن يتهم فيه أبا هريرة بالكـذب.. ولـو أن غـيره من قال ذلك لاعتبروه كذابا وضاعا.

ومن تلك الأحاديث ما رواه في سـهو النـبي ﷺ، حيث روي عنه أنه قال: (بينما أنا أصلى صلاة الظهر، سلم رسـول اللـه ﷺ من ركعتين، فقام رجل من بني سـليم، فقـال: يـا رسـول اللـه، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال رسول اللـه ﷺ: لم تقصـر ولم أنسه، قال: يا رسول اللـه، إنمـا صـليت ركعـتين، فقـال رسـول الله ﷺ: أحق ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: نعم، قال: فقام فصـلى بهم ركعتين آخرتين) [2]

فهذا الحديث برواياته الصحيحة المختلفة يشكل أكبر سـند اتهام لأبي هريرة، لأنه ادعى حضور صـلاة كـان فيهـا ذو اليـدين مـع رسـول اللـه ﷺ، مـع أن ذا اليـدين ــ باتفـاق المـؤرخين ـ استشهد ببدر قبل أن يسلم أبو هريرة بزمن طويل[3].

ومن تلك الأحاديث ما رواه البخاري ومسـلم وغيرهمـا عن أبي هريرة، أنه قـال: (افتتحنـا خيـبر، ولم نغنم ذهبـاً، ولا فضـة،

---

[1] تلخيص المستدرك: 5/2410.

[2] رواه الحميدي (984) وابن أبي شيبة 2/37 (4510) وفي (4511)، وأحمد 2/386 (8998) وفي 2/423 (9458)، والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي 3/23، وفي الكبرى 565 و1151.

[3] طبقات ابن سعد ج3 ص119.

إنما غنمنا البقر، والإبل، والمتاع) (1)، مع أنه ـ باتفاق المـؤرخين ـ لم يشهد فتح خيبر، بل جاء بعد فتحها..

فقـد روى ابن سـعد في الطبقـات: أن أبـا هريـرة قـدم المدينة في نفر من قومه وافدين، وقد خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر واستخلف على المدينة رجلا من بنى غفار يقـال لـه سـباع بن عرفطـة، فأتينـاه وهـو في صـلاة الصـبح فقـرأ في الركعـة الأولى كهيعص (مـريم)، وقـرأ في الركعـة الثانيـة (ويـل للمطففين) (المطففين)، قـال أبـو هريـرة: ويـل لأبي فلان لـه مكيالان، إذا اكتال، اكتال بالوافي وإذا كال، كال بالنـاقص، فلمـا فرغنا من صلاتنا أتينا سباعا فزودنا شيئا حتى قدمنا على رسول اللـه ﷺ، وقـد افتتح خيـبر فكلم المسـلمين فأشـركونا في سهمانهم(2).

وقد قال القسطلاني تعليقا على قول أبي هريـرة (افتتحنـا خيبر): (أي افتتح المسـلمون خيـبر، وإلا فـأبو هريـرة لم يحضـر فتح خيبر، نعم حضرها بعد الفتح) (3)

ومن تلك الأحاديث المرتبطة بأخبار خيبر، وادعائه حضورها مع كونها لم يحضر ما رواه البخـاري ومسـلم وغيرهمـا عن أبي هريرة أنه قال: (شهدنا مع رسـول اللـه ﷺ خيـبر، فقـال لرجـل ممن يدعى بالإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال، قاتل الرجل قتالا شديدا، فأصابته جراحة، فقيل لـه: يـا رسـول اللـه، الذي قلت له آنفا: إنه من أهل النار، فإنه قـد قاتـل اليـوم قتـالا شـديدا، وقـد مـات؟ فقـال النـبي ﷺ: إلى النـار، فكـاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينمـا هم على ذلـك، إذ قيـل لـه: إنـه لم يمت، ولكن به جراح شديدة، فلما كان من الليل لم يصـبر على الجراح، فقتل نفسه، فأخبر النـبي ﷺ، فقـال: اللـه أكـبر، أشـهد

1) البخاري: 3/37.

2) طبقات ابن سعد: (5/233،232)

3) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (6/ 373)

أني عبد الله ورسوله، ثم أمر بلالا فنادى في الناس: إنه لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) (1)

بالإضافة إلى ذلك فإن الرجل الذي ادعى أبو هريرة أنه قتل نفسه وهو (قزمان بن الحرث) كان قد قتل بأحد قبل اسلام أبي هريرة، ولم يكن ذلك في خيبر(2).

ومن تلك الأحاديث قوله: (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفَّة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهية أن ترى عورته)(3)

مع أن هؤلاء استشهدوا ـ كما هو معلوم ـ جميعا يوم بئر معونة، فحزن النبي ﷺ عليهم، وقنت شهراً يدعو في الصلاة على قاتليهم، وقد حصل ذلك في صفر سنة أربع من الهجرة قبل اسلام أبي هريرة.

وقد برروا ذلك كعادتهم بأن السبعين الذين رآهم أبو هريرة غير أولئك السبعين الذين استشهدوا(4)، وكأن الصفة فندق لا يأوي إلا السبعين.

ونختم هذه النماذج بهذا النموذج الخطير الذي ندعو فيه السلفية إلى التخلي عن غرورهم وكبريائهم، والتأمل فيه وفيما قاله أهل علمهم الذين يثقون فيه، لعلهم يغلبون الدين على

1) رواه البخاري (4/88 و5/169) ومسلم (1/73) أحمد (2/309) والدارمي (2520)

2) ذكر ذلك الواقدي وابن اسحاق وغيرهما من أصحاب المعاجم والتراجم، وقزمان هذا هو الذي كان في احد لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه حتى قيل لرسول الله ﷺ يومئذ ما أجزأ عنا أحدكما أجزأ فلان، فقال النبي ﷺ: اما انه من أهل النار، فجرح جرحا شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الارض وذبا به بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه الحديث، أخرجه البخاري: 2/101.

3) رواه البخاري.

4) ارشاد الساري: 2/220.

الأهواء، ورسول الله ﷺ على كل رجال الدنيا.

والحديث هو ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) (1)

وهذا الحديث الذي يصرح فيه أبو هريرة بالسماع، بل يصرح بأن رسول الله ﷺ خصه به، بل أخذ بيده حين قاله، اتفق سلف السلفية على عدم صحة نسبته إلى الرسول ﷺ، وأن أبا هريرة أخطأ فيها، فبدل أن يقول: أخذ كعب الأحبار بيدي، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي.

يقول ابن كثير في تفسيره تعليقا عليه: (فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه، والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال في ستة أيام، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا) (2)

بل إن ابن تيمية نفسه رد الحديث، فقال في (مجموع الفتاوى): (.. خلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فإن هذا طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخارى وغيرهما وذكر البخارى أن هذا من كلام كعب الأحبار) (3)

---

1) مسلم (2789)

2) تفسير ابن كثير ج 2 ص 294.

3) مجموع فتاوى ابن تيمية ج 18 ص 18.

هــذه مجــرد نمــاذج عن ادعــاءات أبي هريــرة من خلال الأحاديث الصحيحة المروية في الكتب المعتـبرة لـدى السـلفية، وهي وحـدها كافيـة لإعـادة النظـر في أحاديثـه، وعـدم التسـرع برمي كل من يـدعو إلى النظـر فيهـا بكونـه طاعنـا في السـنة، فليس أبو هريرة سنة حتى يعتبر الطاعن فيه طاعنا في السنة.

ب ـ الخلط:

ربما يكون حديث عائشة في الرد على أبي هريرة حول ما رواه عن رسـول اللـه ﷺ من قولـه: (إنما الطـيرة في المـرأة، والدابة، والدار) أحسن تعبير عن الطريقـة الـتي يـروي بهـا أبـو هريرة أحاديثه، فهو يريد أن يحصل أكـبر قـدر من الحـديث دون تأكد أو تثبت، أو دون أن يعلم بأن الذي ينقل حديثه هـو رسـول الله ﷺ.. وليس شخصا آخر.

ففي الحديث عن أبي حسان الأعرج، أن رجلين، دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن نـبي اللـه ﷺ، كـان يقـول: (إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والـدار)، قـال: فطـارت شـقة منها في السماء، وشقة في الأرض، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكـذا كـان يقـول، ولكن نـبي اللـه ﷺ كـان يقول: (كـان أهل الجاهلية يقولـون: الطـيرة في المـرأة والـدار والدابة، ثم قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْـلِ أَنْ نَبْرَأَهَـا إِنَّ ذَلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]) (1)

وفي رواية عن مكحول، قيل لعائشة إن أبا هريـرة، يقـول: قــال رســول اللــه ﷺ: (الشــؤم في ثلاثة: في الــدار والمــرأة والفـــرس)، فقـــالت عائشة: لم يحفظ أبو هريـــرة لأنه دخل ورسـول الله ﷺ، يقـول: (قاتل الله اليهـود، يقولـون إن الشـؤم في ثلاثة: في الدار والمرأة والفـرس، فسـمع آخر الحـديث ولم يسمع أوله)

---

1) رواه أحمد 6/150، وفي 6/240 وفي 6/246.

فهذا الحديث بروايتيه يشير إلى ذلك التسرع الذي اتسمت به رواية أبي هريرة للأحاديث، وهو ما جعله يقع في خلط كثير، ولهذا غضبت عائشة، بل طارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، من ذلك الخلط الذي يمارسه أبو هريرة في رواية الحديث.

ولو أن السلفية كانوا صادقين مع أنفسهم لصدقوا أمهم عائشة، تلك التي أقاموا الحروب المختلفة من أجلها، لكنهم ـ إذا عارضت أهواءهم ـ رموها عرض الجدار، وتمسكوا بغيرها بدلها.

وسنذكر هنا تأكيدا لموقف عائشة بعض الأمثلة والنماذج عن الخلط الذي أوقع فيه أبو هريرة أحاديث رسول الله ﷺ، وقد اقتصرنا على ثلاثة أنواع خطيرة من الخلط هي: الرواية عن اليهود، والتناقض في الحديث، والخلط بين حديثه وحديث رسول الله ﷺ.

الرواية عن اليهود:

وهذه من أكبر البلايا التي وقع فيها أبو هريرة، وبسببه تسربت الكثير من الأساطير والخرافات الإسرائيلية إلى العقائد والقيم والإسلامية، كما سنرى ذلك بتفصيل في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ونرى أن خطورة أبي هريرة في هذه الناحية أعظم بكثير من خطورة كعب الأحبار ووهبه بن المنبه وغيرهما، وذلك لاعتبارين:

أولهما أن أبا هريرة صحابي، والصحابة كلهم عدول عند السلفية، ولذلك يتلقون كل ما يقوله بالقبول التام، والإذعان المطلق، بخلاف كعب أو وهب، فهما يعتبران عندهم من التابعين، وهم مع توثيقهم لهم، إلا أنهم أدنى منزلة من الصحابة.

وثانيهما، وهو أخطر الاعتبارين، نسبة أبي هريرة لما

يرويه عن كعب أو غيره من اليهود إلى رسول الله ﷺ، وقد مــر معنا مثال ذلك، وهو ما رواه مسلم عن أبي هريــرة قـال: (أخـذ رسول اللـه ﷺ بيـدي فقـال: (خلـق اللـه عـز وجـل التربـة يـوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعـاء، وبث فيهـا الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليـه السـلام بعـد العصـر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من سـاعات الجمعـة فيما بين العصر إلى الليل) (1)

وقد ذكرنا أن كبار أئمة الحديث، يعتبرونـه من قـول كعب، لا من قول رسول الله ﷺ، فقد قال ابن كثير تعليقا عليه: (رواه مسـلم بن الحجـاج في صـحيحه، والنسـائي من غـير وجـه عن حجاج وهو ابن محمد الأعـور عن ابن جـريج بـه وفيـه اسـتيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قـد قـال في سـتة أيـام، ولهـذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هـذا الحـديث، وجعلـوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا) (2)

وقال ابن تيمية: (.. خلق الدواب يـوم الخميس وخلـق آدم يوم الجمعة فـإن هـذا طعن فيـه من هـو أعلم من مسـلم مثـل يحيى بن معين ومثل البخارى وغيرهمـا وذكـر البخـارى أن هـذا من كلام كعب الأحبار) (3)

ولكنهم اقتصروا على هذا الحـديث، ولم يطبقـوه على كـل تلك الأحاديث الأخرى، بسبب أن هذا الحديث يتعارض تماما مـع ما ورد في القرآن الكريم من الأيام السـتة، ونسـوا أن أحـاديث أبي هريرة الأخـرى تتعـارض مـع مـا ذكـره القـرآن الكـريم عن حقـائق العقائـد في اللـه وفي الأنبيـاء وغـير ذلـك، ممـا خالفتـه

---

1) مسلم (2789)

2) تفسير ابن كثير: ج 2 ص 294.

3) مجموع فتاوى ابن تيمية: ج 18 ص 18.

أحاديث أبي هريرة مخالفة تامة.

والمشكلة الأكبر التي جرها أبو هريرة ومن معه ممن جمعوا بين التلمذة على رسول الله ﷺ والتملذة على اليهود هو تلك الأحاديث التي بثوها، ونشروها، ليعتذروا عن تلمذتهم لليهود، وروايتهم لأخبارهم، ومنها ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن، فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه.. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)(1)

ومن العجائب في هذا الحديث أنه ينهى عن كتابة حديث رسول الله ﷺ، في نفس الوقت الذي يجيز الحديث عن بني إسرائيل..

وهذا الحديث معارض بتلك النصوص المقدسة الكثيرة التي تحذر من خلط دين الله الصافي بأي منبع من المنابع المختلطة، ومن أهم تلك الأحاديث الحديث الذي ضربه السلفية عرض الحائط، ولم يعطوا له أي قيمة عملية على الرغم من صحته وصراحته، وهو ما روي أن عمر أتى رسول الله ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب، وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى - ﷺ - كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)(2)

وللأسف فإن السلفية الذين يزعمون التزامهم بسنة رسول الله ﷺ، والذي غضب لأجل موقف عمر ذلك الغضب الشديد، يعتبرون من مناقب أبي هريرة ما مدحه به كعب الأحبار من قوله له: (ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما

---

1) البخاري (6 / 496 رقم 3461) والترمذي (7 / 431 - 432 رقم 2806)

2) مسند الإمام أحمد بن حنبل: 3/387 ح(15195).

فيها من أبي هريرة) (1)

وهـذا يـدل على التلمـذة الطويلـة لأبي هريـرة على يـدي أستاذه كعب الأحبار، وأن تلك الشهادة أو الإجـازة، لم ينلهـا أبـو هريرة إلا بعد أن امتحنه كعب، وأدرك حفظه عنه حفظا جيدا.

وهذا مما لا يخـالف فيـه أحـد من المحـدثين، حـتى أن ابن كثـير روى عن مسـلم صـاحب الصـحيح بسـنده عن بكـير بن الأشج، قال: قال لنا بشر بن سـعيد: (اتقـوا اللـه وتحفظـوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا تجالس أبا هريرة فيحدث عن رسـول الله، ويحدثنا عن كعب الأحبـار ثم يقـوم فأسـمع بعض مـا كـان معنا يجعـل حـديث رسـول اللـه ﷺ عن كعب وحـديث كعب عن رسول الله ﷺ) (2)

وهــذا وإن كــان ينفي التهمــة عن أبي هريــرة في تعمــد الكــذب على رســول اللــه ﷺ إلا أنــه لا ينفي دوره في خلــط أحاديث رسول الله ﷺ بأحاديث غيره، وذلـك في الواقـع سـيان، لأن المشكلة أن الكثير من الأحـاديث الـتي وصـلتنا عن طريقـه تضعنا موضع شـك، هـل هي من قولـه أو من قـول النـبي ﷺ أو من قول كعب الأحبار.

وقد ذكر ابن سعد في طبقاته الكـبرى قصـة أول لقـاء بين كعب وأبي هريرة، فروى عن عبد الله بن شقيق قـال: جـاء أبـو هريرة إلى كعب يسأل عنه، وكعب في القـوم، فقـال كعب: مـا تريد منه؟، فقال: أما إني لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني، فقال كعب: أمـا إنـك لم تجـد طـالب شـيء إلا سيشـبع منـه يومـا من الـدهر إلا طالب علم أو طالب دنيا. فقال: أنت كعب؟، فقال: نعم، فقال: لمثل هذا جئتك(3).

---

1) تذكرة الحفاظ 1 / 36، ابن عساكر في تاريخ دمشق (67/ 343) سير أعلام النبلاء: (2/ 600)

2) البداية والنهاية ج 8 ص 109.

وهكذا انقلب الحال، فبدل أن يصبح كعب الأحبار تلميذا لأبي هريرة باعتباره صحابيا، صار أبو هريرة تلميذا لكعب، والعجب أن كعبا راح يرغب أبا هريرة في طلب العلم على يديه، وكأن علوم رسول الله ﷺ التي حفظها لم تكفه حتى راح يطلب علوما جديدة من كعب.

ومن الأمثلة على تلك التلمذة التي حاول فيها أبو هريرة التوفيق بين المدرسة النبوية والمدرسة اليهودية ما حدث به عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة، إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله حاجة، إلا أعطاه إياها)

ثم حدث عن حوار جرى بينه وبين كعب حول الحديث، فقال: (قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت: بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة، فقال: صدق النبي ﷺ قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام، فحدثته بمجلسي مع كعب، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، قال أبو هريرة: فقلت له: فأخبرني بها، فقال عبد الله بن سلام: هي آخر ساعة من يوم الجمعة، فقلت: كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة، وقد قال رسول الله ﷺ: (لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي)، وتلك الساعة لا يصلي فيها، فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: (من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي)، قال: فقلت: بلى، قال: هو ذاك) (1)

وفي رواية: (خرجت إلى الطور، فلقيت كعب الأحبار، فجلست معه، فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته)، ثم ذكر الحديث.

---

3) الطبقات الكبرى (4/ 332)

1) مالك: 88 وأحمد: 2/486 (10308) و5/451 (24194) وأبو داود: 1046 والترمذي: 491، والنسائي: 3/113.

والمشكلة في هذا الحديث وغيره أن كعبا كان يستغفل أبا هريرة كما يستغفل غيره من المسلمين الـذين رضـوا بالتلمـذة عليه، فلست أدري أي توراة هذه الـتي رجـع إليهـا، والـتي وجـد فيها ما ذكره..

فالتوراة التي بين أيدينا والتي هي نفسها التـوراة في ذلـك الحين ليس فيها أمثال هذه النصوص، وذلك يــدل على أن كعب الأحبار كان يكذب عليهم، وكانوا يصدقونه لسجاذتهم، ولإهمالهم تلك التحذيرات المقدسة التي لو طبقوها لحفظوا دين اللــه من أن يختلط بدين البشر.

ولست أدري كيف كان أبو هريرة يقبل على كعب الأحبــار، ويتفــانى في التلمــذة على يــده مــع أن كبــار الصــحابة كــانوا يتهمونه، ويكذبونه، فقد اتهمه عبد الرحمن بن عـوف بالاحتيـال، فقد ورد في بعض الروايات: (كان كعب الأحبار يقص فقال عبـد الـرحمن بن عـوف: سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: لا يقص إلا أمير أو مأمور أو محتال. فأتي كعب فقيل له: ثكلتك أمـك، هـذا عبد الرحمن يقول كذا وكذا، فترك القصص، ثم إن معاوية أمره بالقصص فاستحل ذلك بعد)[1]

وهكذا اتهمه عبد الله بن مسـعود، فقـد روي أن رجلا جـاء إلى عبد اللـه بن مسـعود، فقـال: إن كعبـا يقـرأ عليـك السـلام ويبشركم أن هذه الآيـة نـزلت في أهـل الكتـاب: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمـران: 187]، قال ابن مسعود: وعليه السلام، إذا أنت أتيته فأخبره أنها نــزلت وهو يهودي) [2]

وهكذا كذبه عمر في ادعائه جلوس الله على قبة الصـخرة في الهواء[3].

---

1) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور 21 / 186.

2) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور 21 / 187.

وكذبه أبو ذر الغفاري، فقد روي أنه قال له في مجلس عثمان: يا ابن اليهودية ما أنت وما هاهنا؟ وقال لعثمان: (والله لتسمعن مني أو لا أدخل عليك: والله لا يسمع أحد من اليهود إلا فتنوه)(1)

ومن المكذبين لكعب الأحبار عبد الله بن عباس, فقد قال ابن عباس لرجل مقبل من الشام: من لقيت؟ قال: كعبا. قال: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إن السماوات على منكب ملك. فقال: كذب كعب، أما ترك يهوديته بعد! ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر:41])(2)

وحتى معاوية ـ الذي يسبح السلفية بحمده صباح مساء ـ كذب كعبا، فقد عقد البخاري في صحيحه بابا تحت عنوان (باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)، وروى فيه عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه بالكذب) (3)

وهكذا كذبه عمرو بن العاص، فقد روي أنه مر على كعب الأحبار، فعثرت به دابته، فقال: (يا كعب أتجد في التوراة أن دابتي تعثر بي؟)(4)

وقد أشار الشيخ محمد رشيد رضا ـ وهو مرضي عنه من

3) تاريخ الطبري 3 / 160

1) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور 28 / 299.

2) كتاب الكافي الشافي لابن حجر العسقلاني، 139.

3) صحيح البخاري 8 / 160.

4) الإيضاح 43.

لدن الكثير من السلفيين ـ إلى الخطورة التي يشكلها كعب الأحبار، فقال: (إن ثبوت العلم الكثير لا يقتضي نفي الكذب. وكان جل علمه عندهم ما يرويه عن التوراة ليقبل وغيرها من كتب قومه وينسبه إليها ليقبل ولا شك أنه كان من أذكى علماء اليهود قبل إسلامه وأقدرهم على غش المسلمين بروايته بعده) [1]

بل إنه اتهمه في إسلامه، وأنه قصد من إعلان إسلامه خداع المسلمين، وأنه من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام لتقبل أقوالهم في الدين، فقال: (وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه، وصاروا يتناقلون قوله بدون إسناد إليه، حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم أنها مما سمعوه عن النبي ﷺ، وأدخلها بعض المؤلفين في الموقوفات التي لها حكم المرفوع كما قال الحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره) [2]

وقال: (إنه كان بركان الخرافات، وأجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه)[3]

وقال في كعب ووهب: (إن شر رواة هذه الإسرائيليات، أو أشدهم تلبيا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوامهم والفتن والساعة والآخرة، إلا وهي منهما مضرب المثل، ولا يهولن أحد انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثاه وغيرهما من هذه الأخبار، فإن تصديق الكاذب لا يسلم منه أحد من البشر ولا المعصومين من الرسل) [4]

[1] مجلة المنار 27 / 752.

[2] مجلة المنار 27 / 752.

[3] مجلة المنار 27 / 697.

وقال: (رأينا الشيء الكثير في روايتهما مما نقطع بكذبه، لمخالفة ما روياه، فما كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء فجزمنا بكذبهما... وقال عن روايتهما: إن أكثرها خرافات إسرائيلية شوهت كتب التفسير وغيرها من الكتب، وكانت شبها على الإسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة أنه كغيره دين خرافات وأوهام وما كان فيها غير خرافة. فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفة النبي في التوراة) (1)

وقال العلامة المحقق الكبير الشيخ محمود أبو رية: (.. وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدهم مكرا، كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام. ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت بما أظهروه من كاذب الورع والتقوى، وأن المسلمين قد سكنوا إليهم، واغتروا بهم، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم، وذلك بأن يدسوا إلى أصوله التي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات، وأوهام وترهات، لكي تنتهي هذه الأصول وتضعف. فلما عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم لأنه قد حفظ بالتدوين، واستظهره آلاف من المسلمين، وأنه قد أصبح بذلك في منعة من أن يزاد فيه كلمة أو يدس إليه حرف اتجهوا إلى التحديث عن النبي ﷺ، فافتروا ما شاءوا أن يفتروا عليه أحاديث لم تصدر عنه. وأعانهم على ذلك أن ما تحدث به النبي ﷺ في حياته لم يكن محدد المعالم، ولا محفوظ الأصول، لأنه لم يكتب في عهده ﷺ كما كتب القرآن، ولا كتبه صحابته من بعده، وأن في استطاعة كل ذي هوى أو دخلة سيئة، أن يدس إليه بالافتراء، ويسطوا عليه بالكذب. ويسر لهم كيدهم أن يجدوا الصحابة يرجعون إليهم في معرفة ما لا يعلمون من أمور العالم الماضية) (2)

---

4) مجلة المنار 27 / 783.

1) مجلة المنار 27 / 618.

2) أضواء على السنة المحمدية 149.

بل إن ابن تيمية نفسه يكذبه، ولكن في المواضع التي ترتبط بمزاجه وهواه، فقد قال: (لما دخل عمر بن الخطاب البيت المقدس وأراد أن يبني مصلى للمسلمين: قال لكعب؟ أين أبنيه؟ قال ابنه خلف الصخرة. قال: خالطتك يهودية يا ابن اليهودية ؛ بل أبنيه أمامها، وذلك لأن اليهود تعظم تلك الصخرة، ولم يأت ديننا بأي فضيلة لها.. ولهذا كان عبد الله بن عمر إذا دخل بيت المقدس صلى في قبليه ولم يذهب إلى الصخرة. وكانوا يكذبون ما ينقله كعب: أن الله قال لها: أنت عرشي الأدنى ويقولون: من وسع كرسيه السموات والأرض كيف تكون الصخرة عرشه الأدنى؟)(1)

لكنه لا يعمم ذلك على رواياته التجسيمية أو المدنسة للأنبياء، بل يعتبره فيها إماما من أئمة الدين، ووعاء من أوعية العلم.

ومن النماذج عن الروايات التي خلط فيها أبو هريرة بين حديث رسول الله ﷺ وأساطير أهل الكتاب هذا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك، نفر من الملائكة، جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن) (2)

فهذا الحديث يطابق ما في الكتاب المقدس، ففي سفر التكوين (الاصحاح الأول: 26 ـ 28): (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا على شبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم)، وفي سفر (التثنية

---

1) مجموع الفتاوى: (15/153)

2) صحيح البخاري، الحديث رقم: 3361.

الإصحاح 4:ـ 15 -ـ 16): (فإنكم إن لم تروا صورة ما في يـوم كلَّمكم الرب في حوريب من وسـط النـار لئلا تفسـدوا وتعملـوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى)

ومن تلك الأحاديث التي خلط فيهـا أبـو هريـرة بين حـديث رسول الله ﷺ وكتب أهل الكتاب، مـا رواه البخـاري عنـه قـال: قال رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء، فـإن المـرأة خلقت من ضـلع، وإن أعـوج شـيء في الضـلع أعلاه، فـإن ذهبت تقيمـه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء) (1)

فهذا الحديث منقول من [سـفر التكـوين الإصـحاح الثـاني، الفقـرات 21-22]، ففيهـا: (فـأوقع الـرب الإلـه سـباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضـلاعه وملأ مكانهـا لحمـا، وبـنى الـرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقـال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي)

ومن تلك الأحاديث التي خلط فيهـا أبـو هريـرة بين حـديث رسول الله ﷺ وكتب أهل الكتـاب، مـا رواه مسـلم عنـه قـال:: قـال رسـول اللـه ﷺ: (فخنتن إبـراهيم – عليه السـلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم) (2)

فقد نقل هذا النص مع تحريف بسيط من [سـفر التكـوين، الإصحاح 17]، ففيـه: (وكـان إبـراهيم ابن تسـع وتسـعين سـنة حين ختن في لحم غرلته)

وغيرها من النصوص الكثـيرة الـتي سـنرى نمـاذج مفصـلة عنها في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

التناقض في الروايات:

من أهم مظـاهر الخلـط في أحـاديث أبي هريـرة ذلـك

(1) صحيح البخاري، الحديث رقم 3366.

(2) رواه مسلم، الحديث رقم 6290.

التناقض الذي يجعلنا محتارين حوله، وحول حقيقة الأمر، وهو من الأمور التي يعتمدها المحدثون للتشكيك في الراوي، ورفع الثقة عنه، لأنه يستحيل أن يصدق الإنسان في خبرين متناقضين.

وقد يقال ـ كما يدعي المبررون عادة ـ بإمكانية الجمع بين الأخبار المتناقضة، لكن هذا لا يصلح مع جميع العقول، بل يصلح فقط مع العقول المعطلة، أما العقول العاملة والمفعلة، فيستحيل أن يتم الجميع بينهما، كما لا يتم الجمع بين النار والماء، والمقدس والمدنس.

ولعل أبا هريرة في جمعه في التلمذة بين المقدس والمدنس، أو بين رسول الله ﷺ وكعب الأحبار صار سهلا عليه أن يلقي بالمتناقضات لعلمه أن هناك من العقول من يتلقفها منه ويقبلها.

ومن أمثلة تلك التناقضات ما ذكره من كونه من أهل الصفة وليس له مأوى في نفس الوقت الذي يذكر أن له بيتا وأما:

أما الحديث الأول، فيقول فيه: (كنت من أهل الصفة فظللت صائما فأمسيت وأنا أشتكى بطني، فانطلقت لأقضى حاجتى، فجئت وقد أكل الطعام..) [1] إلى آخر الحديث الذي سبق ذكره، والعلماء كلهم متفقون على أنه من أهل الصفة، وأنه لم يكن له بيت، بل كان يبيت في المسجد.

أما الحديث الثاني، فيذكر فيه أن له بيتا وأما، وأنه كان يأوي إليهما، ففي الحديث الذي سبق ذكره قال: (كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺوأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى، فدعوتها فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة)، فخرجت

[1] أبو نعيم في الحلية: 1/378.

مستبشرا بدعوة النبي ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشفة قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وقال خيرا. قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين)، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني(1).

وهكذا ذكر أنه حضر إلى رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر، ثم رأيناه في أحاديث أخرى يذكر أنه كان معهم فيها قبل أن تفتح.

وهكذا روى في حديث آخر أنه نشأ يتيماً، وهاجر مسكيناً، وكان أجيراً لفلان وفلانة بطعام بطنه يسوق بهم إذا ركبوا، ويخدمهم إذا نزلوا.. لكنه في نفس الوقت، وفي حديث آخر صحيح رواه البخاري يدعي أنه يوم هجرته كان يملك غلاما، فأعتقه لوجه الله.. ولسنا ندري من نصدق هل أبو هريرة الغني صاحب الغلام، أم أبو هريرة المسكين الفقير؟

أما الحديث الأول، فقوله: (نشأت يتيما، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بن غزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، فكنت أخدم اذا نزلوا، وأحدوا اذا ركبوا فزوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما، وجعل أبا هريرة إماما) (2)

وأما الحديث الثاني، فقوله: (لما قدمت على النبي ﷺ قلت فى الطريق شعرا: يا ليلة من طولها وعنائها، على أنها

---

1) أحمد 2/319 (8242) والبخاري في الأدب.

2) طبقات ابن سعد: 4/53.

من دارة الكفـر نجت.. وأبـق مـني غلام لى فى الطريـق، فلمـا قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته فبينا أنا عنـده إذ طلـع الغلام فقال لى رسول اللـه ﷺ: يـا أبـا هريـرة هـذا غلامـك، قلت: هـو لوجه الله، فأعتقته) (1)

الخلط بين حديثه وحديث رسول الله ﷺ:

وهذا من أكبر المخـاطر الـتي قـد يصـعب صـعوبة شـديدة التعرف عليها، أو التنبه لهـا إلا إذا أخـبر أبـو هريـرة بنفسـه عن ذلك.. والمشكلة أنه لا يخبر عن ذلك إلا إذا سئل، فإذا لم يسأل ساق الحديث من دون بيان ما هو من كيسـه، ومـا هـو من عنـد رسول الله ﷺ.

وخطورة هذا المسلك من مسـالك الخلـط هي أنـه يوقعنـا في التمويـه والتضـليل، فنعتـبر أقـوال أبي هريـرة واجتهاداتـه ورؤاه حديثا لرسول الله ﷺ.. وهنا يختلـط المـدنس بالمقـدس، والبشري بالإلهي.

قد أشار إلى هذا الخلـط في بعض أحاديثـه، فقـال ــ فيمـا يرويه عن رسول الله ﷺ ـ: (أفضل الصدقة ما ترك غـنى، واليـد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول. تقول المـرأة: إمـا أن تطعمــني وإمــا أن تطلقــني، ويقــول العبــد: أطعمــني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني)، فقالوا: يـا أبا هريرة، سـمعت هـذا من رسـول اللـه ﷺ؟ قـال، لا، هـذا من كيس أبي هريرة) (2)

وهذا أمـر ينقضـي دونـه العجب، لأنـه مـا دام الحـديث من كيسـه، فلم يرفعـه إلى رسـول اللـه ﷺ، ولم لم يـبين الموضـع الذي ينتهي فيه الحديث.. ولنفرض أن هؤلاء لم يسألوه، فكيـف سيساق الحديث: هل يساق مرفوعا، أم يساق موقوفا؟

1) رواه أحمد 2/286 (7832) والبخاري 3/191 (2530) وفي 5/220 (4393)

2) رواه أحمد 2/252 (7423) وفي 2/476 (10175)، والبخاري: 5355 وأبو داود: 1676.

وهذا الحديث الصحيح وحده كاف في رفع الثقة من جميع أحاديثه التي ينفرد بها سواء ما تعلق منها بالقصص أو ما تعلق بالأحكام.. ولا يهمنا بعد ذلك هل وقع الخلط منه، أم وقع الخلط من الرواة الذين رووا عنه.

ذلك أن كل حديث دين، ولا يصح أن نأخذ أحكام ديننا من غير المعصوم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: 93]

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حديث إفطار الجنب الذي رواه مالك في الموطأ وغيره، فقد روى بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمان بن الحرث بن هشام قال: كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، فذكر له أن أبا هريرة يقول: من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم، فقال مروان: أقسمت عليك يا عبد الرحمان لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنهما عن ذلك، فذهب عبد الرحمان وذهبت معه، حتى دخلنا على عائشة فسلم عليها، ثم قال: يا أم المؤمنين، إنا كنا عند مروان فذكر له أن أبا هريرة يقول من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم، قالت عائشة: ليس كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمن، أترغب عما كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قال عبد الرحمن: لا والله. قالت عائشة: فأشهد على رسول الله أنه كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم، قال: ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت مثل ما قالت عائشة، قال: فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم، فذكر له عبد الرحمن ما قالتا فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن دابتي فإنها بالباب، فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعراق، فلتخبرنه ذلك، فركب عبد الرحمان وركبت معه، حتى أتينا أبا هريرة فتحدث معه عبد الرحمن ساعة، ثم ذكر له ذلك، فقال أبو هريرة: لا علم لي بذلك، إنما أخبرنيه مخبر) [1]

ولست أدري لم لم يخبر عن ذلك الذي أخبره، حتى يتبين الصادق من المحدثين من الكاذب.. لكنه على ما يبدو كان يمتنع

1) ابن عبد البر في التمهيد (22/ 39)

عن ذلك، لأنه يريد أن يكون المرجع الوحيد، هذا إن لم يكن هــو من أفتى بتلك الفتوى، ثم نسبها لرسول الله ﷺ.

الفصل الثاني
روايات أبي هريرة والانتقادات الموجهة لها

كان يمكننا أن نتخلى عن كل الفصل السابق لو أن السلفية، ومن شايعهم وتأثر بهم، قبل منا أن نحاكم أحاديث أبي هريرة إلى القرآن الكريم، وإلى القطعي من الدين، وإلى الفطرة السليمة التي فطر الله عليها العقول.

وكان يمكننا ألا ننقب عن كل تفاصيل حياته، لنؤكد تدليسه وخلطه وتناقضه وحشوه وكتمانه وغير ذلك.. لأن كل ذلك ليس الهدف منه تجريح الشخص، وإنما الهدف طلب التحقيق في رواياته التي يرفعها إلى رسول الله ﷺ.

وقد ذكرنا مرارا في سلسلة [الدين والدجل] أننا تمنينا لو أن السلفية ركزوا على الحقائق بدل الرجال، فإننا حينها لن نضطر لتلك التفاصيل الكثيرة عن الرجال، والتي لا تسمن ولا تغني من جوع.

لكنهم يأبون ذلك، لأن الدين عندهم هو الرجال، فقول الرجال، وخصوصا من السلف أو من تبعهم هو الحق الذي تلغى معه العقول، وما تتطلبه من لوازم.. فالدين عندهم بدأ كاملا، ثم لا يزال ينقص.. وكأن الله ميز بين عباده، فأعطى لبعضهم عقولا، وأعطى لآخرين عقالا يقيدهم، ويقيد تفكيرهم.

وبناء على هذا سنحاول هنا أن نستعرض آثار روايات أبي هريرة على أهم قضايا الدين العقدية والسلوكية، مع مقارنتها بما تقتضيه العقول السليمة، وبما نص عليه القرآن الكريم، مهتدين في ذلك، لا بسنة الإمام علي الذي كان يدعو إلى عرض الحديث، أي حديث على القرآن، لأن ذلك لن يرضي السلفية أتباع الفئة الباغية.

وإنما نهتدي في ذلك بهدي عائشة زوج النبي ﷺ التي يزعمون أنهم ينتسبون إليها، وأنها أمهم، ويصيحون كل حين بالثناء عليها، فقد كان من سنتها عرض الحديث على القرآن..

ورمي الحـديث إن خـالف القـرآن، ولـذلك اعترضـت على أبي هريـرة كثـيرا من أحاديثـه، وكـان مرجعهـا في ذلـك الاعـتراض القرآن الكريم، كما سبق أن ذكرنا.

وقد صنفنا هذه الروايات إلى سبعة أقسام، كلها تمثل ركنا من أركان الدين، وأسسا عظيمة من أسسه، وهي:

1. روايات أبي هريرة.. والتجسيم والتشبيه.
2. روايات أبي هريرة.. وتدنيس النبوة.
3. روايات أبي هريرة.. والنصب والعداوة.
4. روايات أبي هريرة.. وعوالم الغيب.
5. روايات أبي هريرة.. والملاحم والفتن.
6. روايات أبي هريرة.. وقيم الجاهلية.
7. روايات أبي هريرة.. والمغالطات العلمية.

وقد خصصنا كل ركن منهـا بمبحث خـاص، ونحب أن نـبين أن مرجعنا في ذلك هي أحاديث أبي هريرة الـتي اتفـق الجميـع على صحتها، أو التي اختلفوا فيها، لأن حـديثنا عن السـلفية في جميـع العصـور، وجميـع التوجهـات، لا جهـة واحـدة، لأن البعض يعترض علينا أحيانا بكون الحديث ضعفه الألباني، مـع كونـه قـد صححه ابن خزيمة.

ونحن لا نجاريهم في هذه الأمور، ولا نسير حسب هـواهم، وقد عرفنا تلاعبهم بالحديث وبالرجال وبالجرح والتعديل، ولذلك كلما توقفت الحجج لديهم راحوا ينقبـون في الرجـال، ليضـعفوا الحديث، وإن كانوا يستدلون به في كل محل.

وكمثال على ذلك حديث الصور الطويـل الـذي يروونـه في كل محل، ويستدلون به، فـإذا مـا سـخر أحـدهم من مقتضـيات الحديث ذكروا له أن فلانا من الناس ضعفه.

ولـذلك لا ننخـدع بمثـل هـذه الحيـل.. فكـل مـا روي في

الحديث مما استند إليه أئمتهم وسلفهم الصالح الذين وثقوا فيهم، وسلموهم عقولهم سنذكره أو نشير إليه، لأن تضعيف المتأخر لن ينسخ تصحيح المتقدم.

مع العلم أنهم هم أنفسهم يمارسون هذا، وبطريقة بشعة جدا لإلغاء الآخر، فهم يلزمون الشيعة بكل ما في كتبهم الإخبارية والحديثية من غير مراعاة لأحكام علمائهم على تلك الأحاديث بالضعف أو الوضع ونحوهما.

لكنهم إن ألزموا هم بما في كتبهم من التجسيم والتشبيه والخرافة ونحوها، ذكروا أن تلك الأحاديث غير صحيحة..

وهذا كله من التطفيف في الميزان الذي ذكره الله تعالى، فقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3)﴾ [المطففين: 1 ـ 3]، فالتطفيف أعظم من أن ينحصر في وزن الفواكه والخضر.. بل أخطره ذلك الذي يصدع وحدة الأمة عبر الأكاذيب التي يشيعها، والتلفيق الذي يمليه عليه الشيطان.

أولا ـ أحاديث أبي هريرة.. والتجسيم والتشبيه

لا يوجد كتاب من كتب العقائد التي يسمونها كتب سنة أو كتب توحيد سواء كانت مسندة أو غير مسندة إلا ووجدناها تمتلئ بأبي هريرة، وكأنه هو مقرر عقائد الإسلام.

أما كبار الصحابة، والسابقون منهم، وخصوصا الإمام علي، فلا نكاد نجد لهم ذكرا، ولست أدري: هل نسي الصحابة التوحيد أيضا، فلم ينقذه إلا أبو هريرة، وثلة قليلة من صغار الصحابة؟ أم أنهم لم يهتموا بروايته والحديث عنه؟ أم أن الفئة الباغية حرمتهم من التلاميذ الذين يجلسون إليهم؟

وما كان لنا أن نعترض على أحاديث أبي هريرة في هذا الجانب لو كانت منسجمة مع مقتضيات العقول السليمة، ومع ما قرره القرآن الكريم.. لكن للأسف نجدها نسخة مطابقة للأصل لأحاديث كعب الأحبار، ولما ورد في الكتاب المقدس من تجسيم وتشبيه لله تعالى.

وذلك هو أكبر ما جعل السلفية في كل عصورها تعظم أبا هريرة وتحترمه، وتدافع عنه، بل تقدمه على السابقين من الصحابة أنفسهم، لأن بنيانهم التجسيمي قائم عليه.

وسأذكر هنا من خلال المصادر المعتمدة لدى السلفية ككتب الحديث أو كتب العقائد، وخصوصا كتاب التوحيد لابن خزيمة الذي يسمونه إمام الأئمة ما يستند إليه من أحاديث أبي هريرة في التجسيم الذي يسمونه صفات الله، مع العلم أننا قد فصلنا في مواقف السلفية من هذه الناحية في كتابنا [السلفية.. والوثنية المقدسة]، وذلك عبر العناوين التالية.

أبو هريرة.. ونسبة الصورة لله:

أول ما يبدأ به السلفية، وخاصة المتقدمين منهم، عقائدهم في الله بذكر الصورة.. وأن الله له صورة، ولها تقاسيم، وله حدود ومقادير ونحو ذلك.

وهم يستعينون في هذا بأحاديث أبي هريـرة الكثـيرة الـتي تصف الله كما تصف أي كـائن، بـل كمـا تصـف أي إنسـان، لأن صورة الله في أحاديث أبي هريـرة هي صـورة الإنسـان نفسـه، فقد رووا عنه قوله في حديث يرفعه لرسو الله ﷺ: (خلـق اللـه عز وجل آدم على صورته،طوله ستون ذراعـا،فلمـا خلقـه قـال: اذهب فسلم على أولئك النفر – وهم نفر من الملائكة جلوس – فاستمع ما يحيونك،فإنها تحيتك وتحية من بعدك)[1]

ومن روايات الحديث مـا رووه عن أبي هريـرة (إذا ضـرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)[2]

وقـــد أتعب علمـــاء الكلام أنفســـهم في توجيـــه الحـــديث لحرصهم على أبي هريرة، وخـوفهم من تكذيبـه، فلـذلك راحـوا يؤولون الحديث بـأنواع التـأويلات الـتي لا تسـتقيم مـع الألفـاظ المختلفـة الـتي وردت بهـا تلـك الروايـات، كقـول ابن حجـر: (واختلف في الضمير على من يعود؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لمـا تقـدم من الأمـر بـإكرام وجهـه،ولـولا أن المـراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها)[3]

لكن السلفية ردوا هذه التأويلات بشـدة، بـل إن الطـبراني اعتـبر تأويـل الحـديث تجهمـا، فقـال في كتـاب السـنة: (حـدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال (قـال رجـل لأبي: إن رجلا قـال: خلق الله آدم على صورته،أي صـورة الرجـل،فقـال: كـذب،هـذا

---

1) البخاري (3326ـ 6227). ومسلم (2841). وابن خزيمة في التوحيد (1 / 93 – 94) وابن حبان (6162) وابن منده في الرد على الجهمية ص (41 – 42) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (711ـ 712) والبيهقي في الأسماء والصفات (635. 636) والبغوي في شرح السنة (3298).

2) مسلم (2612). وأحمد (2 / 244). وابنه عبدالله في السنة (496) وابن حبان (5605). والآجـري في الشـريعة (721). والـبيهقي في الأسـماء والصـفات (638). وفي السنن (8 / 327).

3) فتح الباري (5/183).

قول الجهمية،وأي فائدة في هذا)([1])

أما ابن تيمية فكعادته في التنظر والإطناب فيه، فقد ذكر ثلاثة عشر وجها للرد على تأويلات المتكلمين، لأن المسألة عندهم مسألة كفر وإيمان، ولهذا تحتاج منهم كل هذه الجهود الفكرية المضنية، وقد ذكرنا بعض تلك الردود في كتابنا [السلفية والوثنية المقدسة]

ولهذا فإن السلفية وبناء على تقديسهم لأبي هريرة، وثقوا في الحديث ثقة مطلقة، واعتبروه قاعدة من قواعد العقائد الكبرى، مع كونه بنصه تقريبا، موجود في الكتاب المقدس كما سبق ذكره.

وقد قال ابن قتيبة معبرا عن وجهة نظر متقدميهم: (والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد)([2])

وانتصر من المتأخرين التويجري في كتابه الذي خصصه لهذا الحديث، والذي أقره عليه ابن باز، بوجوه كثيرة نقتصر منها على هذا الوجه، حيث قال: (الوجه الثاني: أن يقال إن خلق آدم على صورة الرحمن ثابت عن النبي ﷺ في أربعة أحاديث.. أولها: حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (خلق الله آدم على صورته)، وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن أبي هريرة والضمير في قوله (على صورته) عائد إلى الله تعالى كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.. وثانيها: حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:(لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن) وهذا نص صريح في أن الله تعالى خلق آدم على صورته. وهذا النص لا يحتمل التأويل، ومن تأوله

---

[1]) ميزان الاعتدال (1/603).

[2]) تأويل مخلف الحديث ص (318).

فقد أبعد النجعة وتكلف غاية التكلف.. وثالثها: حديث أبي يونس الدوسي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإنما صورة الإنسان على صورة وجه الــرحمن) وهذا نص صريح في أن اللــه تعـالى خلـق الإنسـان على صـورة وجهـه الـذي هـو صـفة من صـفات ذاتـه. وهـذا النص لا يحتمـل التأويــل، وفيــه أبلــغ رد على ابن خزيمــة وعلى كــل من تــأول الحديث بتأويلات الجهمية المعطلة.. ورابعهـا: حـديث أبي رافـع الصائغ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:(إذا قاتـل أحـدكم فليجتنب الوجه فـإن اللــه تعـالى خلـق آدم على صـورة وجهـه) وهذا نص صريح في خلق آدم على صورة وجه الله تعالى، وهذا النص لا يحتمل التأويل، وفي هذه الأحاديث الأربعة أبلغ رد على من تأول حديث ابن عمر على غير تأويله ونفى إضـافة الصـورة إلى الـرحمن وزعم أنهـا من إضـافة الخلـق والتصـوير إلى اللــه تعالى)[1]

هذا ما ذكـره التـويجري وهـو تلخيص لمـا ذكـره ابن تيميـة وغيره من أعلام السلفية الذين أعطوا المسألة ما تسـتحقه من العناية، باعتبارها تبحث عن صورة الله، وهل هناك عاقل يـرغب عن البحث عن هذه الصورة؟

ويتبين لنا من خلال ما ذكره من روايات الحديث المعتمـدة كون أبي هريرة يشكل قطب رحاه، وهذا يكشف لنا عن مصـدر الحديث، فمن المعلوم عند المحدثين أنفسهم، بل عند السـلفية جميعهم أن أبا هريرة كان تلميذا نجيبا لكعب الأحبار وغيره من اليهود، وكانت تختلط رواياته عن كعب برواياته عن النبي ﷺ.

ولهذا كان من السهولة على المنزهة أن يرفضـوا الحـديث ويردوه بمجرد روايته عن أبي هريرة، خاصة وأنهم يعللون رواية ابن عمر بالعلـل الكثـيرة.. ولكن الخشـية للأسـف من اتهـامهم بــالطعن في الصـحابة جعلهم يرضـون بــالطعن في تنزيــه اللــه نفسه، بل جعلهم يتكلفون من التأويل ما غلبهم فيه المجســمة، لأن النص واضح في الدلالة على التشبيه والتجسيم، وكل تأويل

1) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (1/ 40)

له تكلف.

أبو هريرة.. ونسبة الرؤية الحسية لله:

من أهم مقتضيات التجسيم والتشبيه لله الرؤية الحسية له، أي رؤيته بالعين المجردة كما ترى الأشياء المقدرة المحدودة المحسوسة، ومن مقتضيات الرؤية الحسية كذلك كون ما تراه محدودا مقدرا مجسما.. ولهذا يميل السلفية لكل من يقول بهذه الرؤية، من السلف والخلف، لأن التجسيم عندهم هو السنة، وما عداه بدعة.

ولهذا أعرضوا عن كل من يقول بالرؤية القلبية لله، أي الرؤية المنزهة لله، واعتبروه ضالا مبتدعا منكرا للرؤية، لأنها عندهم لا تتم إلا بالعين المجردة، ووفق قوانين الرؤية الطبيعية.

وأبو هريرة هو إمام هذا النوع من الرؤية، حتى أنه لا يكتفي برؤية الآخرة، بل يرى أن رسول الله ﷺ قد رأى ربه في الدنيا أيضا بصورة حسية، ففي الحديث: أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه عز وجل؟ فقال: (نعم، قد رآه)[1]

ورووا عنه في حديث آخر أنه رأى ربه ولمسه يقظة لا مناما، فقد روى أبو بكر الخلال، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي)[2]

أما في الآخرة، فقد وردت عنه في ذلك روايات كثيرة ممتلئة بالغرابة، ولكنها جميعا مقبولة عند السلفية، وهم يضربون بها كل حين وجوه خصومهم بدعوى أنهم ينكرون حديث رسول الله ﷺ.

---

1) رواه عبد الله بن أحمد في السنة 1/176، رقم 218. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/571، رقم 908.

2) إبطال التأويلات (ص: 115)

ومن تلـك الأحـاديث هـذا المشـهد الـذي رواه أبـو هريـرة، والذي يصور مشاهد للقـاء الحسـي الـذي يجـري بين المؤمـنين وربهم في الجنة، كما يجـري بين البشـر والملـوك والأمـراء في الدنيا.

ففي الحديث عن سعيد بن المسيب، أنـه لقي أبـا هريـرة، فقال أبو هريـرة: أسـأل اللـه أن يجمـع بيـني وبينـك في سـوق الجنة. فقال سعيد: أو فيهـا سـوق؟ قـال: نعم. أخـبرني رسـول الله ﷺ: أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيـام الـدنيا، فـيزورون اللـه في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منـابر من نـور، ومنـابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجـد، ومنـابر من يـاقوت، ومنـابر من ذهب، ومنـابر من فضـة، ويجلس أدنـاهم، ومـا فيهم دني، على كثبـان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضـل منهم مجلسا)، قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلـة البدر؟) قلنا: لا. قال: فكـذلك لا تمـارون في رؤيـة ربكم تبـارك وتعـالى، ولا يبقى في ذلـك المجلس أحـد إلا حاضـره اللـه محاضرة، حتى يقول: يا فلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، فيذكره بعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلى. فيقـول: يـا رب أفلم تغفـر لي؟ فيقـول: بلى، فبمغفـرتي بلغت منزلتـك هذه. قـال: فبينمـا هم على ذلـك غشـيتهم سـحابة من فـوقهم، فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحـه شـيئا قـط، ثم يقـول ربنـا تبـارك وتعـالى: قومـوا إلى مـا أعـددت لكم من الكرامـة، فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيـأتون سـوقا قـد حفت بهـا الملائكـة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم تخطـر على القلوب. قال: فيحمل لنا ما اشتهيناه، ليس يباع فيه شـيء ولا يشترى، في ذلـك السـوق يلقى أهـل الجنـة بعضـهم بعضـا. قال: فيقبل ذو البزة المرتفعة، فيلقى من هـو دونـه، ومـا فيهم دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخـر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلـك أنـه لا ينبغي لأحـد أن يحزن فيها. قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانـا أزواجنـا فيقلن: مرحبا وأهلا بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل

مما فارقتنا عليه، فيقول: (إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)(1)

ويصور في مشهد آخر تميز المؤمنين عن غيرهم برؤية ما يسمونه ساق الله، ويفسرون بذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42]، وهو قوله في حديث طويل: (.. ثم يقضي الله بين من بقي من خلقه، حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ الله من ذلك، نادى مناد يسمع الخلائق كلهم، فقال: ليلحق كل قوم بآلهتهم وماكانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئا إلا مثلت له الهيئة بين يديه، فيجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى، فيتبع هذا اليهود، ويتبع هذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار فهذا الذي يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 99]، فإذا لم يبق إلا المؤمنون، فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئة، فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم، وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، ما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم- وهو الله- فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس، ذهب الناس، فالحقوا بآلهتكم، وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم، فيخرون سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم) (2)

وفي مشهد آخر أو في رواية أخرى يرفع إبو هريرة هذا الحديث الممتلئ بالتجسيم إلى رسول الله ﷺ، فيقول: (يجمع

1) السنة لابن أبي عاصم (1/ 258).

2) رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي، انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير: (1/ 270)

الله الناس يـوم القيامـة في صـعيد واحـد، ثم يطلـع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا ليتبـع كـل أنـاس مـا كـانوا يعبـدون فيمثـل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصـوير تصـويره، ولصـاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسـلمون، فيطلـع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولـون: نعـوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا، حـتى نـرى ربنـا وهـو يـأمرهم ويثبتهم، ثم يتــوارى، ثم يطلــع، فيقــول: ألا تتبعــون النــاس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا حـتى نـرى ربنـا وهو يأمرهم ويثبتهم "، ثم قالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ قـال: (وهل تتمارون في رؤية القمر ليلة البـدر؟) قـالوا: لا يـا رسـول الله قال: فإنكم لا تتمارون في رؤيته تلك السـاعة، ثم يتـوارى، ثم يطلع عليهم، فيعرفهم بنفسه، ثم يقول: أنـا ربكم، فـاتبعون، فيقوم المسلمون)(1)

وقد علق الشيخ محمد الغزالي على هـذا الحـديث وأمثالـه بقوله: (وهذا سـياق غـامض مضـطرب مبهم، وجمهـور العلمـاء يرفضــه، وقــد حــاول القاضــي عيــاض القــول بــأن الــذي جــاء المؤمنين في صورة أنكروها أول الأمر هو أحد الملائكة)

ثم عقب على التأويــل المتكلــف الــذي قــام بــه القاضــي عيــاض وأمثالــه من المتكلمين الــذين لم يجــرؤوا على تكــذيب الحــديث، فقــال: (لمــاذا يقــوم أحــد الملائكــة بهــذه التمثيليــة المزعجة وبإذن من؟ وما جدواها؟ الحديث كله معلول وإلصـاقه بالآيــة خطــأ، وبعض المرضــى بالتجســيم هــو الــذي يشــيع هــذه المرويات، وإن المسلم الحــق ليســتحي أن ينســب إلى رســول الله ﷺ هذه الأخبار) (2)

هذا هو الموقف الصحيح، لأن كل التكلفات والتأويلات التي حاول المتكلمون والشراح أن يفسروا بهـا الحـديث لا تزيـده إلا تعقيدا، ولا تزيد المشبهة والمجسمة إلا قـوة، لأنهم يسـتطيعون

(1) التوحيد لابن خزيمة (1/ 216)

(2) التوحيد لابن خزيمة (1/ 216)

بسهولة أن يردوا عليهم تلك التأويلات الباردة.

أبو هريرة.. ونسبة الأعضاء لله:

ذكرنا في كتابنا [السلفية والوثنية المقدسة] أن السلفية يغالطون كثيرا حينما يعبرون عن تلك الإضافات الواردة في النصوص المقدسة، والتي جاءت على سبيل المجاز والاستعارة ونحوها بكونها صفات لله، مع العلم أنهم لا يريدون منها إلا ما نريده من الأعضاء، ذلك أنهم يعتقدون أن لله أجزاء وأبعاضا، وأنه لا يستحيل عليه التركيب.

وقد وجدوا في أحاديث أبي هريرة الكثيرة في هذا الجانب ما جعلهم يعتقدون لأنفسهم أنهم أصحاب الحق المجرد.

وسنذكر هنا نماذج عن بعض تلك الأحاديث التي رواها أبو هريرة، والتي يستدلون بها في كتبهم العقدية، لنرى سر حرصهم عليه، ومبالغتهم في الدفاع عنه.

فمنها تصويره أن لله ذراعا، وأن لها طولا مقدرا محدودا، فقد روى في ذلك عن رسول الله ﷺ: (ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار، جل اسمه) (1)

وهذا الحديث يجعل الله تعالى قزما صغيرا بالنسبة لجلد كافر واحد وضرسه، فكيف بجسمه جميعا.

ومن تلك الأحاديث ما رواه مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه من روحه ؛ قال بيده وهما مقبوضتان: خذ أيها شئت يا آدم، فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يداه يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، وإذا كل

(1) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص26.

إنسان منهم عنده عمره مكتوب)(1)

وهذا الحديث الـذي يصـور اللـه وكأنـه يلعب مـع آدم عليـه السلام، يستدل به السـلفية على إثبـات اليـدين للـه، وأنـه ليس لله يسار، قال ابن خزيمة في هذا: (باب: ذكر سـنة ثامنـة تـبين وتوضـح أن لخالقنـا جـل وعلا يـدين، كلتاهمـا يمينـان، لا يسـار لخالقنا عز وجل ؛ إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجل ربنا عن أن يكون له يسار)(2)

وقال: (.. بـل الأرض جميعـا قبضـة ربنـا جـل وعلا، بإحـدى يديـه يـوم القيامـة، والسـماوات مطويـات بيمينـه، وهي اليـد الأخرى، وكلتا يدي ربنا يمين، لا شمال فيهما، جل ربنا وعـز عن أن يكون له يسار ؛ إذ كون إحدى اليدين يسـارا إنمـا يكـون من علامات المخلوقين، جل ربنا وعز عن شبه خلقه)(3)

وقال الإمام أحمد: (وكما صح الخـبر عن رسـول اللـه ﷺ ؛ أنه قال: (وكلتا يديه يمين)، الإيمان بذلك، فمن لم يـؤمن بـذلك، ويعلم أن ذلك حق كما قال رسول الله ﷺ ؛ فهو مكذب برسول الله ﷺ)(4)

ويسـتدلون بالحـديث أيضـا على حركـة يـد اللـه بـالقبض والبسط، وقـد رووا في هـذا أيضـا عن أبي هريـرة قولـه: (.. ثم **يبسط** يديه تبارك وتعـالى ؛ يقـول: من يقـرض غـير عـدوم ولا

---

1) ابن أبي عاصم في السنة (206). وابن حبان (6167). والحاكم (1/64) وصحَّحَه. وعنه البيهقي في (الأسماء والصـفات (2/56). والحـديث حسَّـنه الألبـاني في تخريجـه لـ (السنة)

2) كتاب التوحيد (1/159).

3) كتاب التوحيد (1/197).

4) طبقات الحنابلة لأبي يعلى: (1/313).

ظلوم)(1)

ورووا عنه أيضا أن الله يمسك بيمينه الأشياء، وأنه يماسها وتماسه، ويقترب منها ويبتعد، ومن تلك الروايات ما رواه مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (وما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب ؛ إلا **أخذها** الرحمن بيمينه) (2)

ورووا عنه روايته عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أحدكم ليتصدق بالتمرة من طيب، ولا يقبل الله إلا طيبا، فيجعلها الله في يده اليمنى، ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، حتى تصير مثل أحد) (3)

ورووا عنه ما يفيد أن يمين الله ملأى، بخلاف يده الأخرى المقبوضة، فعن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، فذكر أخبارا عن النبي ﷺ قال: (يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحاء بالليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه)، قال: (وعرشه على الماء، وبيمينه الأخرى القبض، يرفع ويخفض) (4)

وفي رواية: (يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار)، وقال: (فإنه لم ينقص مما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض) (5)

---

1) مسلم(758).

2) رواه مسلم (1014).

3) التوحيد لابن خزيمة (1/ 138)

4) التوحيد لابن خزيمة (1/ 162)

5) التوحيد لابن خزيمة (1/ 162)

ومن الوظائف التي تقوم بها يدي الله تعالى ما عبر عنه أبو هريرة بقوله ـ مرفوعا إلى رسول الله ﷺ ـ : (يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: (أنا الملك، فأين ملوك الأرض) (1)

ومن الأعضاء التي نصت عليها أحاديث أبي هريرة، ويستدل بها السلفية كثيرا [القدم]، فقد رووا عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: أي رب، ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار: أي رب، إنما يدخلها الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة: فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنه ينشئ لها نشئا، وأما النار، فيلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه، هناك تمتلئ، ويدنو بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط) (2)

ومن الأعضاء التي نصت عليها أحاديث أبي هريرة، ويستدل بها السلفية كثيرا [الحجزة والحقو]، واللذان يعنيان في ظاهرهما [موضع عقد الإزار وشده]، ويذكرون أنهما (صفتان ذاتيان خبريتان ثابتتان بالسنة الصحيحة)، ويستدلون لهما بما رووه عن أبي هريرة قال: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه ؛ قامت الرحم، فأخذت **بحقو** الرحمن، فقال: مه!قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة..)(3)

وهم يستدلون بهذا، ويأخذون بظاهره، معتبرين الحقو بعضا من الله، ولهذا تمسكت به الرحم، كما يتمسك أحدنا بآخر

1) التوحيد لابن خزيمة (1/ 166)

2) التوحيد لابن خزيمة (1/ 207)

3) رواه البخاري (4830) وغيره.

عند التوسل إليه، وقد قال الشيخ عبد الله الغنيمـان في (شـرح كتاب التوحيد من صـحيح البخـاري) نـاقلا من (نقض التأسـيس) لابن تيمية، ومن (إبطال التـأويلات) لأبي يعلى الفـراء، ومعلقـا: (قال شيخ الإسلام رحمـه اللـه في رده على الـرازي في زعمـه أن هـذا الحـديث: (يعـني: حـديث أبي هريـرة المتقـدم) يجب تأويله: قــال: فيـقال له: بل هذا من الأخبار التي يقرها من يقـر نظيره، والنزاع فيه كالنزاع في نظيره ؛ فدعواك أنـه لا بـد فيـه من التأويل بلا حجة تخصه ؛ لا تصـح. وقـال: وهـذا الحـديث في الجملة من أحاديث الصفات، التي نص الأئمة على أنه يمـر كمـا جاء، وردوا على من نفى موجبه، وما ذكره الخطابي وغــيره أن هذا الحديث مما يتأول بالاتفاق ؛ فهـذا بحسـب علمـه، حيث لم يبلغه فيه عن أحد من العلمـاء أنـه جعلـه من أحـاديث الصـفات التي تمر كما جاءت. قال ابن حامد: ومما يجب التصديق به: أن لله حقوا. قال المروزي: قـرأت على أبي عبـد اللـه كتابـا، فمـر فيه ذكر حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (إن الله خلـق الـرحم، حـتى إذا فـرغ منهـا ؛ أخـذت بحقـو الـرحمن)، فرفـع المحـدث رأسه، وقال: أخاف أن تكـون كفـرت. قـال أبـو عبـد اللـه: هـذا جهمي. وقال أبو طالب: سمعت أبا عبد اللـه يسـأل عن حـديث هشام بن عمـار ؛ أنـه قـريء عليـه حـديث الـرحم: (تجيء يـوم القيامة فتعلق بـالرحمن تعـالى..)، فقـال: أخـاف أن تكـون قـد كفرت.فقال: هذا شامي ؛ ما له ولهذا؟ قلت: فما تقـول؟ قـال: يمضي كل حديث على ماجاء)[1]

أبو هريرة.. ونسبة الحركة لله:

من العقائـد الكـبرى الـتي تعطيهـا المدرسـة السـلفية في عصورها المختلفة أهمية خاصة، ما يمكن أن نطلق عليـه إثبـات الحركة والانتقال لله تعالى، بل إنهم يصورون أن نفي ذلك عنــه حكم عليــه بالإعــدام، كمــا قــال ابن القيم: (وقــد دل القــرآن والسنة والإجماع على أنـه سـبحانه يجيء يـوم القيامـة، ويـنزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة،

1) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/383).

وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة. وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له، وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور، فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة) (1)

وأكد ذلك ابن تيمية بقوله: (وهكذا يقال لهم فى أنواع الفعل القائم به كالإتيان والمجيء والنزول وجنس الحركة: إما أن يقبل ذلك وإما أن لايقبله:فإن لم يقبله كانت الأجسام التى تقبل الحركة ولم تتحرك أكمل منه. وإن قبل ذلك ولم يفعله كان ما يتحرك أكمل منه فإن الحركة كمال للمتحرك. ومعلوم أن من يمكنه أن يتحرك بنفسه أكمل ممن لا يمكنه التحرك وما يقبل الحركة أكمل ممن لايقبلها)(2)

وقال في شرح حديث النُّزول: (لفظ (الحركة؛ هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه؟ اختلف فيه المسلمون وغيرهم من أهل الملل وغير أهل الملل من أهل الحديث وأهل الكلام وأهل الفلسفة وغيرهم على ثلاثة أقوال، وهذه الثلاثة موجودة في أصحاب الآئمة الأربعة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم) (3)

ومن أهم المصادر التي يعتمدون عليها في إثبات الحركة لله باعتباره جسما متحيزا محدودا مقدرا تلك الروايات الكثيرة عن أبي هريرة التي تصور الله بصورة الجسم المحدود المقدر

1) مختصر الصواعق (2/257-258).

2) مجموع الفتاوى 8/23

3) مجموع الفتاوى 5/565

الذي يتحرك في الزمان والمكان، كما يتحرك أي جسم.

ومن تلك الروايات قوله: (يحشر الناس حفاة، عراة، مشاة، قياما، أربعين سنة، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء، وقد ألجمهم العرق من شدة الكرب، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي)(1)

وهم يفسرون بهذا الحديث قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]

وقد ساق هذه النص وأمثاله الدارمي في كتابه [الرد على الجهمية]، ثم قال بنبرة غامضة مخاطبا المنزهة بالشدة السلفية المعهودة: (فهذا الناطق من قول الله - عز وجل -، وذاك المحفوظ من قول رسول الله ﷺ بأخبار ليس عليها غبار، فإن كنتم من عباد الله المؤمنين؛ لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم، إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين، فإن قال قائل منهم: معنى إتيانه في ظلل من الغمام، ومجيئه والملك صفا صفا، كمعنى كذا وكذا، قلت: هذا التكذيب بالآية صراحا، تلك معناها بين للأمة لا اختلاف بيننا وبينكم وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين، فأما مجيئه يوم القيامة وإتيانه في ظلل من الغمام والملائكة، فلا اختلاف بين الأمة أنه إنما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم، وليصدع بين خلقه، ويقررهم بأعمالهم، ويجزيهم بها، ولينصف المظلوم منهم من الظالم، لا يتولى ذلك أحد غيره، تبارك اسمه وتعالى جده، فمن لم يؤمن بذلك؛ لم يؤمن بيوم الحساب)(2)

---

1) أورده الذهبي في العلو (ص65) وعزاه للعسال في كتاب المعرفة. وأورده ابن كثير في النهاية (2/205)

2) الرد على الجهمية (ص: 91).

وهكذا يعطي السلفية لهذا الموقف التجسيمي هـذا الحكم الخطير، وهو أنه من لم يؤمن بنزول الله على الغمام، لا يـؤمن أصلا بيوم الحساب..

ومن تلك النصوص في حركة الله وتنقله مـا رووه عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللـه ﷺ: (إن اللـه يمهـل حـتى يـذهب شطر الليل الأول، ثم ينزل إلى السماء الدنيا، فيقـول: هـل من مسـتغفر فـأغفر لـه؟ هـل من سـائل فأعطيـه؟ هـل من تـائب فأتوب عليه؟، حتى ينشق الفجر) (1)

أبو هريرة.. ونسبة الانفعالات لله:

لا يعتـبر السـلفية الانفعـالات من العجب والضـحك ونحوها نقصا، بل يعتبرونهـا كمـالا، ولـذلك نـراهم يتنافسـون في إثبـات مختلـف أنـواع الانفعـالات للـه، بـل نـراهم يصـورونها تصـويرا تشبيهيا تجسيميا محضا.

ومن ذلك ما ورد في (الرسالة الأكمليـة) لابن تيميـة، حيث قال: (وقول القائـل: إن الضـحك خفـة روح، ليس بصـحيح، وإن كان ذلك قد يقارنه.. ثم قول القائـل: (خفـة الـروح) إن أراد بـه وصـفًا مـذمومًا فهـذا يكـون لمـا لا ينبغي أن يضـحك منـه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مـدح وكمـال، وإذا قـدر حيان؛ أحدهما: يضْحَك مما يُضْحَك منه، والآخر: لا يضـحك قـط، كان الأول أكمل من الثاني)(2)

وهم يسـتندون في هـذا للكثـير من الروايـات التجسـيمية، ومن بينها روايات أبي هريرة، كروايته عن النبي ﷺ أنه قال: (ما توطن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر ؛ إلا تبشبش الله له

1) التوحيد لابن خزيمة (1/ 295)

2) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: 55)

كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم)(1)

وقد علـق أبـو يعلى على هـذا الحـديث وأمثالـه بقولـه: (.. وكذلك القـول في البشبشـة؛ لأن معنـاه يقـارب معـنى الفـرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحـا، ويقولـون: فلان هش بش فرح، إذا كـان منطلقـا، فيجـوز إطلاق ذلـك كمـا جاز إطلاق الفرح)(2)

ورووا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قـال: (ضـحك اللـه عـز وجل من رجلين قتل أحدهما صاحبه ثم دخلا الجنة)(3)

ورووا عنـه عن النـبي ﷺ أنـه قـال: (يضـرب الصـراط بين ظهراني جهنم.. فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغـدرك ألم تعطـني عهودك ومواثيقك أن لا تسـألني غـير مـا أعطيتـك؟ فيقـول: أي رب لا أكون أشقى خلقـك، فلا يـزال يـدعو حـتى يضـحك الـرب منه، فإذا ضحك الله منه قال له: أدخل الجنة) (4)

وهكذا قالوا فيما يسمونها صفة [الفرح]، والـتي رووا فيهـا حديثا عن أبي هريرة وغيره يرفعه إلى رسـول اللـه، جـاء فيـه: (لله **أفرح** بتوبة عبـده)، وفي رواية: (أشد فرحـاً)(5)

وقد قال ابن القيم ساخرا من الذي أولوا هذا الحــديث من باب تنزيه الله تعالى عن الانفعالات الدالة على القصور والعجز:

---

1) رواه ابن ماجه واللفظ له (صـحيح سـنن ابن ماجـه/652). وأحمـد في المسـند (8332). والطيالسي (2334). والحاكم (1/213)

2) إبطال التأويلات (1/243).

3) رواه مسلم في صحيحه 3/1504، 1505.

4) إبطال التأويلات (ص: 217)

5) البخاري (6308 و6309)، ومسلم (4927- 4933).

(وأيضاً فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: (للهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم ضل راحلته)، قالوا: وهذا أعظم ما يكون من الفرح وأكمله، فإن صاحب هذه الراحلة كان عليها مادة حياته من الطعام والشراب، وهى مركبه الذى يقطع به مسافة سفره، فلو عدمه لانقطع فى طريقه فكيف إذا عدم مع مركبه طعامه وشرابه.. فأَى فرحة تعدل فرحة هذا؟ ولو كان فى الوجود فرح أعظم من هذا لمثل به النبى ﷺ، ومع هذا ففرح الله بتوبة عبده إذ تاب إليه أعظم من فرح هذا براحلته، وتحت هذا سر عظيم يختص الله بفهمه من يشاءُ، فإِن كنت ممن غلظ حجابه وكثفت نفسه وطباعه، فعليك بوادى الخفا، وهو وادى المحرّفين للكلم عن مواضعه، الواضعين له على غير المراد منه، فهو واد قد سلكه خلق وتفرقوا فى شعابه وطرقه ومتاهاته ولم تستقر لهم فيه قدم ولا لجؤوا منه إلى ركن وثيق، بل هم كحاطب الليل وحاطم السيل)[1]

وهكذا أصبح منزه الله ــ في معيار السلفيين ــ محرفا، وأصبح المجسم معظما ومنزها.

ومثله قال الشيخ محمد خليل الهرَّاس عند شرحه للحديث السابق، فقد قال: (وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عَزَّ وجلَّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات ؛ أنه صفة حقيقية لله عَزَّ وجلَّ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحْدُث له هذا المعنى المعبَّر عنه بالفرح عندما يُحدِثُ عبدُهُ التوبةَ والإنابَةَ إليه، وهو مستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته، وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع ؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح أشر وبطرٍ ؛ فالله عَزَّ وجلَّ مُنَزَّه عن ذلك كله، ففرحهُ لا يشبه فرح أحد من خلقه ؛ لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته ؛ فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين، وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضى، وتفسير

---

1) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 234).

الرضى بإرادة الثواب ؛ فكل ذلك نفيٌ وتعطيـلٌ لفرحـه ورضـاه سبحانه، أوجبه سوءُ ظنٍّ هؤلاء المعطِّلة بربهم، حيث توهَّموا أن هذه المعاني تكون فيه كمـا هي في المخلـوق، تعـالى اللـه عن تشبيههم وتعطيلهم)[1]

أبو هريرة.. ونسبة الحاجة لله:

من الصفات التي يخرج بها من قـرأ العقائـد السـلفية من مصـادرها المتقدمـة أو المتـأخرة، نسـبة الحاجـة والافتقـار إلى الله.. فالله تعالى عندهم يفتقـر إلى الوسـائل والأدوات ليحقـق حاجاته ومطالبه، بل يفتقر إلى الدار التي يسكن فيها، والعـرش الذي يقعد عليه.. وقد رأينا الأدلة الكثيرة المثبتة لذلك في كتابنا [السلفية والوثنية المقدسة]

ومن أحاديث أبي هريرة الـتي قـد نسـتوحي منهـا هـذا مـا حدث به في قوله: (لما أراد الله أن يخلـق آدم، بعث ملكـا من الملائكة من حملة العرش إلى الأرض، فلما أهـوى ليأخـذ منهـا، قالت له الأرض: أسألك بالذي أرسلك ألا تأخذ مني اليـوم شـيئا يكون للنار فيه نصـيب غـدا، قـال: فتركهـا، فلمـا رجـع إلى ربـه قال: ما منعك أن تأتيني بما أمرتك به، فقال: يا رب سألتني بك ألا آخذ منها شيئا يكون للنار غدا منـه نصـيب، فـأعظمت أن أرد شيئا سألني بك، قال: ثم أرسـل آخـر من حملـة العـرش، فلمـا أهوى ليأخذ منها قالت له الأرض: أسألت بالذي أرسلك ألا تأخـذ مني اليوم شيئا يكون للنار فيه نصيب، قال: فتركها، فلمـا رجـع إلى ربه قال: ما منعك أن تـأتيني بمـا أمرتـك بـه، قـال: يـا رب سـألتني بـك ألا آخـذ منهـا شـيئا يكـون للنـار فيـه نصـيب غـدا، فأعظمت أن أرد شيئا سألني بك، قال: ثم أرسل آخر من حملة العرش فلما أهوى ليأخذ منهـا، قـالت لـه مثـل مـا قـالت للأول فتركها، ثم رجع إلى ربه، فقال مثل ما قال الأول، حـتى أرسـل حملة العرش كلهم، كل ذلك تقول لهم مثل ذلك، فيرجعون إلى ربهم فيقولون مثل ذلك، حتى أرسل ملك المـوت، فلمـا أهـوى ليأخذ منها قالت له الأرض أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني

[1]) شرح العقيدة الواسطية (ص 166).

اليوم شيئا يكون للنار فيه نصيب غدا، فقال ملك الموت: إن الذي أرسلني إليك أحق بالطاعة منك)(1)

وهذه الرواية لا تبين فقط افتقار الله وحاجته إلى أن يخبره الملاك بحقيقة ما حصل، وإنما تتناقض مع ما أخبر الله تعالى عنه من طاعة الملائكة المطلقة لله، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

وهي تذكرنا بتلك الرواية المشهورة التي أقام السلفية الدنيا لأجلها، ولم يقعدوها، وهي ما رووه عن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا إلى النبي ﷺ، أنه قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله ﷺ فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر)(2)

وسنرى الانتقادات الموجهة لهذا الحديث، ودفاع السلفية عنه في المبحث التالي لهذا المبحث.

ومن تلك الأحاديث التي توهم بحاجات الله المختلفة ما رووه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (الملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، يجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ قالوا: تركناهم

---

1) أورده الذهبي في العلو: ص 86.

2) البخاري (1339)، ومسلم (2372)ـ (157). وابن أبي عاصم في السنة (599) عن سلمة بن شبيب، والنسائي 4/118.

وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون) (1)

ومنها ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن لله عز وجل ملائكة يتعاقبون فيكم، فإذا كانت صلاة الفجر نزلت [ص: 270] ملائكة النهار، فشهدوا معكم الصلاة جميعا، ثم صعدت ملائكة الليل، ومكثت معكم ملائكة النهار، فسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما تركتم عبادي يصنعون؟ قالوا: فيقولون: جئناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون، فإذا كانت صلاة العصر نزلت ملائكة الليل، فشهدوا معكم الصلاة جميعا، ثم صعدت ملائكة النهار، ومكثت ملائكة الليل قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم، فيقول: ما تركتم عبادي يصنعون؟ قال: فيقولون: جئناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون، قال: فحسبت أنهم يقولون: فاغفر لهم يوم الدين) (2)

ومنها ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، وهم هكذا واحد فوق الآخر، وربما أدرك الشهاب المستمع فيحرقه، وربما لم يدركه، حتى يرمي بها إلى الذي أسفل منه ويرميها الآخر على من هو أسفل منه، فيلقيها على فم الساحر، أو الكاهن فيكذب عليها ما يريد، فيحدث بها الناس، فيقولون: قد أخبرنا بكذا وكذا، فوجدناه حقا، فيصدق بالكلمة التي سمعت من السماء) (3)

ومنها ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى قرأ طه، ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما

---

1) التوحيد لابن خزيمة (1/ 269)

2) التوحيد لابن خزيمة (1/ 269)

3) التوحيد لابن خزيمة (1/ 355)

سمعت الملائكة القـرآن قـالت: طـوبى لأمـة يـنزل هـذا عليهم، طوبى لألسن تتكلم بهذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا) (1)

1) التوحيد لابن خزيمة (1/ 403)

ثانيا ـ أحاديث أبي هريرة.. وتدنيس النبوة

من الطبيعي لأبي هريرة، وهو تلميذ كعب الأحبــار النجيب، والذي شهد له بعلمه بالتوراة، وبما عند أهل الكتاب من معارف أن يقــع في تــدنيس النبــوة، كمــا وقــع في ذلــك كعب الأحبــار، واليهود، وكما تمتلئ به كتبهم.

وكـان يمكن أن نقبـل كـل مـا ذكـره أبـو هريـرة في هـذه الناحيــة باعتبــاره حاكيــا عن معارفــه التوراتيــة، أو حاكيــا عن مقالات أستاذه كعب الأحبار الذي تتملـذ عليـه فـترة أطـول من الفترة التي تتملذ فيها على رسول الله ﷺ..

ولكن المشكلة هي أن أبا هريرة كان يرفع تلـك الحكايـات المملوءة بتشويه الأنبياء والنبوة إلى رسول الله ﷺ.. ليحول من كلماته معاول يهدم بها ذلك الصرح العظيم الذي أسسه القـرآن الكريم لجمال النبوة وعصمتها وطهارتهـا، وكونهـا محلا للاقتـداء والهداية، كما قال تعالى بعد ذكره لبعض الأنبياء عليهم السـلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]

ومن الأمثلــة على ذلــك التشــويه للأنبيــاء، ذلــك الحــديث المشهور المعروف الذي رواه أبو هريرة، وطالمـا روينـاه لنـبين من خلاله مكانة رسول الله ﷺ بين الأنبياء، ونسينا أو غفلنــا في غمــرة ذلــك الزهــو أننــا نطعن في تلــك الجــواهر المقدســة المعصومة، التي اختارها الله لتكون واسـطة الهدايـة بينـه وبين عباده.. وهل يرضى رسول الله ﷺ أن يرفـع بخفض إخوانــه من الأنبياء وتشويههم؟

وذلك الحديث هو ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ أتي بلحم فرفـع إليـه الـذراع، وكـانت تعجبـه، فنهش منها نهشة، ثم قال: أنا سـيد النـاس يـوم القيامـة، وهـل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله النـاس الأولين والآخـرين في صـعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتـدنو الشـمس، فيبلـغ النـاس من الغم والكـرب مـا لا يطيقـون ولا يحتملـون، فيقـول

الناس: ألا ترون مـا قـد بلغكم، ألا تنظـرون من يشـفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيـك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لـك، اشـفع لنـا إلى ربـك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنـا؟ فيقـول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضـبا لم يغضـب قبلـه مثلـه، ولن يغضـب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسـي، نفسـي، اذهبـوا إلى غـيري، اذهبـوا إلى نـوح، فيـأتون نوحـا فيقولون: يا نـوح، إنـك أنت أول الرسـل إلى أهـل الأرض، وقـد سماك الله عبدا شـكورا، اشـفع لنـا إلى ربـك، ألا تـرى إلى مـا نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قـد غضـب اليـوم غضـبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي، نفسي، نفسـي، اذهبـوا إلى غـيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيـأتون إبـراهيم فيقولـون: يـا إبـراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا تـرى إلى مـا نحن فيـه؟ فيقـول لهم: إن ربي قـد غضـب اليـوم غضـبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثلـه، وإني قـد كنت كـذبت ثلاث كذبات ـ فذكرهن أبو حيان في الحديث ـ نفسـي، نفسـي، نفسي، اذهبوا إلى غـيري، اذهبـوا إلى موسـى فيـأتون، موسـى فيقولـون: يـا موسـى أنت رسـول اللـه، فضـلك اللـه برسـالته وبكلامه على الناس، اشـفع لنـا إلى ربـك، ألا تـرى إلى مـا نحن فيه؟ فيقـول: إن ربي قـد غضـب اليـوم غضـبا لم يغضـب قبلـه مثلـه، ولن يغضـب بعـده مثلـه، وإني قـد قتلت نفسـا لم أومـر بقتلهـا، نفسـي نفسـي، نفسـي، اذهبـوا إلى غـيري، اذهبـوا إلى عيسـى ابن مـريم، فيـأتون عيسـى، فيقولـون: يـا عيسـى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـه، وكلمت النـاس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربـك، ألا تـرى إلى مـا نحن فيـه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليـوم غضـبا لم يغضـب قبلـه مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي، نفسي، نفسـي، اذهبـوا إلى غـيري اذهبـوا إلى محمـد، فيـأتون محمـدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر اللـه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا تـرى إلى

ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى)[1]

ونحن لا ننكر كل ما في هذا الحديث من تفاصيل، فقد يكون في بعضه بعض الصدق، وقد رأينا في الفصل الأول أن أبا هريرة يضيف من كيسه لما ورد في الحديث، ليزيده بعض الحلاوة والطلاوة، وبعض التفاصيل التي يحن لها المجتمعون إليه.

ومن التفاصيل التي ذكرها، والتي لا نرى مناسبة لها، هي ما ذكره من أن الأنبياء عليهم السلام يبررون عدم دعوتهم باهتمامهم بأنفسهم، وذلك غير صحيح، فالأنبياء ممتلئون رحمة بالخلق، مثلهم مثل رسول الله ﷺ.. ولذلك أن يستحيل أن يكون ذلك هو السبب.

ومثل ذلك ادعاؤهم أن لهم أخطاء تحول بينهم وبين الدعاء، وذلك غير صحيح أيضا، فلا يكون النبي نبيا حتى يكون عارفا بالله، والعارف بالله يعلم أن رحمة الله أوسع من أن تضيق بخاطئ.

أما ما نراه في هذا في حال صحته، فهو أن الأنبياء عليهم السلام في ذلك المحل تبع لرسول الله ﷺ، كما ورد في

---

1) البخاري (4712)، ومسلم (194)، والترمذي (2434)

الحديث: (لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى)[1]، بـل كما نص على ذلك بصـراحة قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـابٍ وَحِكْمَـةٍ ثُمَّ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مُصَـدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْـرَرْتُمْ وَأَخَـذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْـدَ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ﴾ [آل عمـران: 81، 82]

ولهـذا فـإن الأنبيـاء عليهم السـلام في ذلـك المحـل الـذي طلب منهم فيه دعوة اللـه تعـالى أرسـلوا من طلب منهم ذلـك إلى رسول اللـه ﷺ لا باعتبـارهم خـاطئين، ولا باعتبـار حرصـهم على أنفسهم، وإنما باعتبار رسول الله ﷺ في ذلـك المحـل هـو الإمام الذي لا يصح أن يتقدم عليه أحد.

والعجب أن هذا الحديث يذكر أن نوحا عليه السلام أعطـاه الله تعالى دعوة واحدة، وأن نصـيبه من الـدعاء قـد انتهى، كمـا ورد في الحديث: (وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قـومي)، فهل نزل كرم الله إلى هذه الدرجة بحيث يمنح لعباده المقربين دعوة واحدة.

ثم إنا نرى الله تعالى يثني على نوح عليـه السـلام، ويثـني على ما قام به من الـدعاء على قومـه، فكيـف نضـرب القـرآن بهذا الحديث الذي يوهم أن نوحا عليه السلام أخطـأ في الـدعاء على قومه.

وهكذا نرى الحديث يرمي إبـراهيم عليـه السـلام بالكـذب، بل بثلاث كذبات خطيرة، وأن تلك الكذبات حـالت بينـه وبين أن يدعو الله..

ثم إن الحديث يذكر هذا المعنى الخطـير الـذي لا يتناسـب مع عظمة الله، ولا مع ما ورد في النصوص المقدسة عن رحمة الله في الآخرة، ففيه: (إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب

[1] رواه أحمـد (3/387، رقم 15195) قـال الهيثمى (1/174): رواه أحمـد، وأبـو يعلى، والبزار.

قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله)

فهل يمكن أن تكون رحمة الله التي وسعت كل شيء قد زالت في ذلك الحين، وحل بدلها الغضب.. أم أن رحمة الله تعالى موجودة في كل حين، كما أن غضبه موجود في كل حين.. ولكن الاختلاف بحسب القابل والمحل.. أما الله فأعظم من أن تغيره الأحوال، أو تجري عليه الأحداث؟

مع أن رسول الله ﷺ نفسه ذكر في الحديث أن رحمة الله تعالى في الآخرة، وبحسب القابل لها، تكون أعظم ظهورا من رحمته في الدنيا، لضيق وعاء الدنيا، كما ورد في الحديث: (إن الله خلق مائة رحمة، رحمة منها قسمها بين الخلائق وتسعة وتسعين إلى يوم القيامة)(1)

ولم تكتف أحاديث أبي هريرة بهذا، بل إنها راحت تتبع الأنبياء الذين ورد الثناء عليهم في القرآن الكريم لترميهم بالعظائم التي لا تتناسب مع حرمتهم، ومع كونهم منارات الهداية التي جعلها الله لعباده في كل زمان ومكان.

بل إن رسول الله ﷺ نفسه كان يذكرهم، ويحيي هديهم العظيم، كما ورد في الحديث: (رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر)(2)

وروي أنه في فتح مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب، فقال: ماذا تقولون؟ فقال سهيل بن عمرو: خيرًا ونحن نظن خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت، فقال رسول الله ﷺ: (أقول كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92])(3)

---

1) رواه الطبرانى (11/374، رقم 12047). قال الهيثمى (10/214): رواه الطبرانى والبزار، وإسناده حسن.

2) رواه أحمد (1/380، رقم 3608)، والبخارى (3/1148، رقم 2981)، ومسلم (2/739، رقم 1062)

وبناء على هذا سنذكر هنا بعض أحاديثه التي ينتصر لها السلفية مع خطر العقائد التي تحملها في حق الأنبياء عليهم السلام، بل في حق الله نفسه.

أبو هريرة.. وآدم عليه السلام:

من الروايات التي يرفعها أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ، مع أنه يظهر عليها الطابع اليهودي، أو الأسطوري، لأن الكثير مما يرويه كعب الأحبار لا يوجد في الكتاب المقدس، كما ذكرنا ذلك بتفصيل في كتابنا [كعب الأحبار.. والتسلل اليهودي للإسلام] هذه الرواية الخطيرة التي تمس كرامة آدم عليه السلام، بل تتهمه بالحرص على الحياة بعد أن عاش ألف سنة كاملة..

والرواية التي اتفق السلفيون على صحتها هي ما روره عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا فأعجبه وبيص مابين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال ستين سنة، قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمرى أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته)(1)

وفي رواية عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن

3) البيهقى فى دلائل النبوة (5/58)

1) الترمذي (3076). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (2683) وأخرجه الحاكم في المستدرك 2 /ـ 325 وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الله تبارك وتعالى، فقال له ربه: رحمك الله يا آدم، وقال له: يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة، إلى ملأ منهم جلوس، فقل: السلام عليكم، فقالوا: وعليك السلام، ورحمة الله، وبركاته، ثم رجع إلى ربه عز وجل فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك وبنيهم، فقال الله تبارك وتعالى له - ويداه مقبوضتان - (اختر أيهما شئت)، قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي رب، ما هؤلاء؟ قال: (هؤلاء ذريتك)، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، وإذا فيهم رجل أضوؤهم، أو من أضوئهم، لم يكتب له إلا أربعين سنة، فقال: يارب، من هذا؟ فقال: (هذا ابنك داود، وقد كتبت له أربعين سنة)، فقال: يارب، زده في عمره قال: (ذاك الذي كتبت له) قال: فإني جعلت له من عمري ستين سنة قال: (أنت وذاك)، فقال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد، فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود)[1]

وهذه الرواية التجسيمية التدنيسية العجيبة تصور آدم ﵇ بهذه الصورة الحقيرة التي لا تتناسب مع عامة الناس، فكيف بنبي كريم علمه الله أسماء كل شيء، ورضيه خليفة، وأسجد له ملائكته، ومع ذلك، وبعد أن نزل من الجنة، وتألم بآلام الأرض يصورونه وكأنه حريص على البقاء مدة أطول.

ومن الملاحظات الجديرة بالانتباه في الرواية زيادة على تشويهها لآدم ﵇ هو ما يبدو فيها من علامات اليهودية.. فالروايات بطرقها المختلفة تنص على أنه عندما عرضت ذريته جميعا عليه، بما فيهم رسول الله ﷺ، لم يشد انتباهه إلا داود ﵇ لأنه كان مميزا بكثرة نوره.. والنور يعني القرب والكمال.. وهم بذلك يصورون داود ﵇ بأنه الأقرب والأكمل.. وهو موقف اليهود الذي لا زالوا يؤمنون به، فهم يعتبرون داود هو مثلهم

1) التوحيد لابن خزيمة (1/ 160)

الأعلى، بل يعتبرونه أكثر من موسى، لأن الهدف عندهم هو الملك، وقد تحقق في داود، ولم يتحقق في موسى عليهم السلام جميعا.

ومن مظاهر الطابع اليهودي على الرواية ما صوروه من إهداء آدم بعضا من عمره لداود عليهما السلام، وكأن العمر بيده لا بيد الله، وكأن تحديد الله لعمر أي أحد مجرد عبث غير خاضع لسننه في الاختبار والابتلاء.

والمشكلة الأكبر من ذلك كله هي تصويرهم أن آدم أحسن إلى داود بذلك، وهذا ما يدل على التفكير اليهودي الحريص على الحياة، والذي يحصر السعادة فيها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾ [البقرة: 94 - 97]

والمشكلة الأكبر من ذلك هي تصويرهم لجحود آدم، وهو يعلم أن الله مطلع عليه، ويعلم أن الملائكة معصومون، وهو تصوير يتناسب مع المنافقين والكافرين، ولا يتناسب أبدأ مع أولياء الله وأنبيائه المقربين.

والمشكلة الأكبر من ذلك كله هو تصويرهم أن جحود بني آدم سببه جحود آدم، وكأن آدم عليه السلام هو المسؤول عن خطاياهم، مع أن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: 164]

وغيرها من المؤاخذات الكثيرة التي أعرضت عقول السلفية عن التدبر فيها، لسبب بسيط هو أن الحديث صحيح عندهم، وعلى رأسه أبو هريرة الإمام المعصوم.

ومن الأحاديث الخطيرة التي رفعها أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ مع كونها خزانا كبيرا للتجسيم والجبر والتشويه للأنبياء عليهم السلام، هذه الرواية المتفق على صحتها عند السلفية جميعا، وهي ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى عليهما السلام) (1)

وفي رواية: (احتج آدم وموسى، عليهما السلام، عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى)؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة، قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى)(2)

فهذه الرواية التي يسوقها عادة أصحاب كتب السنن والتوحيد عند ذكرهم ليد الله، وأن الله يمكن أن يكتب بيده، وأن ذلك من صفات كماله التي من جحدها فهو جهمي معطل.

ويستدلون بها على القدر، وأن الإنسان رهن لما كتب له من مصير، وأنه لن يستطيع أن يمحو شيئا كتب عليه، ولا أن يثبت شيئا محي عنه.

(1) رواه أحمد (2/264، رقم 7578)، والبخارى (3/1251، رقم 3228)، ومسلم (4/2043، رقم 2652)، وأبو داود (4/226، رقم 4701)، والترمذى (4/444، رقم 2134)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه (1/31، رقم 80). وابن حبان (14/55، رقم 6179)، والتوحيد لابن خزيمة (1/ 120)

(2) مسلم 8/50 (6837)

ويستدلون به في محال أخرى كثيرة، تصطدم مع العقل والفطرة السليمة، وقبل ذلك تصطدم مع القرآن الكريم نفسه.

فهل يمكن لموسى عليه السلام الرسول الكريم، والعارف بالله، أن يلوم أباه، وبتلك الطريقة الوقحة التي تجعله مسؤولا عن كل ما حصل للبشرية من مآس، وأعظمها إخراجهم من الجنة، ويقول له: (يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة)

مع أن السلفية أنفسهم يذكرون أن من رحمة الله بآدم أنه خرج من الجنة، وقد قال ابن القيم في ذلك: (فرح إبليس بنزول آدم من لجنة، وما علم أن هبوط الغائص في اللجة خلف الدر صعود.. ما جرى على آدم هو المراد من وجوده.. لا تجزع من قولي لك: اخرج منها، فلك ولصالح ذريتك خلفتها.. يا آدم كنت تدخل علي دخول الملوك على الملوك واليوم تدخل علي دخول العبيد على الملوك.. يا آدم لا تجزع من كأس زلل كانت سبب كيسك فقد استخرج منك داء العجب وألبست خلعة العبودية.. يا آدم لم أخرج إقطاعك إلى غيرك إنما نحيتك عنه لأكمل عمارته لك، وليبعث إلى العمال نفقة تتجافى جنوبهم)[1]

فهل يكون ابن القيم أعرف بالله، وبمقادير الله، وبحكمة الله من خروج آدم من الجنة من موسى عليه السلام؟

أبو هريرة.. وإبراهيم عليه السلام:

من الروايات الخطيرة التي رواها أبو هريرة، والتي تشوه إبراهيم عليه السلام، وتصوره بصورة لا تليق بتلك الصورة الجميلة التي صورها القرآن الكريم تلك الرواية التي تصور إبراهيم عليه السلام، وهو يضحي بزوجته في سبيل نجاته.. وهو فعل لا يقدم عليه حتى عوام الناس.. بل حتى ذكور بعض الحيوانات تضحي بنفسها في سبيل نجاة إناثها.

والمشكلة في هذه الرواية عند السلفية هو حرمة نقدها أو الحديث عنها لأن راويها أبو هريرة، ومخرجها البخاري ومسلم..

1) الفوائد لابن القيم (ص: 35)

وسنسـرد الروايـة، ونـرى هـل يمكن أن ينتقـدها العقـل السـليم المغـذى بالرؤيـة القرآنيـة، أم أن هـذا العقـل يمكن أن يسلم لها؟

ونص الرواية كما رواها أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ قـال: (لم يكـذب ابـراهيم ؑ غـير ثلاث: ثنـتين في ذات اللـه، قولـه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 89]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِـيرُهُمْ هَـذَا﴾ [الأنبياء: 63]، وبينـا هـو يسـير في أرض جبـار من الجبـابرة، إذ نزل منزلا، فـأتى الجبـار رجـل فقـال: إن في أرضـك رجلا معـه امرأة من أحسـن النـاس، فأرسـل إليـه، فجـاء فقـال: مـا هـذه المـرأة منـك؟ قـال: هي أخـتي، قـال: اذهب فأرسـل بهـا إلي، فـانطلق إلى سـارة، فقـال: إن هـذا الجبـار قـد سـألني عنـك، فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله، فإنه ليس في الأرض مسلم غـيري وغـيرك، قـال: فـانطلق بهـا وقام ابراهيم ؑ يصلي قال: فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها وذهب يتناولها، فأخذ أخذا شديدا، فقال: ادعي اللـه ولا أضـرك، فـدعت لـه فأرسـل فـأهوى إليهـا، فـذهب يتناولهـا، فاخـذ أخـذ شديدا، فقال: ادعى الله ولا أضرك، فدعت له فأرسل، ثم فعل ذلك الثالثة، فأخذ، فذكر مثل المرتين فأرسل قـال: فـدعا أدنى حجابه فقـال: إنـك لم تـأتني بإنسـان، ولكنـك أتيتـني بشـيطان، أخرجها وأعطها هاجر، فـأخرجت وأعطيت هـاجر، فـأقبلت بهـا، فلمـا أحس إبـراهيم بمجيئهـا انفتـل من صـلاته، فقـال: مهيم! فقالت: كفى الله كيد الفاجر الكافر! وأخدم هاجر)[1]

وقد اجتهد السلفية في نصـرة هـذه الروايـة، والـدفاع عن كل حرف من حروفها، ومن المرافعـات الـتي يـذكرها السـلفية في هذا المقام ما قاله ابن حجـر العسـقلاني، فقـد قـال: (وأمـا إطلاقـه الكـذب على الأمـور الثلاثـة؛ فلكونـه قـال قـولا يعتقـده السـامع كـذبا، لكنـه إذا حقـق لم يكن كـذبا؛ لأنـه من بـاب المعاريض المحتملة للأمرين، فليس بكذب محض، وقوله (هـذه أختي) يعتذر عنـه بـأن مـراده أنهـا أختـه في الإسـلام، قـال ابن

1) رواه البخاري 6 / 277 ـ 280، ومسلم رقم (2371)، وأبو داود رقم (2212)، والترمذي رقم (3165)، وأحمد (2/403) والنسائي في فضائل الصحابة (268)

عقيل: دلالة العقل بتصرف ظاهر إطلاق الكـذب على إبـراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسـول ينبغي أن يكـون موثوقـا بـه؛ ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكـذب عليـه، فكيـف مـع وجـود الكـذب منـه، وإنمـا أطلـق عليـه ذلـك لكونـه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقـديره فلم يصـدر ذلـك من إبراهيم ﷺ - يعني إطلاق الكذب على ذلك - إلا في حـال شـدة الخـوف لعلـو مقامـه، وإلا فالكـذب المحض في مثـل تلـك المقامـات يجـوز، وقـد يجب لتحمـل أخـف الضـررين دفعـا لأعظمهما، وأما تسـميته إياهـا كـذبات فلا يريـد أنهـا تـذم، فـإن الكذب وإن كان قبيحا مخلا لكنـه قـد يحسـن في مواضـع وهـذا منها)(1)

ونحن نوافق ابن حجـر في كـون إبـراهيم ﷺ يسـتحيل أن يكذب، وما قالـه من سـقمه ونحـو ذلـك معـاريض أراد منهـا أن يسـتدرج قومـه لـدعوتهم إلى اللـه كمـا اسـتدرج الملـك، وكمـا استدرج عبدة الكواكب.. وذلك كله لا حرج فيـه، ولا يعتـبر كـذبا بحال من الأحوال.

لكن المشكلة ليس في ذلك.. المشكلة فيما أطلقـوا عليـه الكذبة الأخيرة.. فتلك ليست كذبـة فقـط.. بـل هي دياثـة وجبن وتصرف لا يليق بنبي كريم.. بل لا يليق بإنسان عادي بسيط.

فهل يمكن أن يقبـل أي رجـل في الـدنيا أن يـترك امرأتـه عند الجبارين من دون أن يدافع عنها؟ ثم كيف تنظر المرأة بعد ذلك لزوجها الذي فرط فيها من أجل نفسه أحوج ما تكون إليه؟ ثم ما الذي جعل إبراهيم ﷺ يذهب إلى ذلك المكان الـذي يعلم أنه ستأخذ منه زوجته قهرا؟

ثم كيف نطبق هذه السنة الإبراهيميـة في حياتنـا لأن اللـه تعالى أمرنا بأن نتبع ملته، ونسير سيرته، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَـهُ وَلَقَـدِ اصْـطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِـرَةِ لَمِنَ الصَّـالِحِينَ﴾ [البقـرة: 130]، وقـال:

---

1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (6/ 451)

﴿قُـلْ صَـدَقَ اللّهُ فَـاتَّبِعُوا مِلّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفًـا وَمَـا كَـانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95]

بل إن رسول الله ﷺ نفسه مكلف باتباع ملة إبـراهيم ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًـا وَمَـا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123]

فكيف نحيي هذه السنة الإبراهيميـة العظيمـة كمـا يتصـور السلفية؟

هذه هي قيمة الأنبياء عند السلفية، وهذا هو تصورهم لهم، وتدنيسهم لتلك القداسة التي بناها القرآن الكريم لهم.

ومن الأحـاديث المرتبطـة بـإبراهيم عليـه السـلام، والـتي يمكن أن تكون من الأحاديث التي تشوهه، ما رواه مسـلم عنـه قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (فختتن إبـراهيم – عليه السـلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم) (1)

فقد نقل هذا النص مع تحريف بسيط من [سـفر التكـوين، الإصحاح 17]، ففيـه: (وكـان إبـراهيم ابن تسـع وتسـعين سـنة حين ختن في لحم غرلته)

ولست أدري ما الحاجة لذكر هذا المعـنى حـول حيـاة نـبي كريم من الأنبياء حـتى لـو صـح، لأن المطلـوب هـو بيـان الحكم الشـرعي للختـان، وهـو يتم من غـير حاجـة لـذكر أمثـال هـذه التفاصيل المسيئة التي لا يرضاها السلفية حتى عن أنفسـهم أو مشـايخهم، فهـل من منـاقب الشـيخ ابن بـاز أن نـذكر الزمـان والمكان الذي اختتن فيه.

بالإضافة إلى هذا كلـه، فقـد أورد الطـبري عن أبي هريـرة وكعب الأحبار قصة أمر الله تعالى لإبـراهيم عليـه السـلام بـذبح ابنه إسماعيل، ولكن مع اختلاف بسيط مع ما يدل عليه القــرآن الكريم، وهو أنه بدل أن يكون الذبيح إسماعيل تحول الذبيح عند

(1) صحيح مسلم، الحديث رقم 6290

أبي هريرة وأستاذه كعب إلى إسحاق عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام.

فقد روى عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي، أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا، فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت سارة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه! قالت سارة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه! قال الشيطان: بلى والله! قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك; قالت سارة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني! قال: بلى; قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك; قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك; قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن; قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك; وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها; قال، قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا، فأدخله الجنة (1).

---

1) تفسير الطبري (21/ 81).

وروى عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار أن الذي أمر إبراهيم بذبحه من ابنيه إسحاق، وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه، قال الله لإسحاق: إني قد أعطيتك بصبرك لأمري دعوة أعطيك فيها ما سألت، فسلني، قال: رب أسألك أن لا تعذب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك، فكانت تلك مسألته التي سأل[1].

وبعد أن حكى الطبري هذا وغيره، قال: (وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107] فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100] فإذ كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101] في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن. وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به)[2]

---

1) تفسير الطبري (21/ 82).

2) تفسير الطبري (21/ 86).

ومع قوة الأدلة التي استدل بها القائلون بأن المفدى هو إسماعيل ﷺ، لدلالة القرآن الكريم عليها إلا أن الطبري، ولشدة شغفة ووثوقه بسلفه من اليهود، راح يفندها مع وضوحها الشديد، فقال: (وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم، فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 112] ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوه إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى الكعبة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه)(3)

وهكذا تصبح الأخبار والروايات والقصص والأساطير هي الموجه للطبري في تحديد موقفه.. لا نص الآية الكريم الواضح تماما.

أبو هريرة.. وموسى عليه السلام:

من خلال تأمل الروايات الواردة عن أبي هريرة حول موسى عليه السلام، نجد الكثير من التشويه والتحريف، الذي حاول السلفية، ومن شايعهم أن يبرره قدر الإمكان، ولكن كل تلك التبريرات لم تكن تزيد طين التشويه إلا بلا.. حتى أن الصورة العظيمة التي رسمها القرآن الكريم عن هذا النبي العظيم، نراها وهي تتحول عن مسارها تماما بكل حديث من

3) تفسير الطبري (21/ 86).

تلك الأحاديث، بل بكل مشهد من تلك المشاهد.

فمن تلك الأحاديث التي تبين حرص موسى عليه السلام على الدنيا، وعلى إضافة المزيد من السنين لعمره، وأنه بذلك لا يحب لقاء الله.. بل تصور معه بطشه وشدته وعنفه حتى مع ملائكة الله هذا الحديث الذي يدافع عنه السلفية دفاعا شديدا، لا لما تحمله من قيم ومعان، وإنما لأن مخرجها البخاري ومسلم، وراويها أبو هريرة.

وتلك الرواية هي ما عبر عنه أبو هريرة بقوله ـ مرفوعا إلى رسول الله ﷺ ـ : (أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله إليه عينه، فقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)[1]

وقد لقي هذا الحديث كما ذكرنا ـ مع التشويهات العظيمة التي يحملها في حق الأنبياء والملائكة عليهم السلام ـ اهتماما كبيرا من لدن السلفية في القديم والحديث، حتى أنهم رووا عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه أنهما سئلا عن هذا الحديث في جملة من أحاديث الصفات، فقال أحمد: كل هذا صحيح، وقال إسحاق: (هذا صحيح ولا يدفعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي)[2]

بل إن الحافظ عبد الغني المقدسي جعل الإيمان بما في هذا الحديث من عقائد أهل السنة، فمن أنكره خرج عنهم

---

1) أحمد (2/269). والبخاري (2/113) وفي (4/191) ومسلم (7/99) والنسائي (4/118)

2) انظر: الشريعة، أبو بكر الآجري، (2/ 94). التمهيد، (7/ 147، 148).

مذؤوما مدحورا، فقال: (.. ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى - عليه السلام - فصكه ففقأ عينه، كما صح عن رسول الله ﷺ، ولا ينكره إلا ضال مبتدع أو ضعيف الرأي)(1)

وقد برروا كل ما ورد فيه حرفا حرفا..

فبرروا تمثل ملك الموت في صورة بشر، بأنه أمر غير مستغرب ولا ممتنع؛ فقد دلت نصوص القرآن والسنة على ظهور الملائكة في صورة البشر بما يخفي حالهم على الأنبياء - فضلا عن عموم الناس - ولا يلزم من ذلك خروج الملك عن ملكيته، وفقء موسى لعين الصورة البشرية التي تمثل فيها ملك الموت رد فعل طبيعي يتصف بالشرعية مع رجل غريب اقتحم بيته بغير إذنه يطلب روحه.

وبرروا كراهية موسى عليه السلام للموت بأنه أمر جبلي فطر الله الناس عليه، لأن الله سمى الموت في القرآن مصيبة وبلاء.

وبرروا لطم موسى عليه السلام لملك الموت بأنه ليس اعتراضا من موسى على قضاء الله؛ بل لأن ملك الموت قد أتى موسى عليه السلام في صورة بشرية، ولم يعرفه فلطمه لأنه رآه آدميا قد دخل داره بغير إذنه يريد نفسه، فدافع موسى عن نفسه مدافعة أدت إلى فقء عين ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دارغيره بدون إذنه.

قال ابن حبان: (كان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى - عليه السلام - عليها، وكان موسى غيورا، فرأى في داره رجلا لم يعرفه، فشال يده فلطمه، فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي يتصور بها، لا الصورة التي خلقه الله عليها... ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، أو الناظر إلى بيته بغير أمره، أنه لا جناح على فاعله، ولا حرج على مرتكبه، للأخبار الجمة الواردة فيه... كان جائزا اتفاق الشريعة بشريعة موسى، بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، فكان

1) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، ص533..

استعمال موسى هذا الفعل مباحا له، ولا حرج عليه في فعله، فلما رجع ملك الموت إلى ربه، وأخبره بما كان من موسى فيه، أمره ثانيا بأمر آخر، هو أمر اختبار وابتلاء، فلما علم موسى كليم الله أنه ملك الموت، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت، ولم يستمهل، وقال: الآن، فلو عرف موسى في المرة الأولى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به)(1)

بل إنهم ـ ولأهمية المسألة عندهم ـ بنوا الكثير من العقائد على هذا الحديث، حتى أن بعضهم ـ وهو السلفي الكبير محمد بن أحمد العلوي ــ ألف في ذلك كتابا بعنوان [توضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى ﵇ للملك الموكل بقبض أرواح العباد]

وقد حاول فيه أن يبين أن الملاك الذي فقأ موسى ﵇ هو ملاك الموت، وأن عينه فقئت حقيقة، ولولا أن الله ردها عليه لبقي أعور.. يقول في ذلك: (إن ملك الموت جاء في صورة يمكن فقء البشر لعينها، والمعهود في مجيء الملك للبشر هو مجيئه له على صورة البشر، كما قال تعالى: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ [مريم: 17]، وكما أفادته النصوص القرآنية التي ذكر فيها مجيء الملائكة لإبراهيم وللوط وداود، وكذا نصوص الأحاديث التي ذكر فيها مجيء جبريل - ﵇ - لنبينا ﷺ، وبه تبين أن فقأ العين هنا هو على ظاهره، وأنه وقع في الصورة البشرية التي جاء ملك الموت عليها، وهو ممكن غير متعذر إلا في الصورة الملكية الأصلية النورانية البعيدة عن ذلك، إذ لم يعهد مجيء الملائكة للبشر فيها. أما رؤية نبينا ﷺ لجبريل على صورته الأصلية في السماء مرة، وبين السماء والأرض أخرى، فهي خارجة عن مجيء الملك الذي عليه مدار الحديث هنا، وبمجموع هذا الذي قررناه يكون قد حل استشكال صك موسى لعين الملك، وحصول فقء عين الملك من أثره)(2)

---

1) صحيح ابن حبان (14/ 112)..

ثم فسر دوافع موسى ﷺ لفقء عين ملك الموت، فقال: (وعلى هذا فإن موسى لما رأى رجلا لا يعرفه قد دخل عليه بغتة، وقال ما قال، حمله حب الحياة على الاستعجال بدفعه، ولولا شدة حب الحياة لتأنى وقال: من أنت وما شأنك؟ ونحو ذلك، ووقوع الصكة وتأثيرها كان على ذاك الجسد العارض، ولم ينل الملك بأس. فأما قوله في القصة: (فرد الله عليه عينه)، فحاصله: أن الله تعالى أعاد تمثيل الملك في ذاك الجسد المادي سليما، حتى إذا رآه موسى قد عاد سليما مع قرب الوقت، عرف لأول وهلة خطأه أول مرة)(1)

أما مسألة القصاص بين موسى ﷺ وملك الموت، وكيف لم يطلب الملاك القصاص من موسى ﷺ، فقد أجابوا عليها بقولهم: (ومن قال: إن الله لم يقتص لملك الموت من موسى، فهذا دليل على جهله، ومن أخبره أن بين الملائكة وبين الآدميين قصاص؟! ومن قال: إن ملك الموت طلب القصاص من موسى، فلم يقاصصه الله منه، وقد أخبرنا الله تعالى أن موسى قتل نفسا، ولم يقاصص الله منه لقتله!)(2)

أما القول بأن العين التي فقأها موسى ﷺ (إنما هي تمثيل وتخييل، لا حقيقة لها؛ لأن ما تنتقل الملائكة إليه من الصور ليس على الحقائق، وإنما هو تمثيل وتخييل، فالجواب عنه: أن هذا يقتضي أن كل صورة رآها الأنبياء من الملائكة فإنما هي مجرد تمثيل وتخييل لا حقيقة لها، وهذا باطل، فإن النبي - ﷺ - قد رأى جبريل على صورته التي خلق عليها سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض)(3)

---

2) توضيح طرق الرشاد، ص196 بتصرف.

1) الأنوار الكاشفة، ص215..

2) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، ص538.

3) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، ص538.

والعجب من العقل السلفي الذي يورد أمثال هذه الروايات، ويدافع عنها جميعا، ثم هو نفسه يروي روايات أخرى تناقضها، ثم يأمر عقول الناس بأن تستسلم لها جميعا من غير كيف.

ومن تلك الروايات التي تكفي وحدها للرد عليهم ما رواه الشيخان عن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة، ثم يحيا أو يخير. فلما اشتكى وحضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة، غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى. فقلت: إذا لا يجاورنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا، وهو صحيح)[1]

وفي رواية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة. وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، فعلمت أنه خير) [2]

ونكتفي بهذا الرد من رسول الله ﷺ على تلك التحريفات والتشويهات التي أثارها السلفية باسم رسول الله ﷺ.. وهو منها براء.

وقد ذكرنا سابقا شدة السلفيين مع الغزالي بسببه إنكاره لهذا الحديث، واعتباره طاعنا في السنة، وقد قال في ذلك: (وقع لي وأنا بالجزائر أن طالبا سألني: أصحيح أن موسى عليه السلام، فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه بعدما استوفى أجله؟ فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر: وماذا يفيد هذا الحديث؟ إنه لا يتصل بعقيدة، ولا يرتبط به عمل، والأمة الإسلامية اليوم تدور عليها الرحى وخصومها طامعون في إخماد

---

1) رواه البخاري 8 / 15 ومسلم رقم (2444) أحمد (6/274)

2) رواه البخاري 8 / 15 ومسلم رقم (2444) أحمد (6/274)

أنفاسها! اشتغل بما هـو أهم وأجـدى! قـال الطـالب: أحببت أن أعـرف هـل الحـديث صـحيح أم لا؟ فقلت لـه متبرمـا: الحـديث مـروي عن أبي هريـرة وقـد جـادل البعض في صـحته. وعـدت لنفسي أفكر إن الحديث صحيح السند، ولكن متنه يثير الريبة إذ يفيد أن موسـى يكـره المـوت ولا يحب لقـاء اللـه بعـدما انتهى أجله. وهـذا المعـنى مرفـوض بالنسـبة إلى الصـالحين من عبـاد الله كما جاء في الحديث الآخـر (من أحب لقـاء اللـه أحب اللـه لقـاءه) فكيـف بأنبيـاء اللـه؟ كيـف بواحـد من أولي العـزم؟ إن كراهيته للمـوت بعـدما جـاءه ملكـه مسـتغرب ثم هـل الملائكـة تعرض لها العاهات التي تعـرض للبشـر من عمى أو عـور؟ ذاك بعيد.. قلت: لعل متن الحديث معلول، وأيا ما كان الأمـر، فليس لدي ما يدفعني إلى إطالة الفكر فيه.. فلما رجعت إلى الحـديث في أحد مصـادره سـاءني أن الشـارح جعـل رد الحـديث إلحـادا وشرع يفند الشبهات الموجهة إليه فلم يزدها إلا قوة..)[1]

ثم ذكـر قـول المـازري: (وقـد أنكـر بعض الملاحـدة هـذا الحديث وأنكر تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسـى فقء عين ملك الموت؟)، ودفاعه عن الحديث، ثم رد عليها بقوله: (نقـول نحن: هذا الدفاع كله خفيف الوزن وهو دفاع تافه لا يساغ، ومن وصـم منكـر الحـديث بالإلحـاد فهـو يسـتطيل في أعـراض المسلمين والحق أن في متنه علـة قادحـة تـنزل بـه عن مرتبـة الصـحة ورفضـه أو قبولـه خلاف فكـري، وليس خلافـا عقائـديا والعلـة في المتن يبصـرها المحققـون، وتخفى على أصـحاب الفكر السطحي، وقد رفض الأئمة أحـاديث صـح سـندها واعتـل متنها فلم تستكمل بهذا الخلل شروط الصحة)[2]

هذا هـو موقـف الشـيخ محمـد الغـزالي، وهـو موقـف كـل عاقل حكيم يرى تلـك التشـويهات الـتي يحملهـا الحـديث حـول كبرى القضايا العقدية.

---

1) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص:26 - 29)

2) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (ص:26 - 29)

لكن هذا الموقف لم يعجب السلفية الذين صوبوا سهامهم من كـل صـوب نحـوه، يتهمونـه بإنكـار السـنة، وبـالجرأة على السنة.. وكأن السنة حكر عليهم.

ومن تلك المواقف موقف الألباني الذي قال تعليقا على ما ذكره الغزالي: (هذا الحـديث- أي حـديث موسـى المتقـدم- من الأحاديث الصحيحة المشهورة التي أخرجها الشيخان من طــرق عن أبي هريرة- -، وتلقتـه الأمـة بـالقبول، وقـد جمعت ألفاظهـا والزيادات التي وقعت فيها، وسقتها لك سياقا واحدا كمـا تـرى؛ لتأخــذ القصــة كاملــة بجميــع فوائــدها المتفرقــة في بطــون مصـادرها، الأمـر الـذي يسـاعدك على فهمهـا فهمـا صـحيحا، لا إشكال فيه ولا شبهة، فتسلم لقول رسول الله ﷺ تسليما)[1]

ثم ساق طرق الحديث، والتي يوجد في أكثرهـا رجـال من اليهود الذين أسلموا، وصاروا مباشرة بعـد إسـلامهم من الثقـاة المعتبرين، ثم قال تعليقا على الغزالي: (واعلم أن هذا الحـديث الصــحيح جــدا ممــا أنكــره بعض ذوي القلــوب المريضــة من المبتدعـة- فضـلا عن الزنادقـة- قـديما وحـديثا، وقـد رد عليهم العلمـاء- على مـر العصـور- بمـا يشـفي ويكفي من كـان راغبـا السلامة في دينه وعقيدته؛ كابن خزيمة، وابن حبـان، والـبيهقي، والبغـوي، والنـووي، والعسـقلاني، وغـيرهم.. وممن أنكـره من المعاصرين الشـيخ الغـزالي في كتابـه (السـنة بين أهـل الفقـه وأهل الحديث) المذكور في الحديث الذي قبلـه، بـل وطعن في الذين دافعـوا عن الحـديث، فقـال: (وهـو دفـاع تافـه لا يسـاغ)، وهكذا؛ فالرجل ماض في غيه، والطعن في السنة والذابين عنها بمجرد عقله (الكبـير!). ولسـت أدري- واللـه- كيـف يعقـل هـذا الرجل- إذا افترضنا فيه الإيمان والعقل-! كيف يـدخل في عقلـه أن يكون هـؤلاء الأئمـة الأجلـة من محـدثين وفقهـاء من الإمـام البخـاري إلى الإمـام العسـقلاني على خطـأ في تصـحيحهم هـذا الحديث، ويكون هو وحده- صـاحب العقـل الكبـير! - مصـيبا في

---

1) السلسلة الصحيحة (7/من 826 إلى 835)

تضعيفه إياه ورده عليهم؟!)(1)

ولا يكتفي الألباني بهذا، بل يشنع عليه ـ كعادة السلفية في انتقادهم لخصومهم ـ أنه يوافق في هذا الموقف المبتدعة من القائلين بالعصمة المطلقة للأنبياء، فيقول: (هل الخلاف الذي توهمه خلاف محترم أم هو خلاف ساقط الاعتبار، لأن المخالف ليس من العلماء المحترمين، ولذلك لم تتجرأ على تسميته، ولعله من الخوارج أو الشيعة الذين يطعنون في أصحاب النبي ﷺ، وبخاصة راوي هذا الحديث (أبي هريرة) - -. وثانيا: يحتمل أن يكون المجادل الذي أشرت إليه هو أنت، وحينئذ فبالأولى، أن يكون خلافك ساقط الاعتبار، كما هو ظاهر كالشمس في رائعة النهار!) (2)

وهكذا يستمر الألباني ـ بلغته السلفية ـ يرد على الغزالي، ويدافع عن الحديث، ويقول له كل حين: (يا له من مغرور أهلكه العجب! لقد جعل نفسه من المحققين، وعلماء الأمة من أصحاب الفكر السطحي، والحقيقة أنه هو العلة؛ لجهله وقلة فهمه) (3)

ويقول له: (بمثل هذا الفهم المنكوس يرد هذا الرجل أحاديث النبي ﷺ ولا يكتفي بذلك، بل ويرد على العلماء كافة الذين فهموه وشرحوه شرحا صحيحا، وردوا على أمثاله من أهل الأهواء الذين يسيئون فهم الأحاديث ثم يردونها، وإنما هم في الواقع يردون جهلهم، وهي سالمة منه والحمد لله) (4)

وقد اقتصرنا هنا على موقف الألباني باعتبار كبر سنه،

---

1) السلسلة الصحيحة (7/من 826 إلى 835)

2) المرجع السابق.

3) المرجع السابق.

4) المرجع السابق.

ومكانته، وإلا فإننا لو نزلنا إلى غيره من أعلام السـلفية لوجـدنا قواميس من الشتائم تكال للغزالي بسبب موقفـه العقلاني من الحديث.

ومما شوه به السلفية موسى ﷷ مما يتعلق بهـذا الجـانب ما رووه عن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قـال: (نـزل نـبي من الأنبياء(1) تحت شجرة فلدغته نملـة، فـأمر بجهـازه فـأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتهـا فـأحرق بالنـار، فـأوحى اللـه إليـه: فهلا نملة واحدة؟)(2) وفي رواية لمسلم: (فأوحى اللـه إليـه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟)

وهـذه روايـة خطـيرة لا تتوافـق أبـدا مـع رحمـة الأنبيـاء ولطفهم وأخلاقهم العاليـة.. وقـد ذكـر القـرآن الكـريم ذلـك التواضـع الـذي تواضـع بـه سـليمان ﷷ أمـام النملـة، ومـا كـان لموسى ﷷ أن يختلف عن سليمان ﷷ في ذلك.

وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مـع رسول الله ﷺ في سفر، فـانطلق لحاجتـه، فرأينـا حمـرة معهـا فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمـرة، فجعلت تعـرش، فلمـا جاء رسول الله ﷺ قال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليهـا، ورأى قرية نمل قد أحرقناها، فقال: من أحرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بعذاب النار إلا رب النار(3).

هـؤلاء هم الأنبيـاء كمـا يصـورهم القـرآن الكـريم، وكمـا تصـورهم السـنة النبويـة، لا كمـا يصـورهم السـلفية، وسـلف السلفية، وما كـان موسـى ﷷ ليختلـف عن إخوانـه من الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام في ذلك وغيره.

1) روى الحكيم الترمذي في النوادر أنه موسى ﷷ وبذلك جزم الكلاباذي في معـاني الأخبار والقرطبي في التفسير، انظر: فتح الباري لابن حجر (6/ 358)

2) أحمد (2/402) والبخاري (4/75) ومسلم (7/43)

3) أحمد (1/396) (3763) وفي (1/423) (4018) والبخاري في «الأدب المفرد» (382) وأبو داود (2675 و5268)

ومن الروايات التي رواها أبو هريرة حول موسى عليه السلام، والتي تشدد السلفية مع منكرها أو منتقدها قصة فرار الحجر بثوب موسى ﵇، ذلك أن مخرجها هما المعصومان اللذان يستحيل عليهما الخطأ: البخاري ومسلم.. وراويها هو أبو هريرة الذي جمع بين المدرستين: الإسلامية واليهودية، كما جمع بين الأستاذين: رسول الله وكعب الأحبار.. وكفاه بذلك شرفا.

ونصها هو (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، وينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، قال: فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال: فجمع موسى ﵇ بإثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا) قال أبو هريرة: والله إن بالحجر ستة أو سبعة، ضرب موسى بالحجر(1).

ومع أن الرواية تخلو من أي حكم تربوي أو توجيهي، بل هي لم تزد سوى أن تسيء لنبي الله موسى ﵇ بتصويره عريانا يراه بنو إسرائيل أجمعون، وكل ذلك لتنفي عنه تلك الآفة الخلقية التي اتهموه بها، والتي فسر السلفية على أساسها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69]، وكأن بني إسرائيل لم يؤذوا موسى ﵇ إلا بتلك التهمة التي لا قيمة لها.

إلا أن السلفية انشغلوا بالدفاع عن هذه الرواية دفاع المستميت، بل وانشغلوا بتبديع كل منكر لها، وسأنقل هنا ـ باختصار ـ نموذجا عن ذلك الدفاع من رجل من عقلاء السلفية المعاصرين، لنعلم أنه يستحيل أن يجمع الإنسان بين العقل والسلفية.. لأنهما خطان متوازيان لا يلتقيان أبدا.. فأول شرط

1) البخاري (1/107)، مسلم (1/267، 4/1841)، أحمد (2/315)

لدخول المرء في عصبة السلفية أن يلقي بعقله في البحر.

والعاقل السلفي المعاصر هو د. الشريف حاتم بن عارف العوني، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، فقد أجاب على سؤال أثاره بعض العقلانيين الممقوتين من السلفية، ونصه: (دعيت من أحد الأصدقاء لأنضم إلى جماعة إيمانية، كلامهم مبهر وجميل، لكن ما أثار شكوكي أنهم يشككون بحديث شريف، وهو الحديث الذي يتحدث عن موسى ﷺ عندما نزل ليغتسل في النهر، ووضع ثيابه على حجر ففر الحجر ليبرأ موسى من تهم بني إسرائيل، فأنا أريد أن أعرف درجة هذا الحديث هل هو صحيح أم لا؟)[1]

فأجاب الشيخ السلفي العاقل بقوله: (الحديث الذي سأل عنه السائل حديث صحيح وارد في صحيحي البخاري ومسلم، اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.. والحديث مع كونه مما قد صححه البخاري ومسلم، وكفى بتصحيحهما ثقة؛ لشدة احتياطهما، وقوة شرطهما في التصحيح؛ ولأن الأمة قد أجمعت على صحة كتابيهما، إلا أحاديث يسيرة خالف في صحتها بعض أئمة الحديث؛ لكن لم يكن هذا الحديث أحد تلك الأحاديث المختلف فيها، فإسناده من أصح الأسانيد، فهو من نسخة التابعي الثقة الجليل همام بن منبه[2] التي كتبها عن أبي هريرة مباشرة، حتى لقب العلماء هذه الصحيفة بـ (الصحيفة الصحيحة).. وبذلك يتبين أنه لا مجال للتشكيك في صحة هذا الحديث عن رسولنا ﷺ، ولا أدري لماذا تجرأ هؤلاء الفضلاء على هذا الحديث؟! فثبوت اللفظ عن النبي ﷺ لا شك فيه) [3]

---

1) حديث فرار الحجر بثوب موسى ﷺ، د. الشريف حاتم بن عارف العوني، رقم السؤال 174330، موقع الألوكة، المجلس العلمي.

2) مع العلم أن هذا الرجل يهودي، وهو أخو وهب بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه، الذين تروى عنهم الروايات الإسرائيلية.

3) حديث فرار الحجر بثوب موسى ﷺ.

وبعـد أن أثبت صـحة الحـديث سـندا، راح يتكلـف لإثباتـه معنى، فقال: (وأما المعنى فلا أدري ما المشكل فيه عند هـؤلاء الفضـلاء؟! ولكـني سـأحاول تفهم الإشـكالات المحتملـة في الحديث، وأجيب عنها. والذي بدا لي منها إشـكالان فقـط، همـا: الأول: أن في الحديث إخبارا عن أمـر غـير معقـول، وهـو جـري الحجر. وجوابه: أن هذا لا يستشـكله إلا من لا يـؤمن بمعجـزات الأنبياء، وبخوارق العادات التي يجريها اللـه تعـالى على أيـديهم، والـتي ثبتت في القـرآن الكـريم والسـنة المطهـرة المتواطئـة عليهـا. فليس جـري الحجـر بـأعجب من شـق البحـر، ولا إحيـاء الموتى، ولا جعل النار بردا وسلاما، وغيرها من معجزات الأنبياء الثابتة في القرآن قبل السنة!!.. الثاني: أن كشـف العـورة أمـر سيء، ولا يتمنـاه أحـد لنفسـه، فكيـف يقـدره اللـه تعـالى على موسى ﵇؟! وجوابه: أن الحديث بين أن سبب ذلـك هـو اتهـام بني إسرائيل لموسى ﵇ بأنه إنمـا كـان يسـتر عورتـه لمرضـه، وعلم الله تعالى أن مفسدة هذه التهمة على موسـى ﵇ وعلى رسالته مفسدة أشد وأعظم من مفسدة ظهـور عـورة موسـى ﵇، وأن الأذى الذي سيصيب موسى ﵇ جراء انكشاف عورتـه أخف من الأذى الذي اتهمه به قومه. وقد حكى الله تعالى علينـا في القـرآن الكـريم من سـوء خلـق بـني إسـرائيل ومن شـدة عنادهم وتلكؤهم عن الطاعـة وسـرعة انقلابهم مـا لا نسـتغرب معه أن يكونوا قـد بلغـوا بـأذى موسـى ﵇ على هـذا الأمـر مـا يستوجب دفعه عنـه، ولـو بكشـف العـورة. ويبقى أن هـذا ابتلاء من جملة ابتلاءات موسـى ﵇، والـتي بهـا وبغيرهـا من مـراقي تشريف الله تعـالى لـه ومن الطاعـة والتعظيم للـه تعـالى كـان موسى ﵇ عند الله تعالى وجيها) (4)

ثم قدم النصيحة السلفية لمن يتجـرأ على رد هـذا، فقـال: (وعلى السائل أن ينصح هؤلاء الإخـوة الفضـلاء (إن شـاء اللـه) في هـذا الأمـر: بـأن لا يتجـرؤوا على مـا لا علم لهم بـه، من تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وأنهم إن استشكلوا حديثا أو غمض عليهم لفظـه أو معنـاه فعليهم أن يسـألوا عنـه من أهـل العلم

4) حديث فرار الحجر بثوب موسى ﵇.

الذي كان معروفا فيهم بالعناية بالسنة وعلومها، وكان متخصصا في هذا العلم الشريف من علوم الشريعة. فالكلام في السنة تصحيحا وتضعيفا وتوجيها علم تخصصي في علوم الشريعة، فليس كل عالم شرعي قادرا على إجادة الكلام فيه، فضلا عن غيره ممن لم يكن عالما شرعيا في أحد تخصصات الشريعة العديدة الأخرى. فإن وجد الأخ السائل أن هذه الجماعة لا تنتصح له، وأنهم يكررون السخرية من السنة الصحيحة، فليحذرهم على إيمانه وعقله: فإما أن يستبدلهم بجماعة خير منهم، أو أن يصاحبهم إذا كان محتاجا لصحبتهم، بشرط أن يكون قادرا على التحصن من خطئهم هذا، فيأخذ منهم ما صفا وطاب، ويتجنب منهم ما كدر وخبث، مع دوام نصحه لهم، ومع عدم يأسه من قبولهم للنصيحة وتوبتهم، مهما طال ذلك منهم. والمهم الذي أؤكد عليه: أن لا يسمح لشبههم بالتسلل إليه، وأن تكون نجاته من بدعة تفسد عليه قلبه مقدمة لديه على كل شيء؛ فلا يعدل النجاة شيء! هذا كله إن تكرر منهم مثل هذا الخطأ ونحوه، أما إن كان ذلك منهم نادرا، فليكتف بنصحهم، ولا يتجنبهم، ما دام يستفيد منهم في زيادة إيمانه)[1]

هذه نماذج عن بعض الخرافات التي رواها أبو هريرة حول موسى ﷺ والتي حولت قصته من مسارها القرآني الممتلئ بالجمال والهدية إلى هذا المسار الجديد الممتلئ بالأسطورة والخرافة.

أبو هريرة.. وسليمان عليه السلام:

يعتبر سليمان عليه السلام من الأنبياء الكرام الذين استطاعت رواية نووية واحدة من أبي هريرة ــ رويت مرفوعة وموقوفة[2] ـ أن تحوله من ذلك النبي الأواب الشكور المتواضع إلى شخص آخر مختلف تماما.

1) حديث فرار الحجر بثوب موسى ﷺ.

2) رواه مرفوعا: البخاري (6263) والنسائي (الكبرى 4772) وأبو عوانة (4857) واللالكائي، ورواه موقوفا: البخاري (4944) ومسلم (1654)، وأبو عوانة (4855)

والرواية هي ما رواه البخاري ومسلم أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ـ أو تسع وتسعين ــ كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون)(3)

وهم يستدلون بهذا الحديث في مواضع كثيرة أهمها تلك القوة الغرائزية العظيمة التي لا يمكن تصورها، والتي وهبها الله ـ في تصورهم ـ للأنبياء.. ربما هدية لهم على الجهود التي يقومون بها في الدعوة إلى الله.

ولذلك نراهم يذكرون للأنبياء النساء الكثيرات كما في هذا الحديث، وإن كان الخلاف قد وقع في عدد نسوته بالضبط، لأن أبا هريرة أو رواة الحديث لم يضبطوا عددهن جيدا، فمرة يذكرون أنهن مائة، وتارة أنهن تسعون، وتارة أنهن سبعون، وتارة أنهن ستون.

وهم معذورون في ذلك، فلم يكن في ذلك الحين تسجيل لعقود الزواج، وليس هناك مكاتب للأحوال المدنية، ومع ذلك فقد حاول أعلام السلفية أن يجدوا حلا لتلك الأعداد المتناقضة المتضاربة.

بل إن أكبر هيئة دينية في السعودية وهي اللجنة الدائمة للفتوى تولت التحقيق في ذلك، وقد نصوا على نتائج التحقيق، فقالوا ــ ردا على من رمى الحديث بالاضطراب ــ: (الحديث المضطرب: هو الذي روي من طرق مختلفة متساوية في القوة، ولم يمكنه الجمع بينهما، أما إن كان بعضها أقوى أو أمكن الجمع فلا اضطراب، وعلى هذا فلا يعتبر الاختلاف في عدد النساء في الحديث المسؤول عنه اضطرابا يرد به الحديث

---

3) صحيح البخاري (3424)، صحيح مسلم (1654)، سنن النسائي (3831)، مسند أحمد بن حنبل (2/506)

لأمرين: رجحان الرواية التي ذكر فيها أن عددهن تسعون، فقد قال البخاري في صحيحه: قال شعيب وأبو الزناد: تسعين، وهو أصح. إمكان الجمع بين هذه الروايات، وقد ذهب إلى ذلك ابن حجر رحمه الله في كتابته على هذا الحديث في الباب الذي ذكرته في السؤال، قال رحمه الله: (فمحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون ومائة، والجمع بينها أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين، فمن قال: تسعون، ألغى الكسر، ومن قال: مائة، جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر)[1])[2]

وهكذا استطاع العقل السلفي أن يحل مشكلة العدد بكل سهولة.. لكن المسألة الأخرى التي عرضت لهم، والتي وردهم السؤال بشأنها أخطر، وصاحبها ربما يكون قد استعمل عقله، فقد قال لهم سائلا: (.. ولا ريب في صحة هذا الحديث باعتبار الرواة والإسناد، ولكن مفهوم الحديث خلاف للعقل والشعور صريحا، ومفهومه يعلن ويجهر أن النبي ﷺ ما قال هكذا كما نقل الراوي، بل ذكر النبي ﷺ من أباطيل وخرافات اليهود مثالا، وفهم الراوي أن النبي ﷺ قاله بيانا واقعيا؛ لأن كل إنسان إن حاسب في نفسه فوضح عليه أن فرض عدد الأزواج ستون 60، إن باشرهن سليمان ﵇ في ساعة 6 أزواج باشرهن كل الليل بغير توقف متواليا عشر ساعة، فهل هذا ممكن عقلا؟)[3]

لكن اللجنة الدائمة للفتوى بما لديها من عقول سلفية جبارة استطاعت أن تحل هذه المشكلة أيضا، وبكل سهولة، فقد قالوا جوابا للسائل: (دعوى مخالفة هذا الحديث للعقل الصريح دعوى باطلة؛ لبنائها على قياس الناس بعضهم على

---

1) فتح الباري (6 / 460.

2) فتاوى اللجنة الدائمة (4/ 295).

3) فتاوى اللجنة الدائمة (4/ 294).

بعض في الصحة، وقوة البدن، والقـدرة على الجمـاع، وسـرعة الإنزال وبطئه، وهو قياس فاسد لشهادة الواقـع بتفـاوتهم فيمـا ذكر وفي غيره وخاصة الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام بالنسـبة لغـيرهم، فقـد أوتـوا من قـوة البـدن والقـدرة على الجمـاع مـع كمـال العفـة وضـبط النفس، وكبح جمـاح الشـهوة مـا لم يـؤت غـيرهم، فكـانت العفـة وصـيانة الفـرج عن قضـاء الـوطر في الحرام مع القدرة على الجماع وقوة دواعيه معجـزة لهم عليهم الصلاة والسلام، وكـان من السـهل على أحـدهم أن يطـأ عشـر نسوة في ساعة ومائة امرأة في عشر ساعات أو أقل، لتحقـق الاختصـاص بـالقوة، وإمكـان الإنـزال في خمس دقـائق أو أقـل منها)(1)

ولأن العقل السلفي لا يحن لشيء كما يحن لكثرة النقول، وخاصة من الأئمة الحفاظ البارعين، فقد نقلوا له ما يكبح جماح عقله عن التفكير، فذكروا له من أقوال أعلام السـلف والخلـف ما يدل على إجماعهم على القوة الجبارة التي وهبت للنـبي في هذا الجانب..

ومن تلك النقول ما نقلوه عن العيني أنـه قـال: (وفيـه مـا كان الله تعالى خص به الأنبياء من صحة البنية وكمال الرجولية، مع ما كانوا فيه من المجاهدات في العبادة. والعادة ــ في مثـل هذا لغيرهم ـ الضـعف عن الجمـاع. لكن خـرق اللـه تعـالى لهم العـادة في أبـدانهم،كمـا خرقهـا لهم في معجـزاتهم وأحـوالهم، فحصل لسليمان عليه الصلاة والسلام من الإطاقــة أن يطــأ في ليلة مائة... وليس في الأخبار ما يحفظ فيه صريحا غـير هـذا إلا ما ثبت عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع (2)... وكان إذا صـلى الغـداة دخـل على نسـائه فطـاف

1) فتاوى اللجنة الدائمة (4/ 296).

2) رواه عبـد الـرزاق في مصـنفه: (7 /ــ 507) رقم (14052)، وابن خزيمــة في صحيحه: (1 / 426) رقم (233)..

عليهن بغسل واحد ثم يبيت عند التي هي ليلتها(1)، وذلك لأنه كان قادرا على توفية حقوق الأزواج وليس يقدر على ذلك غيره مع قلة الأكل)(2)

أما ما ورد في الحديث من ذلك الجزم من سليمان ﴿، من غير إرجاع الأمر لله، مع تذكير الملاك أو غيره له، والذي قد يوهم بأن هبة الولد ليست لله، وإنما هي نتيجة الطواف ــ كما ورد في الحديث ـ فقد استطاعوا حلها أيضا، وبكل سهولة.

فقد نقلوا عن سلفهم الطبري قوله: (إن النسيان على وجهين: أحدهما: على وجه التضييع من العبد والتفريط.. والآخر: على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به، وضعف عقله عن احتماله.. فأما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط، فهو ترك منه لما أمر بفعله. فذلك الذي يرغب العبد إلى الله في تركه مؤاخذته به، وهو النسيان الذي عاقب الله به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة)(3)

ونقلوا عن العيني قوله: (قوله (فلم يقل إن شاء الله): فلم يقل سليمان إن شاء الله بلسانه، لا أنه غفل عن التفويض إلى الله تعالى بقلبه، فإنه لا يليق بمنصب النبوة. وإنما هذا كما اتفق لنبينا لما سئل عن الروح والخضر وذي القرنين فوعدهم أن يأتي بالجواب غدا جازما بما عنده من معرفة الله تعالى، وصدق وعده، في تصديقه وإظهار كلمته، لكنه ذهل عن النطق بها لا عن التفويض بقلبه، فاتفق أن يتأخر الوحي عنه ورمي بما رمي به لأجل ذلك)(4)

---

1) صحيح ابن خزيمة: (5 / 423) رقم (1225)

2) عمدة القاري: (21 / 244 ـ 245).

3) جامع البيان: (6 / 133)..

4) عمدة القاري: (21 / 242 ـ 243)..

ونقلوا عن ابن الجوزي قوله في بيان فضل الاستثناء: (وهذه الكلمة لما أهمل ذكرها سليمان في قوله (لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاما) لم يحصل له مقصوده. وإذا أطلقت على لسان رجل من يأجوج ومأجوج فقال (غدا يحفر السد إن شاء الله) نفعتهم فقدر على الحفر، فإذا فات مقصود نبي بتركها وحصل مراد كافر بقولها، فليعرف قدرها، وكيف لا وهي تتضمن إظهار عجز البشرية وتسليم الأمر إلى قدرة الربوبية)(5)

ولو أن هؤلاء جميعا تخلوا عن كبريائهم، وراحوا يبحثون في القرآن الكريم عن كيفية طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للولد، وهل كان ذلك بالطريقة التي وردت في هذا الحديث، أم أنهم كانوا متواضعين جدا أمام ربهم سبحانه وتعالى، يعلمون أن الولد وغير الولد هبة من الله لا يمكن لأحد أن يزعم أنه من دون الله يمكن أن ينال هذه الهبة العظيمة.

لو رجعوا إلى القرآن الكريم لوجدوا إبراهيم ﷺ، وبعد تلك المعاناة الشديدة التي واجهه بها قومه، وبعد بلوغه من الكبر عتيا، يتوجه إلى الله بحياء عظيم يطلب منه أن يرزقه من الصالحين.. ولم يحدد لا عددا ولا نوعا.. يكفي فقط أن يكون من الصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 99 - 101]

وهكذا لو رجعوا إلى القرآن الكريم لوجدوا زكريا ﷺ يقف نفس موقف جده إبراهيم ﷺ، يطلب من الله الولد بتواضع وحياء عظيم، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 38، 39]

---

5) كشف المشكل من حديث الصحيحين: (1 / 332).

بل إن القرآن الكريم يشير إلى احـترام أنبيـاء اللـه لسـنن الله في الولد كاحترامهم لغيرهم من السنن، ولذلك لما بشرت الملائكة زكريا ﵇ أجابهم: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَــدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: 40]

وهكذا لو رجعوا إلى القـرآن الكـريم لوجـدوا سـليمان ﵇ العبد الشكور، وهو يلجأ إلى الله كـل حين، لا يغفـل عنـه أبـدا.. فكيف يغفل عنه، وهو يطلب ـ وفي ليلة واحدة ـ أن يرزق مائـة ولد كلهم يعيش إلى أن يجاهد في سبيل الله.

إن هـذا التـألي على اللـه يسـتحيل على عـوام النـاس من المسلمين، فكيف يقع من عبد شكور أواب ممتلئ بالطاعة للـه والعبودية لله.

هـذه هي صـورة الأنبيـاء كمـا صـورها حـديث أبي هريـرة الموقوف أو المرفوع، وهي صورة لا تختلـف عن صـور الملـوك والمتكبرين والمتجبرين الذين يباهون بكثرة النسـاء والجـواري، ولعله لأجل هـذا لا نسـتغرب أن يجمـع الإمـام السـلفي الكبـير، الطـبري، في اسـم تاريخـه بين الرسـل والملـوك، حيث سـماه [تـاريخ الرسـل والملـوك]، فالرسـل بحسـب تصـوراتهم ليسـوا سوى ملوك.. ولهذا هم يحبون الملوك، ويجلـونهم، ويقـدرونهم، ويحرمــون نقــدهم، أو الحــديث عنهم، لأنهم لا يختلفــون عن الرسل إلا في ناحية واحدة ـ بحسب الرؤية السلفية ـ هي ذلــك الوحي الذي ينزل من السماء عليهم.

بل إن السلفية في تصوراتهم لله تعـالى ــ كمـا رأينـا ذلـك في كتـاب [السـلفية.. والوثنيـة المقدسـة]، يجعلـون اللـه ملكـا كبيرا، أو امبراطورا عظيما، لا يختلف ـ بحسـب الروايـات الـتي يوردونها ـ عن أي ملـك أو امـبراطور إلا في كونـه في السـماء، وهم على الأرض.

ثالثا ـ أحاديث أبي هريرة.. والنصب والعداوة

لا نستطيع أن نحصي هنا روايات أبي هريرة التي تسيء إلى رسول الله ﷺ، وتشوه شخصيته ومكانته العظيمة عند الله، ذلك أن كل الأحاديث التي رواها، والتي تحرف العقائد والقيم هي مسيئة بالدرجة الأولى لرسول الله ﷺ.

فأحاديثه عن المرأة واحتقارها، تعطي صورة سيئة عن رسول الله ﷺ وموقفه من المرأة، ومنهجه في التعامل معها.

وهكذا أحاديثه الممتلئة بالخرافة، والتي لا تتناسب مع أبسط المبادئ العلمية ترمي رسول الله ﷺ بالجهل، بل إنها تشكك في نبوته نفسها.

وهكذا أحاديثه الأسطورية التي سنعرض لبعض أمثالها تحول من رسول الله ﷺ من رسول هداية إلى قصاص وحكواتي، لا قيمة لحكاياته، ولا معنى لها.

لكنا سنقتصر هنا على بعض تلك الأحاديث التي تمس شخص رسول الله ﷺ مباشرة، أو تمس أقاربه الأدنين.

أبو هريرة.. وغضب رسول الله ﷺ:

وأول تلك الأحاديث وأخطرها، وهو ما يهدم كل القيم التي تمثلت في رسول الله ﷺ أو دعا إليها هذا الحديث الذي يمكن اعتباره قنبلة نووية تعصف بكل القيم النبوية.

وهو حديث يرويه السلفية كثيرا، ويوردونه في محال مخصوصة للانتصار لبعض الصحابة أو الطلقاء على حساب مصداقية رسول الله ﷺ.

مع أنه يهدم ما ورد به القرآن الكريم من أن كل أقوال رسول الله ﷺ وحي إلهي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، 4]

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:

قلت: يا رسول الله، إنى أسمع منك أشياء أفأكتبها؟ قال: نعم. قلت: فى الغضب والرضا؟ قال: (نعم، فإنى لا أقول فيهما إلا حقا)[1]

وفي رواية: قلت: يا رسول الله، أكتب ما أسمع منك؟ قال: نعم. قلت: في الرضا والسخط؟ قال: نعم، فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقا.

وفي رواية أخرى تبين مصدرا من مصادر التحريف في السنة المطهرة، عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى؟ قال: فأمسكت عن الكتاب، حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، وقال: (اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما نخرج منه إلا حقا)

وهذا الحديث ـ الذي يناقض كل ذلك ـ هو ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة ومنهم أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة)

فهذا الحديث ـ كما هو ظاهر من ألفاظه ـ يشوه رسول الله ﷺ تشويها عظيما، فهو يرسمه بصورة الظالم الذي يسارع إلى سب الناس وجلدهم والدعاء عليهم من غير استحقاق منهم لذلك، ثم يعتذر لذلك بأن يدعو لمن فعل بهم ذلك أن يتحول ما فعله بهم من أنواع الإهانات كفارة ورحمة.

وهذا يتنافى تماما مع تلك الصورة الجميلة التي صور القرآن الكريم بها رسول الله ﷺ، وصورته بها الأحاديث الكثيرة.

والغرض من كل هذا التشويه هو تحويل تلك الدعوات التي

---

[1] هذا الحديث ورواياته التالية في: أحمد (2/162)، (6510) و(2/192)، (6802). والدارمي (490) وأبو داود (3646)، وابن خزيمة (2280)، وغيرهم.

دعي بها على معاوية ومن هو من صنوه إلى رحمة وكفارة وقربة.

يقول ابن كثير في (البداية والنهاية) عند ترجمته لمعاوية بن أبي سفيان: (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه.. أما في دنياه: فإنه لما صار إلى الشام أميرا، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير، وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك.. وأما في الآخرة: فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة.أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة)[1]

وقد أيده في قوله هذا النووي فقال: (وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاء له)[2]

ولست أدري كيف فهم مسلم أن معاوية لم يكن مستحقا لدعاء رسول الله ﷺ.. وهل كان ذلك عن طريق كشف أو إلهام.. أو أن لديه بعض أكياس أبي هريرة التي لم يروها، والتي فيها اعتذار رسول الله ﷺ لمعاوية عن دعائه عليه.

وهذا كله ناتج عن تغلب الطائفية على الانتساب للدين.. فمقصودهم ليس معاوية كشخص وإنما معاوية كاتجاه وفئة تواجه فئة أخرى.. ولهذا يخشون على تلك الجهة أن تمس حتى لا يحطم جميع البنيان الذي بنته.

---

1) البداية والنهاية: 8/ 128.

2) المنهاج: 16/156.

وليتهم طبقوا هذا الحديث على أنفسهم، وعلى أئمتهم الذين يسبحون بحمدهم، فهل يرضون أن يقول أحد من الناس: إن ابن تيمية كان يلعن ويسب ويجلد ظالما..

لو قلت هذا لأحدهم لأقام القيامة عليك، ولكتب الكتب في تبرئة ابن تيمية، وفي تكفيرك لأنك تعرضت له.. أما رسول الله ﷺ وكرامته والمس بأخلاقه العالية، فلا حرج فيه عندهم.

وهذا الحديث يتعارض مع تلك الصفات العظيمة التي تواترت الأحاديث في وصف رسول الله ﷺ، والتي حاولت أن تفسر قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]

وهم أنفسهم يروون في الحديث عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا)[1]

ويروون عن أنس بن مالك، قال: (لم يكن النبي ﷺ سبابا، ولا فحاشا، ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له، ترب جبينه)[2]

مع العلم أن أنس بن مالك كان أطول صحبة لرسول الله

---

1) رواه أحمد (2/174) (6622)، والبخاري (3/87). وفي الأدب المفرد (246)

2) رواه أحمد 3/126 (12299) وفي 3/144 (12490) والبخاري: 8/15 (6031) وفي 8/18 (6046)، وفي (الأدب المفرد) 430.

ﷺ من أبي هريرة، وأكثر لزوما له، وقد عبر عن أخلاقه، وكيفية تعامله معه، فقال: (خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فوالله ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته: لم صنعت كذا، وهلا صـنعت كذا وكذا)(1)

وفي رواية: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سـنين، ومـا كـل أمري كما يحب صاحبي أن يكون، ما قال لي فيها أف، ولا قـال لي: لم فعلت هذا؟ وألا فعلت هذا؟)

وفي رواية: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، لا والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلتـه: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته)

بـل إنهم يـروون عن أبي هريـرة نفسـه أنـه ــ وفي أشـد الأحوال التي تحتاج منه إلى اللعن والسب ـ لم يفعل ذلك، ففي الحديث عن أبي هريـرة، قـال: قيـل: يـا رسـول اللـه، ادع على المشركين، قال: (إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة)(2)

لكن السلفية، الذين تتسع عقولهم للجمع بين المتناقضات، راحوا يقبلون كل هذا، من غير أن يعلموا أن قبول أحدهما ينفي الآخر تماما، بل يقضي عليه قضاء مبرما.. فهل رسـول اللـه ﷺ كان يسب ويلعن ويجلد كمـا نص عليـه الحـديث الـذي رواه أبـو هريرة، وراحوا يطبقونه على الطلقاء.. أم أن رسول الله ﷺ لم يكن ينطق عن الهـوى، ولم يكن سـبابا ولا لعانـا ولا شـتاما كمـا نص على ذلك كل شيء؟

وقـد قـال الشـيخ الألبـاني في الـرد على من طعن في الحديث أو انتقده أو دعا إلى إعادة النظر فيه: (قـد يبـادر بعض ذوي الأهواء أو العواطف الهوجاء إلى إنكـار مثـل هـذا الحـديث بزعم تعظيم النبي ﷺ وتنزيهه عن النطق به، ولا مجال إلى مثل

---

1) رواه أحمد 3/195 (13052) وفي 3/197 (13065) والبخاري: 8/17 (6038)، ومسلم: 7/73 (6077) وفي (6078)

2) رواه البخاري في الأدب المفرد: 321، ومسلم: 6705، وأبو يعلى: 6174.

هذا الإنكار فإن الحديث صحيح، بل هو عندنا متواتر، فقد رواه مسلم من حديث عائشة، وأم سلمة كما ذكرنا، ومن حديث أبي هريرة وجابر، وورد من حديث سلمان، وأنس، وسمرة، وأبي الطفيل، وأبي سعيد وغيرهم، وتعظيم النبي ﷺ تعظيما مشروعا إنما يكون بالإيمان بكل ما جاء عنه ﷺ صحيحا ثابتا، وبذلك يجتمع الإيمان به ﷺ عبدا ورسولا دون إفراط ولا تفريط، فهو ﷺ بشر بشهادة الكتاب والسنة، ولكنه سيد البشر وأفضلهم إطلاقا بنص الأحاديث الصحيحة، وكما يدل عليه تاريخ حياته ﷺ وسيرته وما حباه الله تعالى به من الأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة، التي لم تكتمل في بشر اكتمالها فيه ﷺ)(1)

أبو هريرة.. وباطن رسول الله ﷺ:

من الأحاديث الخطيرة التي رواها أبو هريرة، والتي تصور حقيقة رسول الله ﷺ البشرية، وأنه كان لها علاقة بالشيطان في أوائل حياته قبل النبوة، ما رواه أبو نعيم في (دلائل النبوة) عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ وكان حريصا أن يسأله عن الذي لا يسأله غيره، فقال: يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ فقال: إذ سألتني إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم فأخذاني فلصقاني بحلاوة القفا، ثم شقا بطني، فكان جبريل يختلف بالماء في طست من ذهب، وكان ميكائيل يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فإذا صدري فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا، ثم قال: اشقق قلبه فشق قلبي فقال: أخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذه، ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة في قلبه فأدخل شيئا كهيئة الفضة، ثم أخرج ذرورا كان معه، فذر عليه، ثم نقر إبهامي، ثم قال: اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتي على الصغير ورقتي على الكبير)(2)

---

1) السلسلة الصحيحة: (رقم/84)

2) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: 220)

وهذا الحديث عجيب، ومتناقض تماما مع سنة الله تعالى في اختبار عباده.. فإذا كان الغل والحسد والقسوة والغلظة مرتبطين بخلايا أو أنسجة موجودة في الجسم، فلم لا يريح الله عباده منها بإتاحة مثل هذه العمليات لهم؟

فإن قيل: إن التكليف والابتلاء يستلزمان وجود كل ذلك.. فكيف خص رسول الله ﷺ بذلك دون سائر الناس؟

وكيف اعتبره القرآن الكريم رسول الله ﷺ صاحب خلق عظيم مع أن الخلق العظيم الذي حصل له لم يبذل فيه أي جهد، ولم يعان في سبيل تحصيله أي عناء، بل الفضل للملائكة الذين طهروره من تلك الأدواء، ووضعوا بدلها الرأفة والرحمة كما ورد في الرواية.

وإذا كان الأمر كما قالوا، فلم ورد في القرآن الكريم التهديدات الشديدة لرسول الله ﷺ إن لم يلتزم بأوامر الله مثله مثل سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)﴾ [الحاقة: 44 - 47]

وإذا كان الأمر كما قالوا، فلم كان رسول الله ﷺ أشد الناس خشية لله، ففي الحديث قال ﷺ: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله تعالى، وأشدهم له خشية)(1).. أم أن تلك الخشية أيضا قد غرست في صدره ﷺ مع ما غرس من الرأفة والرحمة؟

ثم كيف نثبت لرسول الله ﷺ كل تلك الكمالات، ونحن نقول بهذا، لأن القول بهذا وحده كاف لإخراج رسول الله ﷺ من مضمار السباق الذي جعله الله بين عباده ليرى أحسنهم عملا.. لأن رسول الله ﷺ بهذا الاعتبار يشبه ذلك العداء الكسول المحتال الذي يتحدى غيره أن يلحقوا به وهو يستعمل المنشطات..

---

1) رواه البخاري في الأدب المفرد.

ثم بعد القول بهذا كيف يأمرنا اللـه تعـالى باتخـاذه أسـوة، لأن أي شخص من الناس يمكنه أن يقول: يا رب.. كيـف تأمرنـا بالاقتداء برجل قد أجريب له عملية نزعت من الشيطان القدرة على التأثير فيه، بينما لم تجر لنا نفس العمليـة.. فكيـف يمكننـا أن نتأسى برجل أوتي ما لم نؤت؟

نطـرح هـذه الأسـئلة وغيرهـا، ونحن نتـألم ألمـا شـديدا أن يتعرض رسول الله ﷺ لمثل هذه الإهانات، وهذا التحقـير، بحيث يصـبح مغلوبـا على أمـره، لـولا أن ينقـذه اللـه بـإخراج حـظ الشيطان منه..

أبو هريرة.. وتردد رسول الله ﷺ ونسيانه:

من خلال تأمل الروايات الكثيرة التي يصف فيها أبو هريرة رسول الله ﷺ نجده يغلب فيه جانبه البشري على جانبه النبوي، والمشـكلة ليس في هـذا، وإنمـا في طغيـان الجـانب البشـري المشوه لا المكرم.

ومن أمثلة ذلك هذا الحديث الخطـير الـذي يتنـاقض تمامـا مع أخلاق رسول الله ﷺ، بل يتناقض مع أبرز وصـف فيـه، وهـو الرحمة والرأفة اللتـان وصـفه بهمـا اللـه تعـالى، بالإضـافة إلى إبراز تردده الذي يتنافى مع صفات كماله.

لكن أبا هريرة خـالف ذلـك الوصـف بهـذه الروايـة الغريبـة التي رواها البخاري، والتي عبر فيها عن تلك المعـاني الخطـيرة بقولـه: (بعثنـا رسـول اللـه ﷺ فى بعث فقـال إن وجـدتم فلانـا وفلانا - لرجلين من قريش - فاحرقوهما بالنار. ثم قـال رسـول الله ﷺ حين أردنا الخروج إنى كنت قد أمرتكم أن تحرقـوا فلانـا وفلانـا بالنـار وإن النـار لا يعـذب بهـا إلا اللـه عـز وجـل فـإن وجدتموهما فاقتلوهما)[1]

ولسنا ندري كيف نعلـق على هـذا الحـديث.. ومـاذا لـو أن

---

[1] أحمـد (2/307، رقم 8054)، والبخـارى (3/1079، رقم 2795) والترمـذى (4/137 رقم 1571) وقال: حسن صحيح.

هـؤلاء الـذين بعثهم رسـول اللـه ﷺ أسـرعوا بالـذهاب قبـل أن يتراجع.. ثم هل هذا هـو رسـول اللـه ﷺ الممتلئ بالرحمـة، من يأمر بالحرق بالنار؟

لقد كانت هذه الأحاديث وغيرها هي المصدر الذي يسـتقي منه الإرهاب الموسوم باسم الإسلام على مدار التـاريخ.. فهـذه النصـوص ليسـت مجـرد أحـاديث، وإنمـا هي قنابـل تنفجـر كـل لحظـة لتشـوه قيم الـدين وأخلاقـه العاليـة، وتشـوه قبـل ذلـك رسول الرحمة والإنسانية ومن بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

ومن تلك الأحاديث التي رواها أبو هريرة كمـا رواهـا غـيره من الصحابة، والتي لا تتناسب مع علاقـة رسـول اللـه ﷺ بربـه، واجتهـاده في طاعتـه، وخصوصـا في قيـام الليـل، ولا تتناسـب كذلك مع ما ورد في الأحاديث الصـحيحة من كـون قلبـه لا ينـام أبـدا، وإنمـا تنـام عينـاه فقـط هـذا الحـديث الـذي رواه مسـلم وغيره.

ونصه ـ كما رواه أبو هريرة ـ (أن رسول الله ﷺ حين قفـل من غزوة خيبر، سار ليله، حتى إذا أدركه الكـرى عـرس، وقـال لبلال: اكلأ لنا الليل، فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول اللـه ﷺ وأصـحابه، فلمـا تقـارب الفجـر استند بلال إلى راحلتـه مواجـه الفجر، فغلبت بلالا عيناه، وهو مستند إلى راحلته، فلم يسـتيقظ رسـول اللـه ﷺ، ولا بلال، ولا أحـد من أصـحابه، حـتى ضـربتهم الشمس، فكان رسول اللـه ﷺ أولهم اسـتيقاظا، ففـزع رسـول الله ﷺ، فقال: أي بلال، فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ، بأبي أنت وأمي يـا رسـول اللـه، بنفسـك، قـال: اقتـادوا، فاقتـادوا رواحلهم شيئا، ثم توضأ رسول الله ﷺ، وأمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة، قـال: (من نسـي الصـلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طـه: 14])[1]

---

1) مسلم(2/138)وأبو داود(435) وعنه أبـو عوانـة (2/253) والـبيهقي (2/217)، وابن ماجة (697)

ومن الملاحظات التي يمكن توجيهها للحديث، والتي لا تتناسب مع ما وصف به رسول الله ﷺ من حرصه على الصلاة، وخصوصا صلاة الليل، وخصوصا ثلث الليل الأخير الذي أمر رسول الله ﷺ بالصلاة فيه خصوصا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]

والحديث كذلك لا يتناسب مع ما ورد في الأحاديث الصحيحة من كون النبي ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه، وقد

فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما في حديث المعراج: (والنبي ﷺ نائمةٌ عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم)(1)

وقد ذكر العلماء من خصائصه ﷺ أنه (كان لا ينام قلبه، ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه)(2)، كما رووا من خصائصه ﷺ أنه لايبطل وضوؤه بالنوم لأنه تنام عينه ولاينام قلبه(3)، بل رووا أن الدجال نفسه تنام عينه ولاينام قلبه(4).. فهل يكون الدجال أكثر قوة من رسول الله ﷺ؟

من الملاحظات الموجهة للحديث، والتي تصطدم مع ما جبل عليه رسول الله ﷺ من رحمة وحرص على أصحابه تكليف بلال بأن يكلأ لهم الليل، مع أن النعاس أصابه كما أصابهم جميعا، وما كان رسول الله ﷺ ليفعل ذلك، وهو الذي كان يقتحم كل شديدة دونهم.

---

1) رواه البخاري:4/168و:8/203، (ونحوه في:1/43، و208و:2/47)، ومسلم: 2/180، وأحمد:6/73، والحاكم:2/431)

2) انظر: تهذيب الأسماء للنووي:1/64.

3) رواه البخاري:1/44.

4) أحمد:5/49، والترمذي:3/353.

وقد ورد في الحديث عن أنس، قال: كـان رسـول اللـه ﷺ أحسن الناس، وكان أجـود النـاس، وكـان أشـجع النـاس، قـال: ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق قبل الصوت، فرجع رسول اللـه ﷺ راجعـا قـد اسـتبرأ لهم الصـوت، وهـو على فـرس لأبي طلحة عـري، مـا عليـه سـرج، وفى عنقـه السـيف، وهـو يقـول للناس: لم تراعوا، لم تراعوا، وقـال للفـرس: وجـدناه بحـرا، أو إنه لبحر [1].

ومن تلك الأحاديث التي تصطدم بمـا آتى اللـه رسـوله من خصـائص مـا يسـمى بحـديث سـهو النـبي ﷺ، والـذي رواه أبـو هريرة، فقال: بينما أنا أصلى صلاة الظهر، سلم رسـول اللـه ﷺ من ركعتين، فقام رجل من بني سـليم، فقـال: يـا رسـول اللـه، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال رسول اللـه ﷺ: لم تقصـر ولم أنسه، قال: يا رسول اللـه، إنمـا صـليت ركعـتين، فقـال رسـول الله ﷺ: أحق ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: نعم، قال: فقام فصـلى بهم ركعتين آخرتين) [2]

وقد ذكرنا سابقا أن هـذا الحـديث من غـرائب أبي هريـرة، لكون ذي اليدين استشهد في بدر، وأبو هريرة لم يره.

بالإضـافة إلى ذلـك، فـإن الحـديث لا يتناسـب مـع معرفـة رسول الله ﷺ بالله، فلا يجوز عليه الغفلـة ولا النسـيان وخاصـة فيما يتعلق بعلاقته بربه، فكيف يفعل ذلك، وهو الذي كان دائمـا معه، منشغلا به انشغالا كليا.

أما تبرير ذلك، بكونه نسي ليعلمهم.. فالتعليم لا يحتاج إلى الفعل، بل يكفي فيه القول، فيكفي أن يشرح لهم رسـول اللـه ﷺ مـاذا يمكن أن يفعلـوا في حـال نسـيانهم.. وإلا لـو شـرطنا الفعل للبيان لوقعنا في حرج كبير.

---

1) رواه أحمد 3/147 (12522) وفي 3/185 (12953) والبخاري: 4/27 (2820) وفي 4/37 (2866) و8/16 (6033)

2) رواه الحميـدي (984) و(ابن أبي شـيبة) 2/37 (4510) وفي (4511)، و(أحمـد) 2/386 (8998) وفي 2/423 (9458)، و(البخـاري) و(مسلم) و(أبو داود) و(النسائي) 3/23، وفي (الكبرى) 565 و1151.

ومن تلك الأحاديث العجيبة التي لا تتناسب تماما مع تعظيم رسول الله ﷺ لشعائر الله ما روي عنه أنه قال: أقيمت الصلاة، وعدلت الصفوف قياما، فخرج إلينا رسول الله ﷺ فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب، فقال لنا: مكانكم، ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر، فصلينا معه(1).

وهذا سلوك عجيب لا يتناسب مع رسول الله ﷺ، بل لا يتناسب مع آحاد الناس، فكيف برسول الله ﷺ.. وهل يمكن لأحد أن يقدم على عبادة الله، بل إلى إمامة الناس بالصلاة من غير أن يكون متأكدا من توفر جميع الشروط، وانتفاء جميع الموانع.

أبو هريرة.. وقرابة رسول الله ﷺ:

من أعظم ما اجتهدت الفئة الباغية في تنفيذه عبر رجالها الذين اعتمدتهم من الرواة، سواء كانوا من المقربين إليها من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم، ممن وقفوا معها ضد السابقين من المهاجرين والأنصار هو الإساءة إلى رسول الله ﷺ في أقاربه الأدنين، وذلك أعظم نصب.

ومن أولئك الأقارب الذين مستهم إذية أبو هريرة أو الراوين عنه أم رسول الله ﷺ.. فقد روى مسلم وغيره عنه أن: رسول الله ﷺ زار قبر، أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: (استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور تذكركم بالموت)

وللأسف فإن هذا الحديث الخطير المؤذي لرسول الله ﷺ وضعه أصحاب كتب الحديث تحت عنوان: [باب زيارة قبر

1) رواه البخاري 1 / 329، ومسلم رقم (605)، والموطأ 1 / 48، وأبو داود رقم (234)، والنسائي 1 / 81 و82.

المشرك][1]

وهكذا فعل شيخ المفسرين السلفيين ابن جرير الطبري في تفسيره، حيث قال: (أهل الشرك من أهل الجحيم، وأن أبويه كانا منهم)[2]

وقال البيهقي:)وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا)[3]

وبهذا نطق كل السلفية المتقدمين والمتأخرين، بل إنهم وضعوا ذلك من عقائد أهل السنة.. فمن عقائدهم تكفير أبوي رسول الله ﷺ.. واعتبار أنهم في جهنم.. وأن شفاعة رسول الله ﷺ التي تشمل كل شيء تضيق بهما.

ولن نناقشهم في هذا المحل في هذا، ولكننا ندعوهم إلى مطالعة ما ورد في مصادرهم التي يعتمدونها من أحاديث حول هذه الأم الطاهرة.. أشرف أم في الدنيا.

فمن تلك الأحاديث هذا الحديث الذي يبين مكانتها العظيمة عند الله، والتي أهلتها لأن تكون أما لرسول الله ﷺ، ففي الحديث عنها قالت: (ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت ثقله كما تجد النساء.. وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال لي: هل شعرت أنك حملت؟ فأقول: ما أدري فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها.. وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور

---

1) من الأمثلة على ذلك النسائي صاحب السنن: إذ روى حديث الاستئذان (2032)، وترجم له بعنوان [باب زيارة قبر المشرك]، ومثله صنع ابن ماجة حيث روى حديث الاستئذان (1572)، وعنون عليه: باب ما جاء في زيارة قبور المشركين..

2) تفسير الطبري (1/516).

3) دلائل النبوة (1/192 - 193).

بصرى من أرض الشام، فإذا وضع فسميه محمدا)[1]

وفي حديث آخر روي أنها حين حملت برسول الله ﷺ أتاها آت من ربها، فقال: (إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: (أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد)[2]

بل إن رسول الله ﷺ نفسه ذكر بعض ذلك، فقال مجيبا لمن سأله عن نفسه: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام)[3]

لكنهم ـ بسبب ما لفقوه من وسائل لرد ما شاءوا من أحاديث ـ يمكنهم أن يتلاعبوا بأمثال هذه النصوص، فيذكرون أن في رواتها شيعة.. مع العلم أنهم في عصر الرواية لم يكن يقصد بالشيعة إلا من كان مع علي في صفين، أو كان مع ابنه الحسن، أو الحسن، أو كان مع أولئك الذين ثاروا على الفئة الباغية.

ولكن مع ذلك كان يمكنهم أن يقرؤوا قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: 28]، فإذا كانت نجاسة المشركين تحول بينهم وبين القرب من المسجد الحرام، فكيف تقبل العقول أن يكون الرحم الذي آوى رسول الله ﷺ أشهرا معدودات نجسا؟

وكيف تقبل العقول أن يكون أول لبن تغذى به رسول الله

---

1) رواه ابن سعد، والبيهقي وغيرهما.

2) رواه محمد بن إسحاق.

3) رواه الحاكم وصححه والبيهقي.

ﷺ نجسا؟

وليتهم أعملـوا عقـولهم، وأعملـوا القيـاس الـذي يعملونـه لتفريق صف الأم.. فقـد رووا عن بعض سـلفه قولـه: (وفُضـلت اليهود والنصـارى على الرافضـة بخصـلتين: سـئلت اليهـود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسـئلت النصـارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسـى، وسـئلت الرافضـة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ)(1)

كان في إمكانهم لو طبقـوا هـذا على أنفسـهم.. لا بسـؤال اليهود والنصاري.. فقد يكذبون.. وإنما بسؤال القرآن نفسـه.. لا عن أصحاب موسـى، فقـد أخـبر اللـه عمـا فعلـوه بـه.. ولا عن أصحاب المسيح، فقد أخـبر القـرآن عن انحـرافهم عنـه.. وإنمـا يسـألوا القـرآن الكـريم نفسـه عن أم موسـى وعيسـى.. فـإذا سألوه فسيجيبهم بأن أم موسـى أوحى لهـا اللـه: ﴿أَنْ أَرْضِـعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَـافِي وَلَا تَحْـزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصـص: 7] وأمـا أم المسـيح، فقد أوحى لها الله: ﴿يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَـةٍ مِنْـهُ اسْـمُهُ الْمَسِـيحُ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ وَجِيهًـا فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45]

ليتهم يعملـون القيـاس الـذي تعـودوا أن يعملـوه في كـل شيء، ليروا أنفسـهم أسـوأ من اليهـود والنصـارى في مـوقفهم من أم نبيهم.. مع العلم أن أم أي شخص في الـدنيا أقـرب إليـه وأعز من كل أصحابه..

ونفس العــداوة الــتي وجههــا حــديث أبي هريــرة إلى أم رسول الله ﷺ وجهها لأشرف عم في الدنيا أبو طالب.. ذلك أن الفئة الباغية أعلنت الحرب عليه، لأسباب كثيرة أهمها أنـه كـان أكبر حصن حمى الإسـلام وحمى رسـول اللـه ﷺ في وجـه آبـاء وأجداد الفئة الباغية التي كـانت تريـد أن تستأصـل الإسـلام من جذوره.

---

1) منهاج السنة: ج/1-ص/27.

ولهذا لما أتيحت لها الفرصة راحت ترفع من شأن أبي سفيان، وتعتبره صحابيا جليلا يحرم الحديث عنه، أو الطعن فيه، وتجعل من هند امرأة جليلة، بل صحابية جليلة، لا يمرون على ذكرها، إلا ويترضوا عليها، بينما أبو طالب عم رسول الله ﷺ الذي تلقى في سبيله كل أنواع الأذى رموه في جهنم، وجعلوه يعذب خالدا مخلدا فيها.

ومع أن أبا هريرة لم ير أبا طالب، لكنه روى عنه هذه الرواية التي لا شك في كونه تلقاها من أحدهم.. لكن من هو.. لسنا ندري.. ولا يهتم السلفية بأن يدروا لأن كل من رأى رسول الله ﷺ عندهم ولو من بعيد.. ولو مرة واحدة.. عدل يؤخذ الدين عنه، حتى لو مارس كل أنواع الموبقات.

فقد روى أبو هريرة وغيره هذا الحديث الذي اتفق المحدثون على كون المقصود منه أبا طالب عم رسول الله ﷺ: (إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يحذى له نعلان من نار يغلى منهما دماغه يوم القيامة)[1]

---

1) رواه الحاكم (4/624، رقم 8729) وقال: صحيح على شرط مسلم، أحمد (4/274، رقم 18437)، والبخارى (5/2400، رقم 6194)، والترمذى (4/716، رقم 2604) وقال: حسن صحيح..

رابعا ـ أحاديث أبي هريرة.. وعوالم الغيب

لم تكتف الروايات التي رواها أبو هريرة بتشـويه الجـوانب المرتبطة بالعقائد في الله وفي رسـله عليهم الصـلاة والسـلام، بل تعدتها إلى سائر العقائد الإسلامية، وخاصـة مـا يرتبـط منهـا بالجوانب الغيبية المحضة، كالإيمان بالملائكة، واليوم الآخر.

فقـد أضـافت أحـاديث أبي هريـرة إلى العقائـد الجميلـة الواضحة المرتبطة بها في القرآن الكـريم عقائـد كثـيرة يختلـط فيها المقدس بالمدنس، وتمتزج الحقيقة بالأسطورة، لتخرج لنـا كيانا مشوها مليئا بالغرابة.

وسنذكر هنـا نمـاذج عن تلـك الروايـات ممـا يتعلـق بعـالم الملائكة، وأحداث اليـوم الآخـر، ونقـارن بينهـا وبين مـا ورد في القــرآن الكــريم، لــنرى مــدى التشــويه الــذي حصــل للعقائــد الإسلامية بسبب أمثال تلك الروايات.

أبو هريرة.. والملائكة:

من الأحاديث التي رواها المحدثون عن أبي هريـرة، والـتي تتعلق بالعقائد المرتبطة بالملائكة عليهم السلام، مـا رفعـه إلى رسول الله ﷺ من قوله: (أتاني ملك برسالة من الله عز وجـل، ثم رفع رجله فوضـعها فـوق السـماء، ورجلـه الأخـرى ثابتـة في الأرض لم يرفعها) (1)

فهـذا الحـديث الـذي أراد من خلالـه أبـو هريـرة أن يصـور عظمة خلقة الملائكة، حـتى أنهم يسـيرون في السـموات، كمـا نسير نحن على درج السلم، يخالف مـا ورد في القـرآن الكـريم من قوله تعالى: ﴿الْحَمْـدُ لِلَّهِ فَـاطِرِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِـلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: 1]

(1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (2/ 729)

ومن رواياته حول الملائكة عليهم السلام، والمخالفة للقرآن الكريم، هذه الرواية المرتبطة بمعصية الملائكة لربهم، وعدم طاعتهم له، وهي قوله: (لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم، بعث ملكا من حملة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلما هوى ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذى أرسلك أن لا تأخذ منى اليوم شيئا يكون للنار منه نصيب غدا فتركها، فلما رفع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتك؟ قال: سألتنى بك فعظمت أن أرد شيئا سألنى بك فأرسل لها آخر فقال مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم، فأرسل ملك الموت فقالت له مثل ذلك فقال: إن الذي أرسلنى أحق بالطاعة منك، فأخذ من وجه الأرض كلها من طيبها وخبيثها، فجاء به إلى ربه، فصب عليه من ماء الجنة، فصار حما مسنونا، فخلق منه آدم)(1)

فهذا الحديث يخالف قوله تعالى في حق الملائكة عليهم السلام: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

ومن الأحاديث التجسيمية الممتلئة بالغرابة التي أراد بها أبو هريرة أن يصور عظمة الملائكة، ما رفعه إلى رسول الله ﷺ من قوله: (أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبيه وهو يقول: سبحانك أين كنت، وأين تكون) (2)

والسلفية يستدلون بهذا الحديث على إثبات المكان لله، كما يستدلون به على عظمة العرش، وعلى عظمة ما يحمله، كما شرحنا ذلك بتفصيل في كتاب [السلفية والوثنية المقدسة]

ومن تلك الروايات المشوهة لخلقة الملائكة، ما رواه عن رسول الله ﷺ من قوله: (إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد

(1) رواه ابن جرير، والبيهقى في الأسماء والصفات، وابن عساكر، انظر: الحبائك في أخبار الملائك (ص: 37)

(2) رواه عثمان بن سعيد، وأبو يعلى بسند صحيح، انظر: الحبائك في أخبار الملائك (ص: 56)

مرقت رجلاه الأرض، ورأسه مثنية تحت العرش، وهو يقول: (سبحانك ما أعظمك)، فيرد عليه: (ما علم ذلك من حلف بى كاذبا) (1)، مع أن القرآن الكريم يذكر جمال خلق الملائكة، وأنهم من عالم آخر ممتلئ بالقداسة، كما قال تعالى على لسان النسوة، وأقرهم عليه: ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]

ومن تلك الروايات التي رواها أبو هريرة، وهي تصطدم مع ما ورد في القرآن الكريم من عظم خلق الملائكة، وقوتهم، وتصطدم مع رواياته نفسها التي رواها حولهم، ما رفعه إلى رسول الله من قوله في الحديث الذي سبق ذكره، والذي دافع السلفية عنه دفاع المستميت: (جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله ﷺ: والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر) (2)

فهذا الحديث لا يدنس النبوة فقط، بل يدنس ما ورد في القرآن الكريم من الحقائق حول الملائكة عليهم السلام، وقوتهم العجيبة، وكونهم من عالم مختلف تماما عن عالمنا، ولذلك لا يصيبهم ما يصيبنا، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: 5، 6]

وأخبر عن عدم حاجتهم للأكل والشرب وكل مقتضيات

---

1) رواه الطبرانى في الأوسط وأبو الشيخ والحاكم، انظر: الحبائك في أخبار الملائك (ص: 80)

2) البخاري (1339)، ومسلم (2372)ـ (157). وابن أبي عاصم في السنة (599) والنسائي 4/118.

الطبيعة الجسمانية، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 69، 70]

أبو هريرة.. واليوم الآخر:

عند الاطلاع على الروايات التي رواها أبو هريرة حول اليوم الآخر، وما يرتبط به من أحداث، نرى الفوارق الكبيرة بين ما يعرضه القرآن الكريم من مشاهد تنسجم مع العقل والفطرة السليمة، ومع سنن الله في الكون والحياة، ومع كل شيء.. في نفس الوقت الذي نرى فيه روايات أبي هريرة تنافي ذلك كله، بل تصور أحداث اليوم الآخر بصورة أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع.

وسأقتصر هنا على مشاهد من حديث طويل يورده السلفية في كل محل، ويستدلون به، وإن كان بعضهم يضعفه، أو يتكلم في صحته.. ولكنا كما ذكرنا لا يهمنا تلك الحيل والخدع، لأن مجرد روايته في كتب التفسير والعقيدة ونشره بتلك الصورة، بل تخصيص كتب حوله كاف في نشر ما يرتبط به من عقائد وأفكار، وإن عقبوا على ذلك بأي تعقيب، فإنه لا معنى له.

وسنذكر الرواية التي رواها الطبري وأبو يعلى الموصلي والبيهقي وغيرهم، ونقلها عنهم ابن كثير في [النهاية في الفتن والملاحم]، مع كونه ـ كما يذكر ـ قد خصص كتابا كاملا حوله، وهو يذكره كثيرا في تفسيره، كما يذكره غيره من المحدثين.

وسنقتصر ـ بسبب طوله ـ على بعض المشاهد الواردة فيه [1]:

---

(1) انظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير: (1/ـ 270)، وقد ذكر ابن كثير أنه رواه جماعات من الأئمة في كتبهم، كابن جرير في تفسيره، والطبراني في المطولات، والحافظ البيهقي في كتابه: البعث والنشور، والحافظ أبي موسى المديني في المطولات أيضا من طرق متعددة عن إسماعيل ابن رافع قاص أهل المدينة.

فمن تلك المشاهد، ذلك المشهد الذي يصور فيه بصورة غريبة كيفية إماتة جميع الأحياء، بما فيهم الملائكة، وهي صورة تصطدم مع كل المعارف العقدية التنزيهية لله، لأنها تصور الله تعالى بصورة الجبابرة الطغاة الذين يقضون على كل منافسيهم ليبقوا وحدهم.

فقد ورد في الرواية التي تنتشر كثيرا، ويرددها الكثير من الخطباء غير عارفين لمدلولاتها، وآثارها العقدية الخطيرة: (ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق؟ فيصعق أهل السموات والأرض؟ إلا من شاء الله؟ فإذا هم خمدوا، جاء ملك الموت إلى الجبارة فيقول: يا رب: مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول الله: وهو أعلم بمن بقي؟ فمن بقي؟ فيقول: يا رب: بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا؟ فيقول الله: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله العرش فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت، فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب: قد مات جبريل وميكائيل؟ وبقيت أنا وحملة العرش، فيقول الله: فليمت حملة عرشي فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك فيقول: وهو أعلم بمن بقي، فمن بقي؟ فيقول يا رب: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا، فيقول الله: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان آخرا كما كان أولا، طوى السموات والأرض كطي السجل للكتاب ثم دحاها ثم لفها ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار ثلاثا. ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: لله الواحد القهار)

هذا هو المشهد الأول، وهو لا يحتاج مني أي تعليق، فهو يمثل الله تعالى بصورة تجسيمية ممتلئة بالدنس.. وكأن الله تعالى أمات كل شيء، ليردد بصوته ـ كما ـ يذكر الحديث: (لمن

الملك اليوم؟ ثلاث مـرات فلا يجيبـه أحـد، فيقـول لنفسـه: للـه الواحد القهار)

ومن المشاهد التفصيلية الواردة في الحـديث، والـتي تـدل على ذلــك الحس اليهـودي المغـرم بالتفاصـيل هـذا المشـهد: (ويبـدل الأرض غـير الأرض والسـموات، فيبسـطها، ويسـطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ثم يزجــر الله الخلق زجرة، فإذا هم في مثل ما كانوا فيه في الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كــان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم من ماء من تحت العرش، ثم يــأمر الله السماء أن تمطـر فتمطـر أربعين يومـا، حـتى يكـون المـاء فوقهم اثني عشر ذراعا، ثم يأمر اللـه الأجسـاد أن تنبت، فتنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت، قال الله: ليحيي جبريل وميكائيل، فيحييـان، ثم يـدعو اللـه بـالأرواح، فيــؤتى بهــا تتــوهج أرواح المســلمين نــورا، والأخــرى ظلمــة، فيقبضها جميعا، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إســرافيل أن ينفخ نفخــة البعث، فينفخ نفخــة البعث، فتخــرج الأرواح كأنهــا النحل قد ملأت مـا بين السـماء والأرض فيقـول اللـه: (وعـزتي وجلالي، لــيرجعن كــل روح إلى جســده، فتــدخل الأرواح في الأرض إلى الأجســاد، فتــدخل في الخياشــيم، ثم تمشــي في الأجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشــق عنــه الأرض، فتخرجــون منهــا ســراعا إلى ربكم تنسلون.. حفاة، عراة، غلفا غرلا)

وهـذا المشـهد المملـوء بالتفاصـيل يـذكرنا بروايـات كعب الأحبـار الـتي تتحـدث عن سـفينة نـوح عليـه السـلام، وطولهـا وعرضها، ومن ركب فيها من البشر والحيوانات ونحو ذلك.

ويــذكرنا قبلــه بنهي اللــه تعــالى عن البحث عن تفاصــيل الأشياء التي لا يهم كثيرا معرفة تفاصيلها، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَـــارِ فِيهِمْ إِلَّا مِـــرَاءً ظَـــاهِرًا وَلَا تَسْـــتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَـــدًا﴾ [الكهف: 22]

ومن المشاهد الواردة في الحديث، والتي تخالف التصــوير

القرآني لأحداث اليـوم الآخـر هـذا المشـهد: (ثم تقفـون موقفـا واحـدا، مقـدار سـبعين عامـا لا ينظـر إليكم، ولا يقضـى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الـدموع، ثم تـدمعون دمـاء وتعرقـون حـتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم، أو يبلغ الأذقان، فتضجون، وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا ليقضي بيننـا؟ فيقولـون: من أحـق بـذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيـه من روحـه، وكلمـه قبلا، فيأتون آدم، فيطلبون إليه ذلك، فيـأبى، فيقـول: مـا أنـا صـاحب ذلك، ثم يسعون للأنبياء نبيا نبيا، كلما جاءوا نبيا أبى عليهم.قـال رسول الله ﷺ: حتى تأتوني، فأنطلق، حـتى آتي الفحص، فـأخر ساجدا. قال أبو هريرة: يا رسول الله: مـا الفحص قـال: موضـع قــدام العــرش حــتى يبعث اللــه إلي ملكــا، فيأخــذ بعضــدي، فيرفعني، فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم لبيك يا رب، فيقـول مـا شـأنك؟ - وهـو أعلم- فـأقول: يـا رب وعـدتني الشـفاعة، فشفعني في خلقك، فـاقض بينهم، فيقـول شـفعتك، أنـا آتيكم، فأقضي بينكم)

فهـذا المشـهد التجسـيمي، والـذي يجعـل الخلـق جميعـا مؤمنهم وكافرهم يستوون في ذلك الموقف والتـألم فيـه لمـدة سـبعين سـنة يتنـافى مـع مـا ورد في النصـوص المقدسـة من اختلاف مواقف الناس في القيامة، كما قال تعـالى، وهـو يصـور نفس ذلك المشهد: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَـةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّـتِ الْجِبَـالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْـحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْـأَمَةِ مَـا أَصْـحَابُ الْمَشْـأَمَةِ (9) وَالسَّـابِقُونَ السَّـابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُـونَ (11)﴾ [الواقعة: 1 - 11]

فقــد أخــبرت الآيــات الكريمــة أن النــاس يــوم القيامــة مختلفـون اختلافـا شـديدا في ذلـك الموقـف، وأن من صـفات القيامة أنها خافضة رافعة.. وذلك لا يستوي أبدا مع ما رواه أبــو هريرة.

ويتنافى كذلك مع هذا المشهد القـرآني الـذي صـور النفخ

في الصور، وما يحصل بعده، فقد قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70)﴾ [الزمر: 68 - 71]

وبعدها أخبر الله تعالى مباشرة عن القرار الذي يقر فيه كل شخص بحسب عمله، فقال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)﴾ [الزمر: 71 - 74]

ومن المشاهد التجسيمية الواردة في الحديث، والتي يتعلق بها السلفية مع تنافيها التام مع ما ورد في القرآن الكريم من تنزيه الله، هذا المشهد الذي يرفعه أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ، والذي يقول فيه: (فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف، إذا سمعنا حسا من السماء شديدا، فينزل أهل السماء الدنيا مثل من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة، ويحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والأرض والسموات إلى حجرهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل من تسبيحهم، يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم

يهتف بصوته، فيقول: يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم، وصحفكم، تقرأ عليكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)

فهذا المشهد يصور الله تعالى راكبا في الغمام، ثم يجلس على الكرسي، وعلى الأرض، ثم يخاطب عباده بحرف وصوت.. وهي جميعا مشاهد يغرم بها السلفية، لأنهم لا يستطيعون أن يؤمنوا بإله ليس كمثله شيء.

وفي مشهد تجسيمي آخر يصور الله تعالى بصورة قاض جالس على الكرسي، ويبدأ بخلقه واحدا واحدا على الترتيب، وكأنه لا يستطيع الحكم بينهم جميعا في نفس الوقت.

يقول أبو هريرة في هذا المشهد: (فيميز الله الناس، وينادي الأمم داعيا لكل أمة إلى كتابها، والأمم جاثية من الهول.. فيقضي الله بين خلقه إلا الثقلين، الإنس والجن، فيقضي بين الوحوش والبهائم، حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن، فإذا فرغ الله من ذلك، فلم تبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله لها: كوني ترابا، فعند ذلك ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: 40])

وهذا مشهد غريب، ولا يتناسب مع عدالة الله.. فالله تعالى أعدل وأرحم وأكرم من أن يحول الحيوانات إلى تراب، لأنه بذلك ينزلها عن مرتبتها التي كانت عليها من غير ذنب ارتكبته.. والله أرحم من أن يفعل ذلك، كيف وهو رب العالمين.. فمن معاني الربوبية النماء والرفعة والبركة.. أي أنه سبحانه وتعالى ينقل الأشياء من حالة أسوأ إلى حالة أحسن.. إلا لمن رضي لنفسه أن ينحدر وينزل، وذلك لا يكون في الحيوانات التي لم يكلفها الله تعالى.

وفي مشهد تجسيمي آخر، يصور أبو هريرة مشهدا من مشاهد القضاء والحساب، فيقول: (ثم يقضي الله بين العباد،

فيكون أول ما يقضى فيه الدماء، فيأتي كل قتيل في سبيل الله، ويأمر الله من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول الله تعالى وهو أعلم: فيم قتلته؟ فيقول: قتلته يا رب لتكون العزة لك، فيقول الله: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نور السموات، ثم تسبقه الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من كان يقتل على غير ذلك ويأمر من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول الله وهو أعلم: فيم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلته لتكون العزة لي، فيقول الله: تعست، ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل إلا قتل بها، ولا مظلمة إلا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه)

وهذا مشهد لا يشوه أحداث اليوم الآخر فقط، بل يشوه قيم الدين أيضا، لأنه يبرر تلك الجرائم التي كانت تمارس بأن المراد منها هو أن تكون العزة لله.. وكأن الله أمر بسفك الدماء لتعود العزة إليه..

والحديث بعد ذلك يصور أن أولئك المجرمين القتلة الذي توعدهم الله تعالى بالعذاب المخلد في الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]

يصور الحديث هؤلاء بصورة أصحاب الجرائم البسيطة الذين هم في (مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه)، وكأن تلك القوانين الإلهية الواردة في القرآن الكريم لغو ولا قيمة لها.

ومن هنا نشأت تلك المقولة الخطيرة التي تتناقض مع عدالة الله وحكمته في خلقه، وهي [جواز تعذيب المطيع ودخوله النار، وثواب العاصي ودخوله الجنة]، وكأن كل تلك القوانين التي وضعها الله في كتابه لمن يدخل الجنة والنار، والشروط المرتبطة بهما لغو لا قيمة لها.

ومن مشاهد القيامة التي وردت في حديث أبي هريرة هذا

المشـهد الغـريب الممتلئ بالتجسـيم: (ثم يقضـي اللـه بين من بقي من خلقه، حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حـتى إنـه ليكلـف شـائب اللبن بالمـاء أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ الله من ذلك، نادى مناد يسـمع الخلائق كلهم، فقال: ليلحق كل قـوم بـآلهتهم وماكـانوا يعبـدون من دون الله، فلا يبقى أحد عبد من دون الله شـيئا إلا مثلت لـه الهيئة بين يديـه، فيجعـل يومئـذ ملـك من الملائكـة على صـورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسـى، فيتبـع هـذا اليهود، ويتبع هذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النـار.. فـإذا لم يبق إلا المؤمنون، فيهم المنافقون، جـاءهم اللـه فيمـا شـاء من هيئة، فقال: يا أيها النـاس، ذهب النـاس فـالحقوا بـآلهتكم، ومـا كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، مـا كنـا نعبـد غـيره، فينصرف عنهم- وهو اللـه- فيمكث مـا شـاء اللـه أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس، ذهب الناس، فالحقوا بآلهتكم، ومـا كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبـد غـيره، فيكشف عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون بـه أنـه ربهم، فيخـرون سـجدا على وجـوههم، ويخـر كـل منـافق على قفاه، ويجعل الله أصـلابهم كصياصـي البقـر، ثم يـأذن اللـه لهم فيرفعون رؤوسهم)

وهذا يدلنا على مبلغ التجسـيم الـذي تسـرب من اليهوديـة إلى الإسلام، بل تحول إلى أحـاديث مرفوعـة لرسـول اللـه ﷺ، تتحدث عن الله كحديثها عن أي ملك من الملـوك، أو كـائن من الكائنات.

ومن مشاهد القيامة في الحديث هـذا المشـهد التجسـيمي الذي يصور اللـه، وكأنـه سـاكن من سـكان الجنـة: (فـإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت له سـاجدا، فيـأذن اللـه لي من حمده ومجده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول لي الله: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشـفع، وسـل تعـط، فـإذا رفعت رأسي قال الله، وهو أعلم: مـا شـأنك؟ فـأقول: يـا رب، وعـدتني الشـفاعة فشـفعني في أهـل الجنـة، يـدخلون الجنـة، فيقول الله عز وجل: قد شفعتك، وأذنت لهم في دخول الجنة)

ثم أخذ أبو هريرة يصف الجنة بمثل تلك الأوصاف التي نسمعها من الخطباء السلفيين، والتي تخالف المنهج القرآني في وصف الجنة ونعيمها، فقد ورد فيه قوله: (فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة كما ينشئهن الله، واثنتين آدميتين، لهما فضل على من شاء الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة، على سريرمن ذهب مكلل باللؤلؤ، له سبعون درجة من سندس واستبرق، ويضع يده بين كتفيها، ثم ينظر من صدرها ما وراء ثيابها من جلدها ولحمها، وإنه لينظر إلى لحم ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوتة، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها، لا يملها ولا تمله إذ نودي: إنا قد عرفنا أنك لا تمل، ولا تمل، إلا أن لك أزواجا غيرها، فيخرج، فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك)

ثم يذكر مشهدا إرجائيا خطيرا يحول من كل تلك التشديدات القرآنية لغوا لا قيمة لها، فقد جاء فيه قوله ــ رافعا له إلى رسول الله ﷺ ـ : (ثم يأذن الله لي في الشفاعة، فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول الله: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة الدينار إيمانا، فيخرج أولئك، حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانا ثلثي دينار، ثم يقول: وثلث دينار، ثم يقول: قيراطا، ثم يقول: حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرا قط، وحتى لا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس ليتطاول لما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له، ثم يقول الله: بقيت أنا، وأنا أرحم الراحمين، فيدخل يده في جهنم، فيخرج منها ما لا يحصيه غيره، كأنهم حب فيبثهم الله على نهر يقال له نهر الحيوان، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، مما يلي الشمس أخضر، ومما يلي الظل منها أصفر، فينبتون حتى يكونوا أمثال الدر، مكتوبا في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن عز وجل يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب، ما عملوا الله خيرا قط، فيبقون في الجنة)

هذه مشاهد من حديث أبي هريرة حول أحداث القيامة، ومن أحاديثه الأخرى الغريبة والتي تميل إلى التفصيل هذا الحديث الذي رواه عن رسول الله ﷺ: (يدخل أهل الجنة الجنة جردا، مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طول ستين ذراعا في عرض سبعة أذرع)

وهذا الحديث يتناقض مع ما دلت عليه الحفريات القديمة، لأنه إذا (كان طول الإنسان ستين ذراعا يلزم أن يكون طول الجمجمة أكثر من ذراعين، ولكن جماجم الإنسان البدائي في القرون الأولى التي تم كشفها والعثور عليها في علم الحفريات لم تكن بينها وبين جمجمة الإنسان في العصر الحالي اختلاف كثير وتفاوت كبير، وحتى أنه لم يعثروا إلى هذا التاريخ على أية جمجمة تكون على حجم ذراعين، ولم يحصلوا على أي أثر يدل على وجود إنسان ذي الستين ذراع)[1]

ويتناقض أيضا مع الخلقة السوية للإنسان، لأنه (إذا كان طول الإنسان ستين ذراعا، ولكي تتناسب أعضاؤه يجب أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعا وسبع الذراع، لا سبعة أذرع. لأن العرض إذا كان سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة وعشرين ذراعا ونصف الذراع، لأن عرض الإنسان الطبيعي مع استواء خلقته بمقدار سبعي طوله.. وبناءا على هذا، فإذا أخذنا الحسابات الأبو هريرية بنظر الاعتبار يمكننا أن نتصور أن آدم عليه السلام كان قبيح الهيكل وكريه المنظر أو أنه لم يكن مخلوقا مستوي الخلقة، وهذا الاحتمال الأخير نقيض للنص القرآني المنزل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4])[2]

ومن الأحاديث التي رواها أبو هريرة في وصف الجنة، والتي كثيرا ما نسمع الخطباء يرددونها، مع أنها تشوه الجنة وتصورها على خلاف الصورة القرآنية، هذا الحديث: (قصر في

1) أضواء على الصحيحين - الشيخ محمد صادق النجمي ص 169.

2) أضواء على الصحيحين - الشيخ محمد صادق النجمي ص 169.

الجنة من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمـراء، في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون فراشا، على كـل فـراش امـرأة من الحور العين، في كـل بيت سـبعون مائـدة، على كـل مائـدة سبعون لونا، في كل بيت سبعون وصـيفا ووصـيفة فيعطي اللـه عز وجل المؤمن من القوة ما يأتي عليهن في غداة واحدة)[1]

وهذا الحديث وأمثالـه والـذي يربـط الجنـة فقـط بـالعوالم البهيمية هـو الـذي يسـتعمله أولئـك المجرمـون للتحـريض على الإرهـاب والعنـف، والقيـام بالعمليـات الانتحاريـة الإجراميـة، لتلاقيهم ـ حسب أوهامهم ـ هذه الهدايا الإلهية التي صـورها لهم حديث أبي هريرة.

1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (3/ 1117)

خامسا ـ أحاديث أبي هريرة.. والملاحم والفتن

من الأحـاديث الـتي تحـدث بهـا أبـو هريـرة، ورفعهـا إلى رسول الله ﷺ، والـتي تحتـاج إلى المزيـد من التحقيـق والنظـر أحاديثه المتعلقة بالفتن والملاحم وما سيحصل آخر الزمان.

ذلك أن هذا النوع من الأحـاديث يرتبـط بجـانب النبـوة في رسـول اللـه ﷺ، وحصـول أي خطـأ في تلـك النبـوءات يمس رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى، ويذهب بمصداقيته، ولـذلك كـان التحري والتحقيق، أو على الأقل وضع أحاديثـه في هـذا الجـانب موضع شك، أصلا من الأصول المهمة التي تحمى بها النبـوة من شبهات المشككين.

وسنضرب أمثلة على أحاديثـه المرتبطـة بهـذا الجـانب في هذا المبحث، لنرى مدى مصداقيتها.

أبو هريرة.. وأحاديث فتح القسطنطينية:

من الأحاديث التي حدث بها أبو هريرة عن رسول اللـه ﷺ، وهي تخـبر عمـا سيحصـل في المسـتقبل مـا يمكن تسـميته أحاديث فتح القسطنطينية.

ومن تلك الأحاديث ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخـرج إليهم جيش من المدينة، من خيـار أهـل الأرض يومئـذ، فـإذا تصـافوا، قالت الروم: خلوا بيننـا وبين الـذين سـبوا منـا نقـاتلهم. فيقـول المسـلمون: لا، واللـه لا نخلي بينكم وبين إخوانـنـا. فيقـاتلونهم، فينهـزم ثلث لا يتـوب اللـه عليهم أبـدا، ويقتـل ثلثهم، أفضـل الشـهداء عنـد اللـه، ويفتتح الثلث، لا يفتنـون أبـدا، فيفتتحـون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنـائم، قـد علقـوا سـيوفهم بالزيتون، إذ صـاح فيهم الشـيطان: إن المسـيح قـد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشأم خـرج، فبينمـا هم يعدون للقتال، يسوون الصـفوف، إذ أقيمت الصـلاة، فيـنزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، فـأمهم، فـإذا رآه عـدو

الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته) (1)

فهذا الحديث الغريب يربط فتح القسطنطينية بالدجال، بل يجعله علامة من علامات الساعة الكبرى من خروج الدجال، ونزول المسيح.. وذلك مما لم يحصل في الواقع التاريخي.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحديث يبرر كل تلك السلوكات العدوانية التي مورست باسم الفتح مع أن الهدف هو الغنائم، فقد ورد في الحديث (فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون)، ولست أدري كيف يتناسب اسم الفتح مع اقتسام الغنائم، وهل الذي يقوم بإنقاذ الناس يستل ما في جيوبهم.

ومن الأحاديث المتعلقة بهذا ما رواه عن النبي ﷺ أنه قال: (سمعتم بمدينة، جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور بن يزيد: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر - ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرج فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون(2).

وهذا الحديث الذي رواه مسلم أيضا يتناقض مع الحديث السابق، وقد استفاد منه المحدثون أن الروم أو الأتراك من بني إسحاق، مع أن ذلك لا يدل عليه أي شيء.

ومن عجائب الحديث أن هؤلاء يفتحون هذه المدينة ذات

1) رواه مسلم في صحيحه (8/175)رقم (2897) في الفتن، باب فتح قسطنطينية، ونزول عيسى ابن مريم.

2) رواه مسلم في الفتن (18: 33)

الجيش القوي بدون سلاح، بل بأذكار يرددونها فقط.

والحديث لا ينسى كسابقه اقتسام المغانم باعتبارها هدفا من الأهداف الكبرى..

والحديث يربط مثل سابقه فتح القسطنطينية بظهور الدجال.. ولست أدري هل ما حصل قبل قرون من فتح القسطنطينية وتحولها إلى عاصمة للخلافة الإسلامية، وامتلائها بالمساجد ليس فتحا، فإن كان كذلك فليس هناك أي أرض مفتوحة للمسلمين.

وقد حاول السلفي الكبير أحمد شاكر أن يتلاعب بمعنى الفتح في هذا الحديث، فقال: (فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عز وجل، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا فإنه كان تمهيدا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ)[1]

وحديثه هذا يتناقض مع ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله)[2]

فقد ذكر فتحا واحدا لجزيرة العرب ولفارس وللقسطنطينية.. لكنهم في سبيل تصحيح أحاديث أبي هريرة، وعدم القبول بنقدها يخترعون العجائب.

1) حاشية عمدة التفسير 256 / 2 تحقيق أحمد شاكر.

2) مسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم.

أبو هريرة.. وأحداث آخر الزمان الغريبة:

من الأحاديث التي رواها أبو هريرة، والـتي يميـل فيهـا إلى الإغراب الذي يملأ مستمعيه دهشة ما حدث به عن المستقبل.. ولسنا ندري ما مدى صحة ذلك.. ولكنا متأكدون أن الذي بـرزت منه كل تلك الأغلوطات لا يمكن الثقة بما يقوله.

والكثير منها للأسف يردده الخطباء، ويحفظه الناس، وكأنه حقـائق مطلقـة.. مـع أن الـذي ذكـر ذلـك لا يمكن اعتبـاره من مصادر الحقائق المطلقة.

ومن تلك الأحاديث ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى يمـر الرجـل بقـبر الرجـل فيقـول: يـا ليتـني مكانه) (1)

ومثل هذا حصل في كل الأزمنة، ففيهـا جميعـا كـان هنـاك من يتمنى الموت، بسبب الآلام التي تصـيبه في الحيـاة، بـل إن رسول الله ﷺ نفســه نهى عن ذلـك، كمـا ورد في الحـديث عن أنس بن مالـك قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: (لا يتمـنين أحـدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خـيرا لي، وتوفـني إذا كـانت الوفـاة خـيرا لي)، وقد عقب أنس على هذا الحديث بقوله: (لولا أن رسول الله ﷺ قال: (لا يتمنين أحدكم الموت، لتمنيته)(2)

ومن تلك الأحاديث الغريبة التي حـدث بهـا أبـو هريـرة عن رسول الله ﷺ ولا ندري معناها، ولا نثق فيه ثقة مطلقـة، قولـه: (لا تقوم السـاعة حـتى يمطـر النـاس مطـرا لا تكن منـه بيـوت

1) رواه البخاري 6 / 75 في الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم رقم (2922) في الفتن.

2) رواه البخاري 10 / 107 و108، ومسلم رقم (2680)

المدر، ولا تكن منه إلا بيوت الشعر) [1]

ومنها حكايته أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا.. وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة، لا يخاف إلا ضلال الطريق) [2]

ومنها حكايته عن رسو الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله) [3]

ومنها حكايته أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله) [4]

ومنها حكايته أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر (أحمد، والبخارى عن أبى هريرة) [5]

---

1) أحمد (2/262، رقم 7554). قال الهيثمى (7/331): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: نعيم بن حماد (2/646، رقم 1812)

2) الحاكم (4/524، رقم 8472) وقال: صحيح على شرط مسلم. وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد (14/ 427).

3) رواه ابن أبى شيبة (7/476، رقم 37353)، والبخارى (3/1070، رقم 2770)، ومسلم (4/2233، رقم 2912)، وأبو داود (4/112، رقم 4304)، والترمذى (4/497، رقم 2215) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/1371، رقم 4096).

4) رواه البخارى (3/1070، رقم 2768)، ومسلم (4/2239، رقم 2922)

5) رواه أحمد (2/319، رقم 8223)، والبخارى (3/1315، رقم 3395). وأخرجه أيضًا: عبد الرزاق عن معمر فى الجامع (11/374، رقم 20782)، وابن حبان (15/144، رقم 6743)، والحاكم (4/523، رقم 8470) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ومنها إخباره عن طلوع الشمس من مغربها، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: 158])[1]

ومثل هذا الحدث الكوني العظيم يقتضي أدلة أقوى، وأسانيد أكثر، ولا يجدي فيه أمثال أبي هريرة.. بالإضافة إلى أن الحديث مما يستدل به السلفية على أن الشمس تدور حول الأرض.

ومن أحاديثه المرتبطة بهذا الباب، والتي أثارت جدلا كبيرا بين الشراح حكايته أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا أنجو) [2]

و في رواية (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا) [3]

وفي رواية (لا تذهب الدنيا حتى ينجلي فراتكم عن جزيرة من ذهب، فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون) [4]

---

1) رواه أحمد (2/231، رقم 7161)، والبخارى (4/1697، رقم 4359)، ومسلم (1/137، رقم 157)، وأبو داود (4/115، رقم 4312)، وابن ماجه (2/1352، رقم 4068). وأخرجه أيضًا: النسائى فى الكبرى (6/343، رقم 11177)، وابن حبان (15/252، رقم 6838)

2) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن (8 / 100) باب خروج النار، ومسلم في كتاب الفتن (برقم 2894) باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب

3) أبو داود (برقم 4313) والترمذي (برقم 2572)

4) رواه حنبل بن إسحاق في كتابه الفتن (ص 216) بسند صحيح.

وقد اختلف شراح الحديث كثيرا في بيان الزمن الذي يحسر فيه الفرات عن جبل الذهب، وأكثرهم خصه بزمن نزول المسيح عليه السلام، وفي الزمن الذي يكثر فيه المال، كما ذكر أبو هريرة.

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أن معنى حسر الفرات عن الذهب، المراد به البترول.

وقد رد السلفية على هذا الوجه ردودا كثيرة.

منها أن النص جاء فيه جبل من ذهب نصا لا يحتمل التأويل، والبترول ليس بذهب على الحقيقة فإن الذهب هو المعدن المعروف.

ومنها أن النبي ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو البترول يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

ومنها أن النبي ﷺ خص الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفي أماكن كثيرة متعددة.

ومنها أن النبي ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إن النبي ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئا(1).

وإلى الآن لا زالوا يبحثون في معناه.. ولو أنهم كانوا صادقين مع أنفسهم، ومع ما أعطاهم الله من أموال، لاشتروا بعض الأجهزة، أو لاستعاروها، ليتأكدوا من ذلك، لعلهم يحمون البشر من المجازر التي قد تحصل في نهر الفرات بسبب ذهبه.

---

1) انظر: إتحاف الجماعة (2 / 185 186) فقد ذكر الشيخ حمود التويجري وجوها كثيرة للرد على هذا.

سادسا ـ أحاديث أبي هريرة.. وقيم الجاهلية

لا تكتفي أحـاديث أبي هريـرة بتلـك الجـوانب العقديـة المحضة، والتي ساهمت في تحريف العقائد الإسلامية، وتقريبها من الأسـطورة والخرافـة، بـل ضـمت إليهـا الكثـير من القيم الجاهلية التي كان لها إفرازاتها الخطيرة على نظرة المسـلمين لقوانين الحياة، وسنن الله في الأكوان والمجتمعات.. كمـا كـان لها إفرازاتها الخطيرة على السلوك الإسلامي.

ومن بين أهم تلك القيم التي أشـاعتها أحاديثـه هـذه القيم التي سنتعرض لها في هذا المبحث على ضوء رواياته:

أبو هريرة.. وموازين الجزاء:

عندما نقارن بين مـا ورد في القـرآن الكـريم، وبين الكثـير من أحاديث أبي هريرة المرتبطة بالجزاء الأخروي، نجـد فـوارق كبـيرة، لهـا آثارهـا الكبـيرة على تصـور حقيقـة الـدين، وحقيقـة عدالة الله تعالى.. بالإضافة إلى آثارها السلوكية بعد ذلك.

فـالقرآن الكـريم يخبرنـا في آيـات كثـيرة جـدا أن هنـاك موازين في الآخرة توزن فيها الأعمال دقيقها وجليلها، بل يـوزن فيها أصحاب الأعمال أنفسهم، وأنه لا تتم رحمـة عبـد ولا نجاتـه من النار، ولا دخوله الجنـة إلا بعـد التحقـق من وزن كـل ذلـك.. وإتاحة الفرصة له للمناقشة والمناضلة عن نفسـه.. وبعـدها يتم الجزاء.

كما قال تعالى في الآية المحكمة التي تفسـر على ضـوئها جميـع آي القـرآن:﴿وَنَضَـعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْـطَ لِيَـوْمِ الْقِيَامَـةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَـا بِهَـا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الانبياء:47)

وقال عند ذكر دقة المـوازين الإلهيـة:﴿يَوْمَئِذٍ يَصْـدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْـرًا يَـرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾ (الزلزلة)

وهذه الموازين ـ كما ورد في القرآن الكريم ــ تعتمـد على الأعمال التي أحصاها الله تعالى على عباده، فلم يغـادر صـغيرة ولا كبيرة، كما قال تعالى في موعظة لقمـان ﷺ لابنـه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَـا إِنْ تَـكُ مِثْقَـالَ حَبَّةٍ مِنْ خَـرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَـخْرَةٍ أَوْ فِي السَّـمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَـأْتِ بِهَـا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيـفٌ خَبِـيرٌ﴾ (لقمان:16)

وقـد أخـبر تعـالى عن مقالـة المكلفين حين يبصـرون دقـة موازين الله، فقال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَـابُ فَتَـرَى الْمُجْـرِمِينَ مُشْـفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَـابِ لا يُغَـادِرُ صَـغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَـداً﴾ (الكهف:49)

ولذلك فإن الإنسان يرى في القيامة كـل مـا كسـبت يـداه ابتـداء من مثاقيـل الـذر، وهـذا من العـدل الـذي يجعـل المتهم مبصرا لجرائمه وذنوبه التي يحـاكم على أساسـها، قـال تعـالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَـرَهُ وَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرّاً يَرَهُ﴾ (الزلزلة:7 ـ 8)

وقد أخبر تعالى أن ثقل هذه الموازين بالأعمال الطيبة هـو الكفيـل بالنجـاة، قـال تعـالى: ﴿وَالْـوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَـقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لأعراف:8)، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المؤمنون:102)

وبخلافــه من خفت موازينــه، قـــال تعـــالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآياتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (لأعـراف:9)، وقـال تعـالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُـهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون:103)

ومن مظـاهر العـدل الإلهي الـتي لا يمكن وصـفها أن اللـه تعالى لا يزن الأعمـال فقـط، كمـا نفعـل في الـدنيا حين نكتفي بتقييم الأعمال دون نظر إلى ما يحيط بهـا من ملابسـات، فنقـع بذلك في أخطاء كثيرة وجور عظيم، لكنه ـ بعدله ـ يزن العمـل،

وكل ما يرتبط بالعمل من قريب أو من بعيد، ولهذ ورد التعبير عن الميزان في القرآن الكريم بلفظ الجمع.

وبخلاف هذا نجد أحاديث أبي هريرة تتناقض تماما مع هذه الموازين، فهي إما تميل إلى الرحمة المحضة التي لا تضر معها أي سيئة متعدية كانت أوغير متعدية، وإما إلى الشدة المحضة.

وسنعرض نماذج هنا عن كلتا الناحيتين المتناقضتين:

وأولها حديثه الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، والذي يقول فيه: (دخلت امرأة النار في هرة: ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)

وهو من الأحاديث التي صححتها عائشة لأبي هريرة، واعترضت على طريقة إيراده لها، فقد حدث علقمة، قال: كنا عند عائشة فدخل عليها أبو هريرة، فقالت: يا أبا هريرة، أنت الذي تحدّث: (إن امرأة عذبت في هرة لها ربطتها لم تطعمها ولم تسقها»، فقال أبو هريرة: سمعته منه، يعني النبي ﷺ، فقالت عائشة: أتدري ما كانت المرأة؟ قال: لا. قالت: إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة، فإذا حدثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدِّث)[1]

وهذا الحديث يرينا الفرق بين من يستخدم القرآن الكريم في فهم الحديث، وبين من يكتفي بالرواية المجردة، حتى لو ضرب بها كل القيم القرآنية والعقلية وغيرها.

وفي مقابل هذا نجده يروي رواية أخرى، تحض على بعض أعمال الخير، ولكنها في نفس الوقت تشجع على كثير من أعمال الشر.

---

(1) أبو داود الطيالسي في «مسنده» (ص199)، ورواه أحمد في «مسنده» (2/519) عن أبي داود الطيالسي به. وأورده الزركشي في كتاب «الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (1/116): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط أثناء تعليقه على المسند: إسناده حسن.

والحديث هو ما رواه البخاري ومسلم عنه يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: (بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به)(2)

فهذا الحديث يتناقض مع كل تلك النصوص التي ترتبط بموازين العدالة الإلهية.. فهذه المرأة، وإن أحسنت بسلوكها مع الكلب، لكنها أساءت بكونها مومسا.. وهي جريمة متعدية، وليست قاصرة.. ولذلك فإن عدالة الله تعالى تقتضي أن توقفها في موقف الحساب، لتزن حسناتها وسيئاتها جميعا.

بالإضافة إلى أن النصوص الكثيرة تدل على وجوب التوبة من الكبائر، مع الشروط الكثيرة المرتبطة بها.. وهذا الحديث يرفع عن هذه المرأة إصر ذلك كله.. فبمجرد سقيها للكلب تخلصت من كل ذنوبها حتى المتعدية منها.

وهذا الحديث للأسف ينتشر بكثرة.. بل يستدل به الكثير من الفساق على فسقهم.. وأن أمر الآخرة بسيط.. متجاهلين كل تلك النصوص القرآنية التي تبين خطورة الأمر.. وأن كل شيء سيوضع في الموازين، كما قال تعالى:﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر:18)، وقال تعالى:﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ (النساء:123)، وقال تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة:48)، وغيرها من آيات القرآن الكريم.

ومثله أو قريب منه ما رفعه أبو هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: (أسرف رجلٌ على نفسه، فلما حضره الموتُ أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت، فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذرُوني في الريح في البحر، فوالله لئن قدَر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما

---

2) رواه أحمد (2/507) والبخاري (4/211) ومسلم (7/44)

عذّبه به أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدِّي ما أخذتِ، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملكَ على ما صنعتَ؟ فقال: خشيتُك يا رب - أو قال: مخافتك - فغفر له بذلك)[1]

وهذا الحديث أكثر من الذي سبقه مناقضة لموازين العدالة الإلهية، فالرجل كما ورد في الحديث، أسرف على نفسه، أي أذنب الذنوب الكثيرة، ثم عندما مات كان يعتقد في عجز الله.. فمشكلته ليست فقط في السلوك، وإنما في الاعتقاد أيضا.

ومع ذلك كله عطل الحديث كل موازين العدالة الإلهية، وأخبر أنه غفر له من غير أن يحاسب على كل ذنوبه المتعدية والقاصرة.. بل من غير حاجة لأي شفعاء يشفعون له.

وهذا الحديث من أحاديث الإرجاء الكثيرة التي صورت بساطة الأمر في الآخرة، وأنه يكفي مجرد الخشية أو الإيمان من غير سلوك.. وهو ما أشاعته الفئة الباغية، ومن تبعها، ولهذا يستدلون بخواتم أولئك الذين ملأوا الأرض خرابا، وسفكوا الدماء، ليصوروا أن نهايتهم كانت طيبة، وأنه غفر لهم.

وفي مقابل ذلك نجد أبا هريرة نفسه يصور أن الله تعالى أدخل النار ناسا مارسوا الكثير من الأعمال الصالحة، مع عدم الإخلاص فيها من غير أن يزن أعمالهم.. ومن غير أن يعاملهم بمثل ما عامل به المسرف على نفسه، وكأن المسرف على نفسه كان مخلصا في إسرافه.

والحديث هو ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة، وأتى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، قال: فأول من يدعى رجل جمع القرآن، ورجل قاتل في سبيل الله سبحانه وتعالى، ورجل كثير المال، فيقول الله عز وجل للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمتك؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله عز وجل له: كذبت، وتقول

---

1) رواه أحمد (2/269، رقم 7635)، والبخارى (3/1283، رقم 3294)، ومسلم (4/2110، رقم 2756). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (2/1421، رقم 4255)

الملائكة: كذبت، ويقـول اللـه تعـالى: بـل أردت أن يقـال: فلان قارئ، فقـد قيـل ذلـك، ويـؤتى بصـاحب المـال، فيقـال لـه: ألم أوسع عليـك حـتى لم أدعـك تحتـاج إلى أحـد، قـال: بلى يـا رب قال: فما عملت فيما آتيتـك قـال: كنت أصـل الـرحم وأتصـدق، فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت، ويقـال: بل أردت أن يقال: فلان جـواد، فقـد قيـل ذاك، ويـؤتى بالرجـل الذي قتل في سبيل الله، فيقال له: فيما قتلت؟ فيقول: أمـرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت، حتى قتلت، فيقول اللـه عـز وجـل له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقـول لـه: بـل أردت أن يقال: فلان جريء، وقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: (يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلـق اللـه تسـعر بهم النار يوم القيامة)[1]

وهذا الحديث من الأحاديث التي اسـتخدمتها الفئـة الباغيـة لمحاربة السابقين الصادقين من المؤمنين لتصـور أنهم أول من تسعر بهم النار بدعوى أنهم لم يكونوا مخلصين في أعمالهم.

وهو لا يتناسب مع تلك النصـوص الكثـيرة الـتي رواهـا أبـو هريرة نفسه، والتي جعلت رحمة الله تتسع لكل شيء.. ولكنهـا تضـيق بمن مـارس كـل الأعمـال الصـالحة مـع تقصـيره في الإخلاص فيها.

ومن تلك الأحاديث ما رواه أبو هريـرة عن رسـول اللـه ﷺ أنه قال: (حضر ملك الموت عليه السـلام رجلا يمـوت فلم يجـد فيه خيرا، وشق عن قلبه فلم يجد فيه شـيئا، ثم فـك عن لحييـه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغفر الله له بكلمة الإخلاص)[2]

---

1) ابن المبارك (1/159، رقم 469)، والترمذى (4/591، رقم 2382) وقال: حسن غريب. والحاكم (1/579، رقم 1527) وقال: صـحيح الإسـناد. وابن جريـر فى تفسـيره (12/13). وأخرجـه أيضًـا: ابن خزيمـة (4/115، رقم 2482)، وابن حبـان (2/135، رقم 408)

2) رواه الديلمي (2/97)، والضياء في المختارة (10/98/1)

ومثله نجد هذا الحديث الذي يحطم كـل السـنن والقـوانين الضابطة لمغفرة الله وتوبته على عباده، فقـد ورد في الحـديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قـال: (إن عبدا أصاب ذنبا فقال يا رب أذنبت فاغفره فقـال ربـه أَعَلِمَ عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث مـا شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال رب أذنبت ذنبا آخر فاغفر لى قال أَعَلِمَ عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخـذ بـه قـد غفـرت لعبـدى فليعمل ما شاء)(3)

وهـو حـديث إرجـائي خطـير، ذلـك أنـه يرفـع القلم عمن استغفر الله مرتين.. ولا يصح أن يقال بأن ذلك خـاص بالرجـل، فموازين العدالة الإلهية تطبق على الجميع، وعلى حد سواء.

وهي مخالفة للواقع وللقرآن الكريم.. فما أكثر من يذنبون مئات المرات، ثم يستغفرون كل مرة، وقد يموتون بعدها، وهم مسـرفون على أنفسـهم.. فهـل نطبـق على هـؤلاء حـديث أبي هريرة في أنهم غفر لهم كل شيء؟

وهكذا ينص القرآن الكـريم على الشـروط الكثـيرة لقبـول التوبة والتي هونت منها أمثال هذه الروايات، فالله تعالى يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَـابَ وَآمَنَ وَعَمِـلَ صَـالِحًا ثُمَّ اهْتَـدَى﴾ [طـه: 82]، ويقـول: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَـابَ وَآمَنَ وَعَمِـلَ صَـالِحًا فَعَسَـى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: 67]

وهذه الآية وحدها كافية لبيان الفرق الكبير بين سـنن اللـه في المغفرة والتوبة كما يعرضها القرآن الكريم، وكمـا تعرضـها أحاديث أبي هريرة.

أبو هريرة.. وسنن التواكل:

من القيم الخطـيرة الـتي دخلت البيئـة الإسـلامية بأسـماء مختلفة، وكان لبعض أحاديث أبي هريـرة دورهـا فيهـا مـا يمكن

(3) رواه أحمد (2/405 رقم 9245)، والبخارى (6/2725، رقم 7068)، ومسـلم (4/2112، رقم 2758)، وابن حبـان (2/388، رقم 622). وأخرجـه أيضًـا: الـبيهقى (10/188، رقم 20553)

تسميته بالتواكل.. وهو مفهـوم خـاطئ للتوكـل، يسـتدعي تـرك العمل، وانتظار المدد الغيبي.

وقد رأينا في الفصل السابق بعض ما يسند هـذا النـوع من التواكـل من حيـاة أبي هريـرة، وفي الفـترة الـتي صـحب فيهـا رسول الله ﷺ حيث كـان يظـل في المسـجد، وينتظـر معونـات الناس.

وهـو تشـويه ليس لشخصـه فقـط، بسـبب تركـه العمـل والاكتفاء بالسؤال، وإنما لشخص رسول الله ﷺ نفسه بتصويره طول وقته في المسجد، ينتظر هو الآخر معونات الناس.

وهـذا غـير صـحيح، فرسـول اللـه ﷺ، وفي تلـك الفـترة الحرجة التي حضر فيهـا أبـو هريـرة إلى المدينـة كـان مشـغولا بدعوة كل الدول المحيطة به إلى الإسلام، وكان يـرتب كـل مـا يلـزم لفتح مكـة المكرمـة.. ثم حصـل الفتح.. ثم جـاءت بعـدها غزوة حنين وتبورك.. ثم كان الحج الأكبر.. وكلها كانت تستدعي سيرا لمسافات طويلة جدا.. ولست أدري كيف أغفل أبو هريرة كل ذلـك حين زعم أنـه كـان ملازمـا لرسـول اللـه ﷺ من أجـل بطنه، وأن ذلك كان في صفة المسجد.

وإليكم بعض تلك الأحاديث التي يقبلها السلفية، ويعتبرونها من مناقب أبي هريرة، ولا يعرفون الخفايـا الـتي تحملهـا، لأنهم يكتفون بالرواية من دون إعمال عقولهم بالدراية.

فمن تلـك الروايـات قولـه: أتت علي ثلاثـة أيـام لم أطعم، فجئت أريد الصفة، فجعلت سقط. فجعل الصبيان يقولـون: جن أبو هريرة. قال: فجعلت أناديهم وأقول: بل أنتم المجانين، حتى انتهينا إلى الصـفة. فـوافقت رسـول اللـه ﷺ أتي بقصـعتين من ثريد. فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها، فجعلت أتطـاول كي يدعوني، حتى قام القـوم وليس في القصـعة إلا شـيء في نواحي القصعة. فجمعه رسول الله ﷺ فصـارت لقمـة، فوضـعه على أصابعه فقال لي: (كل، بسم الله)، فوالذي نفسي بيده، ما

زلت آكل منها حتى شبعت[1].

ومنها قوله: (كنت امرأ مسكينا ألـزم رسـول اللـه ﷺ على ملء بطني)[2]

ومنها قوله: (إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة على رسول الله ﷺ واني كنت ألزمـه بشـبع بطـني حـتى لا أكـل الخمـير ولا ألبس ولا يخدمني فلان وفلانة وكنت ألصق بطني بالحصـباء من الجــوع، وكنت اســتقرئ الرجــل الآيــة هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخـير النـاس للمسـاكين جعفـر بن أبي طـالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته..) [3]

ومنها قوله ـ يصف حادثة من الحـوادث ــ: (واللـه إن كنت لأعتمـد بكبـدي على الأرض من الجـوع، وإن كنت لأشـد الحجـر على بطني من الجوع. ولقـد قعـدت يومـا على طـريقهم الـذي يخرجون منه، فمر أبو بكـر فسـألته عن آيـة من كتـاب اللـه مـا سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر أبو القاسـم ﷺ، فعـرف مـا في وجهي وما في نفسي، فقال: (أبا هريرة) قلت لـه: لبيـك يـا رسول الله، فقال: (الحق)، واسـتأذنت فـأذن لي؛ فوجـدت لبنـا في قدح. قال: (من أين لكم هذا اللبن؟) فقالوا: أهداه لنـا فلان - أو آل فلان -. قال: (أبا هر) قلت: لبيك يـا رسـول اللـه، قـال: (إنطلـق إلى أهـل الصـفة فـأدعهم لي). قـال: - وأهـل الصـفة أضياف الإسلام، لم يـأووا إلى أهـل ولا مـال، إذا جـاءت رسـول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منهـا، وإذا جاءتـه الصـدقة أرسل بهـا إليهم ولم يصـب منهـا -. قـال: وأحزنـني ذلـك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقـوى بـه بقيـة يـومي وليلـتي. وقلت: أنـا الرسـول، فـإذا جـاء القـوم كنت أنـا الـذي أعطيهم؛

---

1) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: حياة الصحابة (1/ 379)

2) رواه البخاري.

3) رواه البخاري.

وقلت: مـا يبقى لي من هـذا اللبن؟ ولم يكن من طاعـة اللـه وطاعة رسوله بد. فانطلقت فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا، فـأذن لهم، فأخـذوا مجالسـهم من الـبيت. ثم قـال: (أبـا هـر، خـذ فأعطهم) فأخذت القدح فجعلت أعطيهم، فيأخـذ الرجـل القـدح فيشـرب حـتى يـروى ثم يـرد القـدح، حـتى أتيت على آخـرهم، ودفعت إلى رسول الله ﷺ، فأخـذ القـدح فوضـعه في يـده بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إلي وتبسم وقال: (أبا هـر) قلت: لبيـك رسـول اللـه، قـال: (بقيت أنـا وأنت). فقلت؛ صـدقت يـا رسول الله، قال: (فاقعد فاشـرب) قـال: فقعـدت فشـربت، ثم قـال لي: (شـرب)، فشـربت؛ فمـا زال يقـول لي: (إشـرب)، فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له في مسلكا قال: (ناولني القدح)، فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة(1).

وغيرها من الأحاديث التي تصطدم ـ كما ذكرنا سبقا ــ مـع الكثير من النصوص المقدسـة الـتي تحث على العمـل، وخاصـة فيمن كان حالـه كحـال أبي هريـرة في شـبابه، وقوتـه، وقدرتـه على العمل.

وقـد روى هـو نفسـه قولـه ﷺ: (لأن يأخـذ أحـدكم أحبلا، فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكفّ اللّه بهـا وجهـه خـير من أن يسأل النّاس أعطي أم منع)(2)

بل كان أصحاب رسول الله ﷺ يبايعونه على عدم السؤال، فعن عوف بن مالـك الأشـجعي قـال: كنـا عنـد رسـول اللـه ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقـال: ألا تبـايعون رسـول اللـه، وكنـا حديث عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسـول اللـه، ثم قـال: ألا تبايعون رسول الله، فقلنا: قد بايعناك يا رسـول اللـه، ثم قـال: ألا تبايعون رسول الله، قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يـا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: على أن تعبدوا الله ولا تشـركوا به شـيئاً، والصـلوات الخمس، وتطيعـوا، وأسـر كلمـة خفيـة ولا

1) البخاري؛ والترمذي وقال: صحيح.

2) رواه البخاري.

تسألوا الناس شيئاً، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه(1).

ومن أحاديث أبي هريرة التي نشم منها رائحة الدعوة إلى التواكل تلك القصة الغريبة التي حدث بها عن رسول الله ﷺ، والتي قال فيها: (كر رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، وأتى بألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي جئت به، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثته في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا)(2)

وأول ما يتنافى معه هذا الحديث ما ورد في النصوص المقدسة من الاهتمام بالإشهاد، والدعوة إليه، وتوفير كل الضمانات التي ترتبط بحقوق الناس، بل إن أطول في القرآن

---

1) رواه مسلم

2) رواه البخاري تعليقا في (2/159 و3/124 و156 و164 و258 و8/72)، وقد وصله أحمد في المسند: 2 / 348 و349.

الكريم [آية الدين] تدعو إلى هذا، وتدعو إلى الكتابة والإشهاد، وبالصيغ المختلفة.

بينما هذا الحديث يتناقض معها في هذا، بل يدعو إلى الاكتفاء بشهادة الله وكفالته، وكأن الذي يشهد الناس لا يعلم بشهادة الله أو كفالته، أو لا يؤمن بذلك.. وهذا معنى مناقض للمراد القرآني.. بل هو مناقض أيضا للفطرة البشرية التي أبدعت الشهادة والكفالة ونحوهما لضمان الحفاظ على الحقوق.

وهو أيضا يتنافى مع ذلك السلوك الساذج الذي مارسه من حاول أبو هريرة أن يصوره بصورة الأمين، وهو رمي المال في البحر.. وهو سلوك محرم، وغير مجد.. فالمؤمن مطالب بأن يعمل في واقع الحياة وفق سنن الله، لا وفق هواه، ولا وفق الخوارق التي قد يفتح الله بها، وقد لا يفتح.

ولذلك كان الأجدى بذلك الأمين أن يستودعه عند من يرجو أن يسلمها لصاحبها إن عاد.. أو كان الأجدى به أن ينتظر عودته، وقد ورد في الحديث أنه عاد، أو أن يتصدق بها عنه في حال عدم عودته.

وهكذا فتحت هذه القصة الغريبة الباب واسعا نحو أمثال هذه السلوكات التي تدعو إلى التعامل مع الواقع الذي كلفنا التعامل معه وفق سنن الله، معاملة أخرى خارجة عن تلك السنن.

أبو هريرة.. ومكانة المرأة:

من أخطر القيم التي تعرضت لها أحاديث أبو هريرة، وكان لها دورها الكبير في تحريف الدين وتشويهه وتشويه العدالة الإلهية، أحاديثه المرتبطة بالمرأة، والمخالفة تماما لما ورد في القرآن الكريم عنها.

فهو في أحاديثه يشوه أولئك النسوة الذين ذكروا في القرآن الكريم كنماذج للعقل أو الدين ليصورهم بغير الصورة

التي صورها بهم الله تعالى.

ففي الحديث الذي يرفعه إلى رسول الله ﷺ يقول عن ملكة سبأ التي ورد الثناء على عقلها وحكمتها في القرآن الكريم: (كان أحد أبويها جنبا، يعني ملكة سبأ)[1]

وهذا الحديث وأمثاله هو الذي تعلق به ابن تيمية والسلفية في إمكانية حصول الزواج بين الإنس والجن، مع أن القرآن الكريم يذكر أن كلا العالمين مختلفين تماما عن بعضهما، وأنه لا يمكن التواصل بينهما في هذا الجانب.. وأن كل علاقة الجن بالإنس محصورة في الوسوسة.

ومن تلك الأحاديث تشويهه لمريم عليها السلام عن طريق هذا الحديث الذي لا معنى له، والذي يقول فيه: سئل رسول الله ﷺ عن الجراد فقال: (إن مريم سألت ربها تبارك وتعالى أن يطعمها لحما ليس فيه دم فأطعمها الجراد)[2]

وهذا تشويه لشخصية مريم عليها السلام التي قضت حياتها في عبادة الله، وفي أرقى درجات الرقي الروحي، وهو كذلك تشويه للكرام الإلهي الذي نص عليه قوله تعالى في حق مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37]

فهل يمكن أن يكون هذا الرزق العجيب الذي رآه زكريا عليه السلام، وانبهر له، جرادا؟

ومن تلك الأحاديث التي تعرضت للنماذج الطاهرة التي ذكرها القرآن الكريم حديثه عن حواء أم البشر جميعا، والتي وصفها بالخيانة، وأن كل خيانة تقوم بها امرأة في الدنيا لزوجها

---

1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (5/ 1654)

2) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (5/ 1795)

نتيجة لخيانتها.

ونص الحديث كما حدث به أبو هريـرة عن رسـول اللـه ﷺ أنه قال: (لولا بنو إسرائيل، لم يخبث الطعـام، ولم يخـنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر)(1)

وقد كان هذا الحديث بشقيه مثار سخرية كبيرة من لدن الكثير من الحداثيين وغيرهم، بل حتى المواقع المسيحية واللادينية جعلت منه مادة دسمة للتهكم من الإسلام والسخرية منه، وسنرى نماذج عن مواقفهم من شقه الأول في المبحث الأخير من هذا الكتاب.

أما شقه الثاني المرتبط بالمرأة، بل بحواء خصوصا، وخيانتها، وكون خيانتها سببا لخيانة النساء، فهو أعظم إساءة للمرأة ولحواء التي برأها القرآن الكريم من أن تكون سببا فيما حصل من الأكل من الشجرة، فالله تعالى قال في ذلك: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: 120، 121]

فقد أخبرت الآيتان الكريمتان على أن الوسوسة تمت لآدم، وأنه هو الذي عصى بالأكل من الشجرة، وأن حواء شاركته في ذلك.. ولم يذكر القرآن الكريم أي دور لحواء في إغراء آدم للأكل من الشجرة على خلاف ما نص عليه الكتاب المقدس، والذي تتلمذ عليه أبو هريرة أكثر من تلمذته على رسول الله ﷺ.

ففي الإصحاح الثالث (1-7) من سفر التكوين: (وكانت الحية أحيَلَ جميع حيوانات البرية. فقالت للمرأة أحقاً قال الله

---

1) رواه البخاري رقم (3152)، 3 / 1212، ورقم (3218)، 3 / 1245، ومسلم رقم (1470)، 2 / 1092، وأحمد رقم (8019)، 2 / 304، ورقم (8155)، 2 / 315، ورقم (8581)، 2 / 349، وابن حبان في صحيحه رقم (4169)، 9 / 477، وأبو عوانـة رقم (4502- 4503) 3 / 143، وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم رقم (3449)، 4 / 143.

لا تأكلا من كل شجر الجنة... فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رَجُلَها... فقال آدم للرب: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت... ثم ذكر أن اسمها حواء)

ومن الذين وقفوا بشدة في وجه ذلك الحديث والتحريفات التي يحملها الشيخ محمد الغزالي في كتابه [السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث]، والذي قال فيه: (ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة! والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه! ولكنكم دون مستوى القرآن الكريم، وتنقلون من المرويات ما يقف عقبة أمام سير الدعوة الإسلامية)

ومنهم الشيخ محمد سعيد حوى في مقالة له في جريدة الرأي الأردنية، تناول فيها هذا الحديث كنموذج للأحاديث الواردة في الصحيحين، التي تعارض القرآن؛ ومما جاء في بحثه قوله حول هذا الحديث: (إن التوراة المحرفة هي التي تقرر أن سبب وقوع آدم في المعصية، حواء. ولقد جاء النص هنا موافقاً للتوراة مع ما يتضمن النص المنسوب لرسول الله من: أ. تحميل حواء المسؤولية. ب. إنها هي سبب الغواية. ت. توريث الخطيئة لذريتها. وكل هذا مخالف للقرآن وموافق للتوراة؛ فالقرآن نجده إما يحمّل آدم المسؤولية ابتداء، أو يحملهما معاً، ونجد القرآن يبين أن سبب الغواية هو إبليس، وأن الوسوسة توجهت إلى آدم وزوجه سواء بسواء، كما يبين القرآن أن التوبة حدثت وتمت وانتهى الأمر..)

ثم عقب على ذلك بقوله متسائلا: (إن كل حقائق القرآن تأبى أن تحمل حواء مسؤولية الغواية أو الخيانة، أو إنها هي سبب الغواية، أو أن ذلك موَّرث لبناتها. ولنا أن نتساءل: لماذا لم يورث آدم الخيانة إلى أبنائه الذكور؟ ولماذا الإناث دون الذكور؟ تلك فكرة التوراة)

وقال آخر: (فهذا الحديث يثبت أن الخيانة في النساء هي شيء طبيعي، وذلك موروث غريزي من خلال الأم الأولى حواء.

والمفروض حسب الحديث أن لا تلام أية أنثى على فعل الخيانة، لأن ذلك هو من طبعها الذي جبلت عليه! والسؤال المطروح ما هي خيانة حواء؟ والجواب التقليدي هو أنها زيّنت لآدم وشجعته على الأكل من الشجرة التي نهى الله عن الأكل منها. فعلى افتراض صحة القصة أين فعل الخيانة في الموضوع؟ إذا تمّ الأكل من الشجرة لكليهما. وآدم عندما استجاب لها فذلك لهوى في نفسه، وقد انقاد للفعل بإرادته دون إجبار أو إكراه، فهو المسؤول الأول والأخير ولا علاقة لها بذلك أبداً)[1]

وقال آخر[2]: (وبراهين الكذب على رسول الله ﷺ في هذا الحديث تتبين في.. أولاً: إن حواء لم تكن خائنة لزوجها في يوم من الأيام، وإنما هي شريكة له في الطاعة الدائمة، وفي المعصية الوحيدة التي اقترفاها في الجنة. ولم تكن مسيطرة على آدم فحرضته على الأكل من الشجرة كما يقال، وإنما يعتبر آدم مسؤولاً قبلها وصاحب المسؤولية الأولى لقوله تعالى: (فعصى آدم ربه فغوى) ولم يقل فعصت حواء ربها فغوت. وإن كان هذا لا يعفيها لأنها شريكة فقط وليست خائنة كما يقول هذا الحديث، الذي لا يمكن أن يصدر عن النبي ﷺ بحال من الأحوال. وإنما كان آدم من اللحظة الأولى هو القوّام عليها كما هي سنة الله.. ثانياً: إن خيانة الزوجات لأزواجهن لم تكن من نوعٍ فعلته حواء مع آدم طوال حياتها. وإنما تكون الخيانة الزوجية في العقيدة أو العِرْض أو المال. وأهمها خيانة العقيدة كما وصف الله امرأة نوح وامرأة لوط في سورة التحريم. ورسول الله ﷺ أعلم الناس بتلك الحقيقة عن حواء أم المؤمنين والمؤمنات من الآدميين.. ثالثاً: عجيب أن ينسب إلى النبي ﷺ أنه وصف حواء بصفة الخائنة الأولى، الرائدة في خيانتها لكل الخائنات، وكأنما أعطاها صفة أحط وأدنى من صفة

---

1) انظر مقالا في الموضوع بعنوان: نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث [لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً] نشر: مجلة إسلامية المعرفة.

2) هو صالح أبو بكر في كتابه الأضواء القرآنية.

امرأة نوح وامرأة لوط، بل كأنه حمّلها وزر القيادة والأسوة السيئة لهاتين الخائنتين، وكل الخائنات من النساء، مع أن الله - تبارك وتعالى- لم يذكرها في كتابه مع الخائنات؛ لأنها لم ترتكب خيانة تذكر، ولهذا الاعتبار، فإن للعقلاء الحق أن يسألوا، ومن أين جاءته ﷺ تلك الحقيقة ما دامت لم تأته في القرآن الكريم؟ والحق أنها لم تأته ولم يقلها لأنه صاحب أعف لسان، وإنما هي الإسرائيليات أعداؤه وأعداء دينه، وعلينا أن نرفضها)

ومن الأحاديث التي أساء بها أبو هريرة للمرأة ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها)(1)

وفي رواية: (لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة، وإنما هي كالضلع، إن تقمها تكسرها، وإن تتركها تستمتع بها وفيها عوج)

وفي رواية: (المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج)

وهذا حديث خطير لا يرمي المرأة فقط بالنقص، بل يرمي خالقية الله وإبداعه في كونه، فهو يناقض قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، فالإنسان في الآية الكريمة يشمل الرجل والمرأة.

وهو يناقض قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 3، 4]، فليس في خلق الله عوج ولا تفاوت ولا فطور.

وهو يتناقض فوق ذلك مع قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

---

(1) رواه الحميدي (1168) وأحمد 2/449 (9794) والبخاري 5184 ومسلم 3637..

مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189]

وغيرها من الآيات الكريمة التي تجعل النساء شقائق الرجال، ولا فرق بينهم وبينهن في الإنسانية.

بل إن هذا الحديث هو الذي فتح القول بأن المرأة لم تخلق أصالة، وإنما خلقت لأجل الرجل.. وأن دورها فقط إسعاد الرجل، وخدمته.. وهي بذلك لا تختلف عن طعامه وشرابه ولباسه.. وكل ذلك مناقض لما ورد في القرآن الكريم من الحديث عن المرأة.

ومن أحاديثه عن المرأة، وتحقيره لها حكايته عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)(1)

وهذا حديث خطير، ولا يتناسب مع كرامة المرأة، ولا مع وظائفها التي أخبر عنها القرآن الكريم، والتي صورها رسول الله ﷺ بسلوكه أحسن تصوير.

وهو من الأحاديث التي تعلق بها من تصوروا أن المرأة مجرد نعمة من النعم التي وفرها الله للرجل، كما وفر له الطعام والشراب.

ومن أحاديثه عن المرأة، وتحقيره لها حكايته عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل) (2)

وقد ذكرنا سابقا موقف عائشة من هذا الحديث، وكيف

---

(1) ابن ماجة (1853)

(2) مسلم (1/365، رقم 511)

أنكـرت عليـه إنكـارا شـديدا، حيث ردت عليـه بقولهـا: (قـد شـبهتمونا بـالحمير والكلاب. واللـه لقـد رأيت رسـول اللـه ﷺ يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة، فتبـدو لي الحاجة، فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله ﷺ فأنسل من عنـد رجليه) (1)

وفي رواية قالت: (إن المرأة لدابة سـوء، لقـد رأيتـني بين يدي رسول الله ﷺ معترضة كاعتراض الجنازة وهو يصلي)

ومثل ذلـك ردت عليـه مـا رفعـه إلى النـبي ﷺ من قولـه: (إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار) بغضب شـديد، وصـفه الـراوي بقولـه: (فطـارت شـقة منهـا في السـماء، وشـقة في الأرض)، ثم قالت: (والـذي أنـزل القـرآن على أبي القاسـم مـا هكـذا كـان يقـول، ولكن نـبي اللـه ﷺ كـان يقـول: (كـان أهـل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابـة، ثم قـرأت عائشة: ﴿مَا أَصَـابَ مِنْ مُصِـيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِـكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِـيرٌ﴾ [الحديـد: 22]) (2)

هذه بعض النماذج عن روايات أبي هريرة التي تشكلت من خلالها مواقف السلفية من المرأة، وعلى أساسها انحرف الدين انحرافا شديد في جميع جوانبه ابتداء من عدالة اللـه تعـالى في خلقه.

---

(1) رواه أحمد 6/41، والبخاري 1/136 ومسلم 2/60.

(2) رواه أحمد: 6/150 وفي 6/240 وفي 6/246.

سابعا ـ أحاديث أبي هريرة.. والمغالطات العلمية

لا ترتبط أحاديث أبي هريرة بالحقائق الدينية فقط، بل إنها تضم إليها بعض الحقائق العلمية المرتبطة بالكون والحياة ونحوهما، والسلفية بناء على قولهم بعصمة الراوي، والتي يحتالون عليها بلقب [العدالة]، وبناء على قولهم بعصمة الرواية، والتي يحتالون عليها بـ [الصحة والحسن]، راحوا يقبلون كل ما ذكره من روايات ترتبط بالحقائق الكونية، حتى لو كشف العلم كونها مغالطات وأكاذيب وخرافات.

وسأذكر هنا باختصار بعض النماذج عن ذلك، ومدى حرص السلفيين عليها، حتى لو أثبت العلم خلافها.

أبو هريرة.. وعلم الفلك:

من الروايات التي يستند إليها السلفية في معارفهم الفلكية هذه الرواية التي رووها عن أبي هريرة، والتي يقول فيها: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه، إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله ﷺ: أتدرون ما هذه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه العنان، هذه روايا الأرض، يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه، ولا يدعونه، ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها الرقيع: سقف محفوظ، وموج مكفوف، ثم قال: هل تدرون ما بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بينكم وبينها خمسمائة عام، ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن فوق ذلك سماءين، بعد ما بينهما خمسمائة سنة، ثم قال كذلك، حتى عد سبع سموات، ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض، ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن فوق ذلك العرش، وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين، ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها الأرض، ثم قال: هل تدرون ما تحت ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن تحتها أرضا أخرى، بينهما مسيرة خمسمائة سنة، حتى عد سبع أرضين، بين كل

أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبط على الله، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3])(1)

وهذه الرواية قريبة من رواية أخرى رووها عن كعب الأحبار، وقد تلقوها بالقبول كذلك، مثلما تلقوا رواية أبي هريرة، فقد قال جوابا لمن سأله: أين ربنا؟ ـ:(سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكئ، واضع إحدى رجليه على الأخرى، ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، حتى تمّ سبع أرضين، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، والله على العرم متكئ، ثم تفطر السموات.. ثم قال: إقرؤوا إن شئتم: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: 5])(2)

وبعض السلفية الذين ينتقدون رواية أبي هريرة، لا ينتقدونها لأجل ما ذكر فيها من معارف تتعلق بالكون، لأنهم يؤمنون بكل ذلك من خلال روايات أخرى تؤيدها، وإنما ينكرون منها هذا المقطع: (لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبط على الله) لا لدلالته على التجسيم، وإنما لمنافاته للعلو الذي اعتبروه أصل أصول العقائد.

ولهذا حاولوا أن يبرروا ذلك المقطع من الحديث بكل ما أوتوا من صنوف الحيلة لتوجيهه لينسجم مع العلو، ولعل آخرها ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين عند ذكره للحديث، فقد قال: (هذا الحديث اختلف العلماء في تصحيحه، والذين قالوا: إنه صحيح يقولون: إن معنى الحديث لو أدليتم بحبل لوقع على الله عز وجل لأن الله تعالى محيط بكل شيء، فكل شيء هو في قبضة الله سبحانه وتعالى وكل شيء فإنه لا يغيب عن

1) رواه أحمد (2/370)، والترمذي (3298)

2) تفسير الطبري (21/ 501).

الله تعالى، حتى إن السماوات السبع والأرضين السبع في كـف الرحمن عز وجل كخردلة في يد أحدنا.. ولا يمكن بأي حـال من الأحـوال أن يكـون دالا على أن اللـه سـبحانه وتعـالى في كـل مكان، أو على أن الله تعالى في أسفل الأرض السابعة فإن هذا ممتنع شرعا، وعقلا، وفطرة، لأن علو الله سـبحانه وتعـالى قـد دل عليـه كتـاب اللـه، وسـنة رسـوله ﷺ والإجمـاع، والعقـل، والفطرة)(1)

وقبله قال ابن تيمية: (قوله: (لو أدلي أحـدكم بحبـل لهبـط على الله) إنما هو تقدير مفروض ؛ أي لو وقع الإدلاء لوقع عليـه لكنه لا يمكن أن يدلي أحـد على اللـه شـيئا ؛ لأنـه عـال بالـذات وإذا أهبط شيء إلى جهـة الأرض وقـف في المركـز ولم يصـعد إلى الجهة الأخرى لكن بتقدير فـرض الإدلاء يكـون مـا ذكـر من الجزاء. فهكذا ما ذكـره السـائل: إذا قـدر أن العبـد يقصـده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه وكان متوجها إليه بقلبـه لكن هذا مما تمنع منه الفطرة ؛ لأن قصد الشيء القصـد التـام ينافي قصد ضده ؛ فكما أن الجهـة العليـا بالـذات تنـافي الجهـة السفلى فكذلك قصـد الأعلى بالـذات ينـافي قصـده من أسـفل وكمـا أن مـا يهبـط إلى جـوف الأرض يمتنـع صـعوده إلى تلـك الناحية - لأنها عالية - فترد الهابط بعلوهـا كمـا أن الجهـة العليـا من عندنا تـرد مـا يصـعد إليهـا من الثقيـل فلا يصـعد الثقيـل إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط فكـذلك مـا يهبـط من أعلى الأرض إلى أسفلها - وهو المركز - لا يصعد من هنـاك إلى ذلـك الوجـه إلا برافـع يرفعـه يـدافع بـه مـا في قوتـه من الهبوط إلى المركز)(2)

إلى آخـر كلامـه، وهـو يـدل على الصـورة المشـوهة الـتي يحملونها على الكون وعن موقـع الأرض فيـه، والـتي عـبر عنهـا ابن تيمية بقولـه: (ومن علم أن الأفلاك مسـتديرة وأن المحيـط

(1) مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين (1/ 89).

(2) الرسالة العرشية (ص: 27)

الذي هو السقف هو أعلى عليين وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه ـ وهو قعر الأرض ـ هو سجين واسفل سافلين علم من مقابلة الله بين أعلى عليين وبين سجين)[1]

فالأرض وفق هذه الرؤية هي المركز.. وفوقها السموات السبع، وفوقها العرش، وفوقها الله سبحانه وتعالى..

وقد قال التويجري شارحا التصور الفلكي للكون وفق الرؤية السلفية: (وقد جعل الله تبارك وتعالى الأرض مركزا ومستقرا للأثقال من جميع جهاتها. فلو سقط من السماء شيء ثقيل من أي جهة كانت لما استقر إلا في الأرض. وكذلك ما يسقط من الأثقال مما بين السماء والأرض فمقره الأرض. وقانون الجاذبية للأثقال ينتهي إلى المركز في جوف الأرض وهو وسط الأرض السابعة السفلى)[2]

ثم نقل عن ابن كثير قوله ـ بعد أن ساق عدة أحاديث في إثبات سبع أرضين ـ: (فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها وفي وسطها المركز وهي نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الأثقال إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع) [3]

ونقل عن ابن تيمية قوله: (إذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى)[4]، وقوله: (ما يهبط من أعلى الأرض إلى أسفلها وهو المركز لا يصعد من

---

1) مجموع الفتاوى [25/ 196ـ 197].

2) الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

3) الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

4) الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

هناك إلى ذلك الوجه إلا برافع يرفعه يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز) [1]، وقوله: (أهل الهيئة يقولون لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز حتى لو ألقي من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعا في المركز ولو قدر أن إنسانين التقيا في المركز بدل الحجرين لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت صاحبه بل كلاهما فوق المركز) [2]

ولهذا تجد المدرسة السلفية تشتد على من يخالف هذه الرؤية، بل تقول بتكفيره.

يقول التويجري بعد نقله النقول الكثيرة عن ابن تيمية وغيره: (ولما ظهر أهل الهيئة الجديدة في آخر القرن العاشر من الهجرة وما بعده وهم كوبرنيك البولوني وهرشل الإنكليزي وأتباعهما من فلاسفة الإفرنج أصحاب الرصد والزيج الجديد أظهروا خلاف ما كان عليه المسلمون فقالوا إن الشمس ساكنة لا تتحرك أصلا وإنها مركز العالم وأن الأرض والنجوم تدور عليها وقد قلدهم في ذلك كثير من ضعفاء البصيرة من العصريين فخالفوا ما كان عليه جماعة المسلمين منذ زمن النبي ﷺ إلى زماننا، وهؤلاء ينبغي أن يوضح لهم الحق الذي جاء به القرآن والسنة فمن أصر منهم بعد ذلك على المخالفة فهو كافر حلال الدم والمال لأنه قد عاند الحق على بصيرة وأصر على تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله ﷺ)[3]

وهم لم يكتفوا باستنباط هذه الحقائق الفلكية من الحديث، بل ضموا إليها حقائق أخرى ترتبط بالأبعاد بين الأفلاك المختلفة، والتي ورد في حديث أبي هريرة أنها خمسمائة سنة،

---

1) الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

2) الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 59).

3) الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة (ص: 98).

من غير تحديد هل هي بمسير الأقـدام، أم الإبـل، أم الخيـل، أم غيرها من وحدات القياس.

ومع أن هناك روايات أخرى ترتبط بتلك الأبعاد تختلـف مـع هذه الرواية، إلا أنهم استطاعوا بـذكائهم الحـاد أن يوفقـوا بينهـا جميعا، وأن يحسبوا بدقة المسافة التي تبعد بها الأرض عن كـل سماء من السموات السبع، بل حسبوا المسـافة الـتي تبعـد بهـا الأرض عن العرش نفسه.

فقد قال ابن القيم في حل ذلك الإشكال الذي يعـرض من ناحيـة الاختلاف في الحسـاب بين الروايـات: (..فـإن المسـافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها، فسير البريـد مثلاً يقطـع بقـدر سـير ركـاب الإبـل سـبع مـرات، وهـذا معلـوم بالواقع فما تسيره الإبل سيراً قاصداً في عشـرين يومـاً يقطعـه البريد في ثلاثة، فحيث قـدر النـبي ﷺ بالسـبعين أراد بـه السـير السريع سير البريد، وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السير الذي يعرفونه سير الإبل والركاب، فكل منهمـا يصـدق الآخـر ويشـهد بصحته)[1]

وبناء على هذا فإن وحدة الحساب التي اعتمدها أبو هريرة في حديثه هي سير الإبل والركاب، كما ذكــر ابن القيم.. ويمكن للرياضيين أن يعتمدوا ذلـك، ليصـلوا إلى التحديـد الـدقيق وفـق الوحدات التي نستعملها في عصـرنا الحاضـر، وخاصـة في علم الفلـك الـذي اسـتغنى عن مسـيرة الإنسـان ومسـيرة الراحلـة بمسيرة الضوء..

وحتى نرى الفوارق بين حساب حديث أبي هريرة للمسافة بين السموات والحسابات الفلكيـة الحديثـة نسـتعرض بعض مـا قاله علماء الفلك الحديث في ذلك.

فقد ذكروا أن المسافة بيننا وبين جارنا القريب القمر تبعـد 384 ألف كم، ويحتاج الضوء إلى ثانية وثلث الثانية فقط ليقطع كل هذه المسافة من القمر إلى الأرض.

---

1) حاشية ابن القيم13/8.

أمّا الشمس التي تبعد عنا حوالي 150 مليـون كم تقريبـاً، فإنّ الضوء يحتاج إلى 8.3 دقيقة ليصل منها إلى الأرض.

أمّــا أقــرب النجــوم إلينــا بعــد الشــمس وهي نجمــة ألفــا قنطورس فإنّها تبعـد عنـا 4.22 سـنة ضـوئية، وحيث إنّ السـنة الضوئية (المسافة التي يقطعها الضوء في سنة) تســاوي 9.46 مليوم مليون كم. فهذا يعني أن أقرب النجوم إلينا بعد الشمس تبعد عنا نحو 40 مليون مليون كم.

أمّا النجم القطبي الذي لطالما اسـتخدمه النـاس للإهتـداء عن الجهـات، فإنّـه يبعـد عنـا 433 سـنة ضـوئية، أي أنّ الضـوء يحتاج إلى 433 سنة حتى يصل إلينا منه، وهـذا يسـاوي نحــو 4 آلاف مليوم مليون كم.

أمّا أقرب مجرة إلينا وهي المرأة المسلسـلة والـتي يمكن رؤيتها بالعين المجردة من مكان مظلم كبقعة غبشــاء بحجم أي نجمة أخرى تقريباً فإنّها تبعـد عنـا 2.5 مليـون سـنة ضـوئية، أي نحو 24 مليون مليون كم..

أما أبعد جرم سماوي يمكن رؤيتـه بـالعين المجـردة ــ في الوقت الذي أكتب فيه هذه الكلمات ـ فهي مجرة المثلث فإنهــا تبعد عنا 3 ملايين سنة ضوئية، وما زال في كوننا ما هو أبعد من ذلك بكثير.

وحتى ندرك جيدا مدى ضحالة العقل التي يتقبل مثـل تلـك الرواية وأخواتها نذكر نموذجـا مصـغرا ذكـره الفلكيـون لنظامنـا الشمسي وجيرانه في حديقة مـا، فـإذا كـان حجم الأرض بحجم كـرة السـلة، فـإنّ القمـر سـيكون بحجم كـرة التنس الأرضـي تقريبــاً، وسنضــع القمــر (كــرة التنس) على بعــد 7.4 مــتر من الأرض (كرة السلة). أمّـا الشـمس فسـيكون قطرهـا 26 مـتراً (حجم منزل) وستقع على بعد 2.8 كم من الأرض (كرة السلة). أمّا نجم ألفا قنطورس (أقرب النجوم إلينا) فإنّه سيقع على بعد 177 ألف كم من الأرض (كرة السلة). أما مجرتنـا درب التبانـة وهي الحديقـة الـتي سنضـع فيهـا نظامنـا الشمسـي فسـيكون

طولها 17.6 مليون مليون كم.

ولست أدري أين نضع الأرقام الهزيلة التي وضعها حديث أبي هريرة.. والتي تجعل الكون جميعا بعرشه وبفرشه لا يتجاوز المجموعة الشمسية في أحسن الأحوال.

أبو هريرة.. والجغرافيا:

من العلوم التي اهتمت بها أحاديث أبي هريرة، وكان لها إبداعاتها فيها، والتي تحتاج إلى المزيد من التحقيق والنظر بعض المعلومات الجغرافية المهمة التي لم يكتشفها العالم بعد.

ومنها ما رووه عنه يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (كلم الله عز وجل البحر الشامي فقال: يا بحر، ألم أخلقك فأحسنت خلقك، وأكثرت فيك من الماء؟ قال: بلى يا رب. قال: كيف تصنع إذا حملت عليك عبادا لي يسبحوني، ويحمدوني، ويهللوني، ويكبروني؟ قال: أغرقهم. قال: فإني جاعل بأسك في نواحيك، وجاعلهم على يدي. قال: ثم كلم البحر الهندي فقال: يا بحر، ألم أخلقك، وأحسنت خلقك، وأكثرت فيك من الماء؟ قال: بلى يا رب. قال: فكيف تصنع إذا حملت عليك عبادا لي يسبحوني ويحمدوني، ويهللوني، ويكبروني؟ قال: أسبحك معهم، وأحمدك معهم، وأهللك معهم، وأكبرك معهم، وأحملهم بين ظهري، وبطني. قال: فآتاه الله عز وجل الحلي والصيد والطيب)[1]

وهذا الحديث بالإضافة إلى ما فيه من تجسيم، حيث ذكر أن الله تعالى خص ركاب البحر الشامي بأن يحملهم في يده.. وبالإضافة إلى ما فيه من نواح علمية جغرافية نتركها للمختصين في علوم البحار.. فإن فيه نواح عقدية لا تتناسب مع ما ورد في النصوص المقدسة القطعية من طاعة كل شيء لله، وائتماره بأوامره.

---

1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1412)

فلا البحر ولا الريح ولا أي شيء آخر يملك من أمر نفسه شيئا، بل هو مسير بيد الله يحركه كيف يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (لأعراف:57)

وبمثل ذلك جاء تعبير (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) بدل تعبير (فشربتم) في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر:22)

وبمثل ذلك جاء تعبير (فَأَحْيَيْنَا) بدل (حيت) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر:9)

وهكذا قال ﷺ حاكيا عن ربه تعالى: (قال الله تعالى ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكوكب وبالكوكب)[1]

وهذا الحديث يصطدم تماما مع حديث أبي هريرة الذي يصور أن البحر هو الذي اختار السلوك الذي يقوم به مع من يركب عليه..

ومن تلك الأحاديث الجغرافية التي رواها أبو هريرة هذا الحديث الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، والذي ندعو المختصين من العلماء ليبحثوا عن هذه الأرض الغريبة التي ذكرها أبو هريرة، بل ادعى أن رسول الله ﷺ هو الذي أخبره عنها.

ففي الحديث عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إن لله تعالى أرضا من وراء أرضكم هذه، بيضاء نورها، وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوما). قالوا: كان رسول الله ﷺ يعني مثل الدنيا أربعين مرة، فيها عباد لله تعالى، لم يعصوه طرفة عين. قالوا: يا رسول الله، أمن الملائكة هم؟ قال: (ما يعلمون أن الله خلق الملائكة). قالوا: يا رسول الله، أفمن ولد آدم هم؟

---

1) رواه أحمد ومسلم والنسائي.

قال: (ما يعلمون أن الله عز وجل خلق آدم). قالوا: يا رسول الله، أفمن ولد إبليس هم؟ قال: (ما يعلمون أن الله عز وجل خلق إبليس). قالوا: يا رسول الله، فمن هم؟ قال: (هم قوم يقال لهم الروحانيون، خلقهم الله عز وجل من ضوء نوره)(1)

ومن تلك الأحاديث ما أخبر به عن أنهار الجنة الموجودة على الأرض، ومنها قوله: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يمج لوجدتم فيه من ورقها)(2)

ومنها روايته عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)(3)

ولست أدري ما هي وجوه الاختلاف بين أنهار الأرض جميعا، وبين هذه الأنهار، ولم خصت هذه الأنهار وحدها بكونها من أنهار الجنة، مع العلم أن هناك أنهار أطيب وأعذب وأكثر ماء.. ومع العلم أن الله تعالى في القرآن الكريم ذكر البحار والأنهار، ولم يخص أحدا منها بشيء.. وهذا هو الفرق بين الطرح القرآني المقدس، والذي يتناسب مع كل البيئات، وبين الطرح البشري المدنس، والذي يفاضل بين بقاع الأرض، بل حتى بين أنهارها وبحارها.

وعندما نبحث عن مصدر هذا الحديث في الكتاب المقدس، نجده بسهولة في [سفر التكوين: الإصحاح الثاني، الفقرات 7-14]، ففيها: (وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس - اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب - وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع - واسم النهر الثاني

---

1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1440)

2) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1420)

3) رواه مسلم (4/2183، رقم 2839)

جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كـوش - واسـم النهـر الثـالث حداقل وهو الجاري شرقي أشور، والنهر الرابع الفرات)

وهو يتناسب تماما مـع التصـورات اليهوديـة للجنـة، والـتي تحصرها في عالم الدنيا، فامتلاك الدنيا عنـدهم والتسـلط عليهـا وعلى أهلها هي الجنة.

أبو هريرة.. وعالم الجراثيم:

من الأحـاديث الـتي اهتم بهـا السـلفية كثـيرا، وألفـوا فيهـا الرسائل والكتب، وتعاملوا بقسوة مع كل من تعرض لها بالنقـد ما يسمونه حديث الذباب المروي عن أبي هريرة، والذي يروونه في محـال كثـيرة منهـا المحـال المتعلقـة بـالطب، كمـا فعـل البخاري.

ولم يكتفوا لأجل إثباته بما تعودوا عليه من الرواية والدراية المرتبطة بالحديث، بل راحوا ـ وللعجب، ولعله لأول مرة ـــ إلى ما يقوله علماء الجراثيم، معتبرين أن في الحـديث سـبقا علميـا كبيرا، ولهذا لا نجد مقالا أو كتابا يتعرض لهـذا الحـديث إلا ومعـه صور علمية حول الذبابة وجناحيها.

ولست أدري كيف تخلوا عن مواقفهم السلبية من الإعجـاز العلمي، ومـع القضـايا العلميـة القطعيـة الـتي لا شـك فيهـا من أمثال مراحل الجنين ونحوه.. وراحوا يقفون موقفا إيجابيـا، لكن تخونه الدقة العلمية.

وقبل أن نناقش ما أوردوه حول الحـديث نـذكر نصـه، مـع بعض رواياته، وهو مـا رواه أبـو هريـرة عن رسـول اللـه ﷺ أنـه قال: (إذا وقع الـذبابُ فى شـرابِ أحـدِكم فَلْيَغْمِسْـهُ ثم لِيَنْزِعْـهُ فإنَّ فى أحدِ جناحيه داءً وفى الآخرِ شفاءً)[1]

---

1) رواه البخاري في – كتاب بدء الخلق - باب إذا وقـع الـذباب في شـراب أحـدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخـرى شـفاء- 3/1206 رقم (3142)، وفي - كتـاب الطب - بـاب إذا وقـع الـذباب في الإنـاء 5/2180 رقم (5445)، وأبـو داود في – كتاب الأطعمة - باب في الذباب يقـع في الطعـام 3/365 رقم (3844)، والنسـائي في - كتاب الفـرع والعتـيرة – بـاب الـذباب يقـع في الإنـاء-7/178 رقم (4262)، وفي السـنن

وفي رواية أخرى أكثر تفصيلا: (إذا وقع الذبابُ فى إناءِ أحدِكم فليغمِسْه فإنَّ فى أحدِ جناحيه داءً وفى الآخرِ شفاءً وإنه يتقى بجناحِهِ الذى فيه الداءُ فليغمِسْه كلَّه ثم ليَنْزِعْه)(1)

وفي رواية أخرى: (إذا وقع الذبابُ فى إناءِ أحدِكم فَلْيَمْقُلْهُ فيه فإنَّ فى أحدِ جناحيه سُمًّا وفى الآخرِ شفاءً وإنه يقدمُ السمَّ ويؤخرُ الشفاءَ)(2)

وقد وقف الكثير من المتنورين من هذا الحديث موقفا سلبيا متشددا، لخطورة انتشار مثل هذه التعاليم على النواحي الصحية أولا.. وخطورته على تشويه الإسلام، وتصويره كدين يشجع على الأوساخ والقاذورات، بل ينصح بالتداوي بها.

وللأسف فإن هؤلاء الذين قبلوا هذا الحديث ودافعوا عنه هم الذين قبلوا حديث التداوي بأبوال الإبل، بل حولوا منها أدوية يبيعونها للناس من غير أن تمر على المحال الطبية المحترمة لترى مدى جدوى ذلك.

وقد ذكر الشيخ محمد الغزالي بأسف تلك الشدة التي قابل بها السلفيون دعاة التنوير بسبب إنكارهم للحديث، بل

الكبرى- كتاب الفرع والعتيرة – باب الذباب يقع في الإناء- 3/88 رقم (4588)، وابن ماجه في – كتاب الأطعمة - باب يقع الذباب في الإناء - 2/1159 رقم (3505)، والدارمي في – كتاب الأطعمة – باب الذباب يقع في الإناء - 2/135 رقم (2039)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده 2/229 برقم (7141)، وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الوضوء - باب ذكر الدليل على أن سقوط الذباب في الماء لا ينجسه وفيه ما دل على أنه لا نجاسة في الأحياء - 1/ـ 56 برقم (105)، وابن حبان في صحيحه - كتاب الطهارة - باب المياه ذكر ما يعمل المرء عند وقوع ما لا نفس له تسيل في مائه أو مرقته - 4/ـ 53 رقم (1246)، وفى كتاب الأطعمة - باب آداب الأكل ذكر الأمر بغمس الذباب في المرقة إذا وقع فيها ثم الإخراج والانتفاع بتلك المرقة - 12/ـ 55 رقم (5250)، كلهم عن أبي هريرة.

1) رواه أحمد (2/229، رقم 7141)، وأبو داود (3/365، رقم 3844)، وابن حبان (4/53، رقم 1246)

2) رواه أحمد (3/24، رقم 11205)، وعبد بن حميد (ص 279، رقم 884)، والنسائى (7/178، رقم 4262)، وأبو يعلى (2/273، رقم 986). وأخرجه أيضًا: الطيالسى (ص 291، رقم 2188)

تكفيرهم لمنكره، فقال: (لا نريد أن ننتقل إلى مباحث فقهية مفصلة، وإنما نريد أن نقول: هب أن رجلاً قال: لا أستطيع قبول رواية (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء)، أيكون من الكافرين؟ كلا!! فلم يقل أحد أن أركان الإسلام تضم الإيمان بالله واليوم الآخر وغمس الذباب في الشراب إذا سقط فيه.. وحديث الآحاد ليس مصدر عقيدة شرعية أو حكم قاطع، بيد أني من باب استكمال البحث العلمي فقط أسأل: هل الحديث مردود؟ إن بعض علماء الحشرات قرر أن هذه الحشرة تفرز الشىء والشىء المضاد له، فإن استقر هذا الرأى الفني فالحديث صحيح، وإن ثبت قطعاً أن الذباب مؤذ فى جميع الأحوال التى تعرض له ومن بينها الحالة المروية في الحديث رددته دون غضاضة، وليس بقادح هذا في ديني ولا يقيني، وقد روى البخاري أحاديث صحيحة السند لكن أئمة الفقه عملوا بغيرها لأدلة أقوى عندهم منها)(1)

ومن أوائل المتنورين الذي ردوا على الحديث محمد توفيق صدقي في بعض محاضراته العلمية التي نشرتها مجلة المنار، والتي هدفت من خلالها إلى التوعية الصحية للمسلمين الذي كانت تفتك بهم في ذلك الحين الكثير من الأوبئة الخطيرة، بسبب نقص الوعي الصحي.

فقد ذكر عند حديثه عن القاذورات والنجاسات وخطورتها الصحية وحرمتها الشرعية حديث الذباب، وعلق عليه بقوله: (هذا الحديث مشكل؛ إن كان سنده صحيحًا، فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها كحديث (خلق الله التربة يوم السبت) مثلاً وغيره مما ذكره المحققون، وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم، فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلاً قاطعًا على أن النبي ﷺ قاله بلفظه مع منافاته للعلم، وعدم إمكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن

---

1) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص 102-103.

النبي ﷺ سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال: (إن كان جامدًا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي، وإن كان ذائبًا فأريقوه، أو لا تقربوه)، فالـذي يقـول ذلـك لا يـبيح أكـل الشـيء إذا وقـع فيـه الـذباب؛ فـإن ضـرر كـل من الـذباب والفـئران عظيم، على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريـرة، وفي حديثـه وتحديثـه مقـال بين الصحابة أنفسهم خصوصًا فيما انفرد به، كما يعلم ذلــك من سيرته، وغاية ما تقتضيه صحة السند في أحـاديث الآحـاد الظن، فلا قطـع بـأن هـذا الحـديث من كلام النـبي ﷺ، وكـانوا يـروون الحديث بالمعنى، فيجوز أن يكون لفظ الـراوي لم يـؤد المعـني المراد)[1]

لكنه للأسف عقب على هذا تعقيبا خطـيرا يريـد أن يرضـي به من يعظمون الرواة على حساب رسـول اللـه ﷺ، فقـد قـال بعد كلامه السابق: (وهب أن الرسول ﷺ قال ذلك حقيقــة فمن المعلــوم أن المســلم لا يجب عليــه الأخــذ بكلام الأنبيــاء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع، بل الواجب عليه أن يمحصها، ويعرضها على العلم والتجربة؛ فإن اتضـح لـه صحتها أخذ بها والأعلم أنها ممـا قالـه الأنبيـاء - عليهم السـلام - بحسب رأيهم، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك وقـد حقـق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه) [2]

وهذا كله ناتج من تأثير المحـدثين وتعظيمهم للصـحابة إلى الدرجة التي يجوزون فيها الخطأ على رسول الله ﷺ في سـبيل أن يبقى جنابهم محميا لا يتعرض لأي نقد أو تخطئة أو طعن.

وقد حـاول الشـيخ محمـد رشـيد رضـا باعتبـاره محـدثا أن يدافع عن أبي هريرة لا عن حديثه بسبب الضجة التي أثارها هذا الحديث في ذلك الوقت، فقـال: (أقـول: إن أبـا هريـرة (رضـي اللـه عنـه) كـان من أحفـظ الصـحابة، وهـو صـادق في تحديثـه. ولكن إسلامه كان في سـنة سـبع من الهجـرة، فصـحب رسـول

1) مجلة المنار (18/ 433)

2) مجلة المنار (18/ 433)

الله ﷺ ثلاث سنين ونيفًا، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي ﷺ وإنما سمعها من الصحابة والتابعين، فإن كان جميع الصحابة عدولاً في الرواية كما يقول جمهور المحدثين، فالتابعون ليسوا كذلك، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحبار، وأكثر أحاديثه عنعنة)(1)

هذا موقف المتنورين المتأخرين، أما موقف السلفية، فقد انتصروا للحديث انتصارا شديدا، بل راح متقدموهم ومتأخروهم يعتبرونه إعجازا علميا باهرا، وبناء عليه أخذوا يتحدثون في العلوم المختلفة، ويطوعونها رغم أنفها لتستسلم لمقتضياته.

فقد قال ابن قيم الجوزية تعليقا على الحديث: (واعلم أن فى الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم، والحكمة العارضة عن لسعة، وهى بمنزلة السلاح، فإذا أسقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله فى الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به، بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوة البشرية(2).

بل إنه راح يعمل القياس في الحديث ليشمل كل الحشرات المشابهة للذباب، فقال: (هذا الحديث فيه أمران: أمر فقهي، وأمر طبي فأما الفقهي فهو دليل ظاهر الدلالة جدا على أن الذباب إذا مات في ماء أو مائع فإنه لا ينجسه، وهذا قول جمهور العلماء، ولا يعرف في السلف مخالف في ذلك ووجه الاستدلال به أن النبي ﷺ أمر بمقله، وهو غمسه في الطعام، ومعلوم أنه يموت من ذلك ولا سيما إذا كان الطعام

1) مجلة المنار (29/ 37)

2) زاد المعاد 4/112.

حارا فلو كان ينجسه لكان أمرا بإفساد الطعام وهو ﷺ إنما أمر بإصلاحه، ثم عدا هذا الحكم إلى كل مالا نفس له سائل كالنحلة والزنبور والعنكبوت وأشباه ذلك إذ الحكم يعم بعموم علته وينتفي لانتفاء سببه فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته وكان ذلك مفقودا فيما لا دم له سائل انتفى الحكم بالتنجيس لانتفاء علته)[1]

وقال آخر: (فيه من الفقه: أن أجسام الحيوان طاهرة، إلا ما دلت عليه السنة من الكلب وما لحق به فى معناه، وفيه دليل:على أن ما لا نفس له سائلة إذا مات فى الماء القليل لم ينجسه، وذلك أن غمس الذباب فى الإناء قد يأتى عليه، فلو كان نجسه إذا مات فيه، لم يأمر بذلك، لما فيه من تنجس الطعام، وتضييع المال)[2]

وبهذه الاستنباطات العجيبة لم يبق الأمر محصورا في الذباب، بل شمل كل الحشرات، كالزنبور والعنكبوت وغيرهما كما يذكر ابن القيم.

وكما وقف المتأخرون من المتنورين بشدة بسبب الحديث، فكذلك فعل المتقدمون، وقد قال ابن حجر في هذا:: (وقال الخطابى: تكلم على هذا الحديث من لا خلاق له فقال كيف يجتمع الشفاء والداء فى جناحى الذباب؟ وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الداء، ويؤخر جناح الشفاء، وما ألجأه إلى ذلك؟ قلت: وهذا سؤال جاهل، أو متجاهل، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة، وقد ألف الله بينها وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان.. وقال ابن الجوزى: ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب، فإن النحلة تعسل من أعلاها، وتلقى السم من أسفلها، والحية القاتل سمها تدخل لحومها فى الترياق الذى يعالج به السم، والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء

1) الطب النبوي 1/ 88، وزاد المعاد 4/111.

2) معالم السنن5/340-341،وانظر:زاد المعاد4/111-112،وشرح السنة للبغوى11/260.

البصر)(1)

وهكذا حشر الفقهاء والمحدثون أنفسهم في هذه العلوم الخطيرة التي تتوقف عليها حياة الناس، بل أتاحوا لهم أن يجتهدوا ويقيسوا ويستحسنوا كما يشاءون من غير الرجوع إلى المختصين من العلماء.

وخير من هذا الموقف الذي وقفه هؤلاء ما ذكره بعضهم بإيمان عجيب، وكأنه بين يدي آية قرآنية، أوحديث متواتر، فقد قال مخاطبا المتوقفين في صحة الحديث: (هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبى عن النبى ﷺ حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربهم صدقة أو بطلانه؟ وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله ﷺ، ووحى الله إليه؟! إن حديث رسول الله ﷺ، برهان قائم بنفسه لا يحتاج إلى دعم خارج عنه، فعلى الأطباء بل والناس جميعاً التسليم بما جاء فى هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين، وإن لم يكونوا كذلك فليزمهم التوقف إن كانوا عقلاء. والمسلم لا يهمه كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب ما دام ثبت عن رسول الله ﷺ) (2)

وقال الألباني: (إن كثيراً من الناس يتوهمون أن هذا الحديث يخالف ما يقرره الأطباء وهو أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم، فإذا وقع في الطعام أو الشراب علقت به تلك الجراثيم والحقيقة أن الحديث لا يخالف الأطباء في ذلك، بل هو يؤيدهم إذ يخبر أن في أحد جناحيه داء، ولكنه يزيد عليهم فيقول: وفي الآخر شفاء، فهذا مما لم يحيطوا بعلمه، فوجب الإيمان به وإن كانوا مسلمين، وإلا فالتوقف إذا كانوا من غيرهم وإن كانوا عقلاء علماء ! ذلك لأن العلم الصحيح يشهد أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه؛ نقول ذلك على افتراض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة وقد اختلفت آراء الأطباء حوله، وقرأت مقالات كثيرة في مجالات مختلفة

1) انظر: فتح البارى 10/263 رقم 5782 وانظر: معالم السنن 5/341-342، وتأويل مختلف الحديث ص 210، 212.

2) انظر:سلسلة الأحاديث الصحيحة،المجلد1/61،وموقف المدرسة العقلية من السنة2/268،269 0

كل يؤيد ما ذهب إليه، تأييداً أو رداً، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث، وأن النبي ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3ـ 4]، ولا يهمنا كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب، لأن الحديث برهان قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي، ومع ذلك فإن النفس تزداد إيماناً حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح)(1)

وبناء على هذا ترك السلفيون تشددهم مع العلوم الحديثة، ومع عرضها على النصوص المقدسة، وراحوا إلى كل قشة يجدوها ليستمسكوا بها في نصره هذا الحديث.

ومن ذلك ما عبر عنه بعضهم بقوله: (وقد شاء ربك العالم بما كان وما يكون أن يظهر سر هذا الحديث، وأن يتوصل بعض نطس الأطباء إلى أن في الذباب مادة قاتلة للميكروب، فيغمسه في الإناء تكون هذه المادة سبباً في إبادة ما يحمله الذباب من الجراثيم التي ربما تكون عالقة به، وبذلك أصبح ما قال العلماء الأقدمون – تجويزاً – حقيقة مقررة)(2)

ولست أدري كيف عرف، وهو الباحث المتخصص في الحديث أن بحثا واحدا أومجموعة أبحاث يمكنها أن تقرر في مثل هذه المسألة الخطيرة، مع العلم أن هناك جراثيم لا حدود لعددها، ومثلها أنواع كثيرة من الذباب، فهل يصدق ذلك مع الجميع؟

ولست أدري هل يمكن أن يجربوا مثل هذه التجارب على أنفسهم، فيغمسوا الذباب في أنواع مختلفة من الميكروبات، ثم يغسمونها في الطعام، لينظروا مدى فاعلية ذلك، قبل أن ينصحوا به الناس، وقبل أن يتكلموا فيه بمثل هذه الأحكام الخطيرة التي قد تتوقف عليها حياة الناس.

---

(1) السلسلة الصحيحة 1/97 - 98.

(2) ذكر الشيخ أبو شهبة أن هذا البحث نشر في مجلة الأزهر عدد رجب لسنة 1378هـ.

لن أسترسل في ذكر ما استدلوا به من أدلة في هذا الباب من بحوث يصفونها بالعلمية، لكننا عندما نبحث في مصادرها لا نجدها كذلك، بل هي أقرب إلى اللغة العاطفية منها إلى اللغة العلمية، وهي أشبه بتلك البحوث التي حاولوا أن يثبوا بها أن الأرض ساكنة، أو الشمس تطوف حولها.

وللأسف، فقد كانت بحوثهم في هذا المجال مدعاة للسخرية من كثيرمن المواقع اللادينية أو التبشيرية وغيرها، وليتها اكتفت بالرد على الحديث، أو على أبي هريرة، بل راحت ترمي رسول الله ﷺ نفسه بالجهل والدعوة للقذارة، وادعاء علم الطب وغيرها من الدعاوى الخطيرة التي جلبها هذا الحديث الذي يكاد يخرب الإسلام من جذوره.

ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه بعضهم في موقع تبشيري تحت عنوان: [الذباب بين العلم والفكر اليهودي والاسلامي]، فمما ورد فيه: (العلم يخبرنا بأن الذباب حشرات ضارة، وهي تعيش في الأماكن القذرة، وتتوالد فيها، وهي عباره عن ماكينه نقل أمراض، فهي تنقل كما ضخما من الأمراض) [1]

ثم راح يثبت ذلك بالأدلة العلمية الكثيرة، وبعدها راح يستعرض ساخرا مما يدعيه أولئك المحدثون الذين تعلقوا بكل قشة ليصححوا الحديث.

ومن ذلك تلك المواقع والمجلات العلمية التي زعموا أنها تردد ما ذهبوا إليه، وكشف أنها كلها ألاعيب وأكاذيب لا حظ لها من العلم.

أبو هريرة.. وعالم البكتريا:

من المغالطات العلمية الخطيرة التي توقعنا فيها أحاديث أبي هريرة المرفوعة لرسول الله ﷺ ذلك الحديث المرتبط

---

1) انظر مقالا علميا بعنوان: [الذباب بين العلم والفكر اليهودي والاسلامي] على الرابط التالي:

http://drghaly.com/articles/display/10660

بعالم البكتريا، وقوانينها، والذي يقول فيـه: (لـولا بنـو إسـرائيل، لم يخبث الطعـام، ولم يخـنز اللحم، ولـولا حـواء لم تخن أنـثى زوجها الدهر)(1)

وهو يحوي مغالطة خطيرة جـدا تخص هـذه العـوالم، فهـو يذكر أنها لم تكن موجودة قبل بني إسرائيل.. أي أن ما يتعـرض لـه الطعـام من تغـير، ومـا يتعـرض لـه اللحم من خـنز لم يكن موجودا قبل بني إسرائيل.

وهذا يعني أحد أمرين: إما أن البكتريا أو الجراثيم أو غيرها لم تكن موجودة أصلا.. أو أنها كانت موجودة، ولكنهـا لا تتعـرض للطعــام أو اللحم حــتى جــاء الإســرائيليون فخزنــوا الطعــام، فعوقب البشر جميعا على سلوكهم هذا.

وقد كان هذا الحديث سببا في تهكم الكثير من الحداثيين وغيرهم على رسول الله ﷺ نفسه أو على راويه، أو على العقول التي قبلته وطالبت جماهيرها بقبوله.

ومن تلك التعليقات قول بعضهم: (اللحم يخنـز ويفسد بسبب البكتيريا وليس بسبب بني إسرائيل، وهذا يعرفه تلاميذ المرحلة الابتدائية، وإن كان هناك رجال دين لا يعرفون ذلك، فهم من يحتاج للتعلم، لا أن يطلبوا من الناس أن يشاركوهم جهلهم. أما أن يكون سبب الزنى هو حواء، فهو اعتقاد يهودي، مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي، أو أنه متأثر بتراث كتب اليهود) (2)

---

1) رواه البخاري رقم (3152)، 3 / 1212، ورقم (3218)، 3 / 1245، ومسلم رقم (1470)، 2 / 1092، وأحمد رقم (8019)، 2 / 304، ورقم (8155)، 2 / 315، ورقم (8581)ـ 2 /ـ 349، وابن حبان في صحيحه رقم (4169)ـ 9 /ـ 477، وأبو عوانـة رقم (4502- 4503) 3 / 143، وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم رقم (3449)، 4 / 143.

2) انظر مقالا في الموضوع بعنوان: نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث [لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً] نشر: مجلة إسلامية المعرفة.

وقال آخر: (فساد اللحم وعفانته لا علاقة له بدين ولا بجهة ولا بلون، وإنما تخضع لعوامل قررها العلم الحديث من بكتيريا وفيروسات وغير ذلك مما هو مقرر عند علماء العلوم الحديثة، ولعل شطر هذه الرواية منتج من منتجات العنصرية الدينية والملّية؛ لأن رائحة التدافع الملّي بين المسلمين وغيرهم خاصة اليهود واضحة وجلية فيه)

وعلى هذا المنوال نجد الكثير من الأقلام التي تستثمر في هذا الحديث لتشوه به النبوة، ومنها مقال نشره موقع (الأقباط) منتدى منظمة أقباط الولايات المتحدة تحت سلسلة (من هو الكذاب)، وبعنوان (لولا اليهود لما وجدت البكتيريا، ولولا حواء لما خانت النساء)، وقد جاء فيه ما يلي: (أمامنا حلقة جديدة من سلسلة: من هو الكذاب! والتي نستعرض فيها أحاديث صحيحة جداً واردة في صحيحي البخاري ومسلم، وهما أعلى كتب الصحاح بالدقة والصحة بعد قرآنهم، في حين أنها تتعارض مع العقل أو المنطق أو التاريخ... وبذلك يضربون بأيديهم أحد مصادر دينهم الموحى بها أي: السنة، وكذلك يهدمون أسس ما يعرف عندهم بعلم الجرح والتعديل، ويشككون بأسانيد الأحاديث الصحيحة ورواتها العدول والثقات... مما يدخل الظن والريبة فيهم جميعاً... مما يجعلنا نطرح هذا السؤال الخطير: من هو الكذاب في الحديث؟ هل أحد الرواة العدول الثقات... أو الصحابي أو محمد نفسه؟)

ثم استعرضوا الحديث، وعقبوا عليه متهكمين بقولهم: (الحديث يحمل اليهود حقيقة فساد اللحم... وأنه لولا أن بني إسرائيل قد خزنوه لما فسد اللحم وتحلل! ويحمل حواء كل خيانات قامت وتقوم بها كل زوجة.!... وهكذا نجد بأن كل مصائب الدنيا تنزل إما على رأس اليهود أو على المرأة. اليهود! والنساء! فهما أساس البلاء عند المسلمين ومصدر كل بلوى ومشكلة! هذا الحديث أوضح نموذج لما يسمى بنظرية المؤامرة! أو مخططات بني صهيون. كما أن كل مصيبة يلقونها على المرأة!)

وراحـوا يفصـلون أكـثر قـائلين بسـخرية: (مسـألة فسـاد اللحم.. بسبب اليهود! تخريف نبوي !حـتى فسـاد اللحم... ألقى محمد سببه على رأس اليهود، وكأن اليهود -بمؤامراتهم الخبيثة- هم من اخـترعوا البكتريـا الـتي تحلـل وتفسـد اللحـوم، أو ربمـا استنسخوها، وهذا يعد هراء علمي بكل المقـاييس... فالبكتيريـا موجودة قبـل الإنسـان... ومـا تسـببه موجـود حـتى قبـل وجـود الحيوانات، فالبكتريا هي أقدم الكائنات الحية على سطح كوكب الأرض، فاللحم كان يفسد بالطبع قبـل أن يوجـد في الـدنيا بنـو إسـرائيل وقبـل إبـراهيم... فمـا يقولـه محمـد مجـرد تشـويش اختلط في ذهنه من جراء ما كـان يسـمعه متنـاثراً مغلوطـاً من التوراة المقدسة دون تأكـد ولا فحص! وأسـأل: من الـذي أخـبر محمد بهذه المعلومة العلمية جداً!؟ هل أخبره بها ربه بالوحي؟ إن كان هذا قد حدث، فهذا يثبت بأن رب محمد لا يدرك أبسـط القواعد الطبيعية عن عمل الجسيمات والإنـزيمات المـؤثرة في الخلية... وتحلل اللحوم وبهذا تسقط ربوبيته...مـع نبـوة رسـوله الأمي المرسل إلى الأعراب الأشد كفراً ونفاقـاً... وجهلاً... وهم أمة لا تكتب ولا تحسـب... كمـا اعـترف محمـد مفـاخراً... فهـل اليهود من أوجدوا البكتريا؟!)

بناء على هذا راح بعض الباحثين المحققين المتنورين يدعو إلى إعادة النظر في قبول مثل هذا الحديث وأمثاله، من أمثـال الدكتور محمد سعيد حوى، الذي تناول هـذا الحـديث في مقالـة له في جريدة الرأي الأردنية، باعتباره نموذجاً للأحاديث الـواردة في الصحيحين، التي تعارض القرآن الكريم، وقد جاء فيه قوله: (من هذه النماذج التي تؤكد ضـرورة التحـري والبحث في بعض أحـاديث الصـحيحين لمعارضـتها لظـاهر كتـاب اللـه حـديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: (لـولا بنـو إسـرائيل لم يَخنْـزَ اللحم (أو قـال الطعـام) ولـولا حـواء لم تخن أنـثى زوجهـا الـدهر).. ففسـاد اللحم مخـالف لمـا يعلم علميـاً من قـانون أجـرى اللـه الكـون وفقـه، بـأن اللحم يفسـد إذا تعـرض للهـواء وغـيره من المؤثرات. ويخالف النص القرآني أيضاً. ومما يدل على مخالفـة هذا النص للقرآن؛ أن القرآن قصَّ لنا قصة الذي أتى على قريـة وهي خاويـة على عروشـها، ولم يـبين القـرآن مـتى ولا من ولا

ممن، ولا يعنينا مطلقاً البحث في ذلك، والشاهد أنه قال له: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259]، أي إن الله أقام أمامه جملة من الآيات الخارقة للعادة، منها حفظ طعامه وشرابه، خلاف العادة مع المكث الطويل، ومنها كيف أراه خلق الحمار ونشز العظام، فلو كان القانون الذي كان سائداً، والذي جرت به العادة أن الطعام لا يفسد، لما كان في ذكر هذه الآية هنا أي معنى. وهكذا أستطيع الجزم بلا تردد - واستغفر الله من أي خطأ- أن هذا من النصوص الإسرائيلية التوراتية، وليست من كلام رسول الله ﷺ أبداً. وسيبقى السؤال الكبير ذي الحرج الشديد والحساسية المفرطة عند المحدثين: كيف تردُ حديثاً روي من أربعة طرق على الأقل عن أبي هريرة وبعضها في الصحيحين؟ ومن أين جاء الخلل إلى هذا الحديث الذي ثبت أنه لا يمكن أن يكون حديثا من كلام رسول الله ﷺ؟ لعلي أستطيع الإجابة عن ذلك فيما بعد)

أبو هريرة.. وسلطة الشيطان:

كما استفاد السلفية من أحاديث أبي هريرة في تفسيرهم للكون والحياة ونحوهما، استفادوا منه في معرفة العلاقة بين الشيطان والإنسان، والتي تضيف أشياء كثيرة جديدة إلى تلك المعاني التي وردت في القرآن الكريم.

ومن أحاديث أبي هريرة التي لها علاقة بهذا، كما أن لها علاقة بمواضع أخرى كثيرة ما رواه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه)(1)

وهذا حديث يذكره السلفية ليبينوا كرامة المسيح وأمه عليهما السلام، وينسون أنه يهين جميع الأنبياء، بل جميع البشر الذين لم يجعل الله للشيطان عليهم أي سبيل، كما قال الله تعالى مخبرا عن قدرات الشيطان، وعلى لسانه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ

(1) رواه أحمد (2/233، رقم 7182)، وابن أبى شيبة (6/288، رقم 31496)، ومسلم (4/1838 رقم 2366)

عَلَيْكُمْ مِنْ سُـلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَـوْتُكُمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُـونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَـرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ (ابراهيم:22)

وهكذا نرى القـرآن الكـريم يحصـر تسـلط الشـيطان على الإنسـان في الوسوسـة ومـا يرتبـط بهـا من الـتزيين والإغـراء والـترغيب والـترهيب.. دون أن يكـون لكـل ذلـك علاقـة بجسـد الإنسان، كما قال تعالى: يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّـيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً (النساء:120)، وقال تعالى: فَلَوْلا إِذْ جَـاءَهُمْ بَأْسُـنَا تَضَـرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَـتْ قُلُـوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّـيْطَانُ مَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام:43) وقال تعالى: فَوَسْـوَسَ لَهُمَـا الشَّـيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَـا نَهَاكُمَـا رَبُّكُمَـا عَنْ هَـذِهِ الشَّـجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَـا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَـا مِنَ الْخَالِـدِينَ (لأعراف:20)، وقال تعالى: فَوَسْـوَسَ إِلَيْـهِ الشَّـيْطَانُ قَـالَ يَـا آدَمُ هَـلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَـجَرَةِ الْخُلْـدِ وَمُلْـكٍ لا يَبْلَى (طـه:120)، وغيرها من الآيات الكريمة.

لكن ذلك النص الذي رووه عن أبي هريرة يخرب كـل تلـك المعاني، ويجعل للشيطان سلطة على جسـد الإنسـان، كمـا أن له القدرة على التواصل مع روحه.

وبناء على هذا راحوا يفسرون الكثير من الأمراض الحسية بعلاقتهـا بالشـيطان، وكمثـال على تلـك الفتوحـات الـتي فتحت للسـلفية من وراء حـديث أبي هريـرة هـذا، بحث تحت عنـوان [الشيطان وعلاقته بالثدي والرضاعة]، وقد قـال صـاحب البحث في مقدمـة بحثـه: (تكلمنـا في المراحـل السـابقة عن علاقـة الشيطان بالإنسان منذ كان حيوانا منويا يسبح في بحـيرة هائلـة من السـائل، والـذي يعـد غـذاؤه في هـذه المرحلـة الأولى، ثم انتقلنا إلى المرحلة التالي وهو جنين في بطن أمـه يتغـذى عـل مـا تجـود بـه المشـيمة ذلـك الجهـاز العملاق العجيب الصـنع، وانتقلنـا في الدراسـة والبحث إلى خـط سـير المـواد السـحرية دخل جسم الإنسان، وكيـف يتحـرك معهـا الشـيطان للسـيطرة على آلة الجسـم الهائلـة، واليـوم على التـوالي نبـدا لنتكلم في

مرحلــة مــا بعــد الــولادة إلى مرحلــة الفطــام، ألا وهي مرحلــة الرضاعة، وعلاقة الشيطان بالثدي ولبن الرضاعة وكيف يسيطر الشيطان على غذاء الوليد)[1]

ثم راح يــبين أهميــة الدراســة، وأنهــا تســاعدنا (على فهم عمل الشــيطان وتــأثيره في رضــاعة الطفــل خصوصــا، وتحديــد أمــاكن تجمــع أســحارهم داخلــه، حيث تتواجــد معظم العقــد الليمفية خاصة عند الإبــط، أمــا بالنســبة للعلاج الروحــاني؛ فهي تساعد على تحديد موضع إجراء (الحجامة الجافة)، للتخلص من الأورام الحميدة والخبيثة قبل بداية نشأتها، هذا إلى جانب تواجد الغدد اللبنية، ويعرف ذلك بوجود آلام تبدو طفيفة قبــل الضــغط عليها للتأكد من وجودها..)

إلى آخر الدراسة الطويلة الــتي فتحهــا حــديث أبــو هريــرة لهؤلاء الدجالين الذين عز عليهم أن يجتهدوا مثلما اجتهد غــيرهم في البحث العلمي، فراحوا يرجمون بظنونهم، ويســتعينون بكــل خرافة لتأييد ذلك.

وبناء على هذا فتح السلفية الكثير من عيادات الدجل تحت اسم الرقية لعلاج جميع أنواع الأمراض الحســية والنفســية بكــل ما تعلموه من سلفهم، وخصوصا ابن تيمية من أنواع الشعوذة.

ولم يكتفــوا بالاســتفادة العمليــة من الحــديث، بــل راحــوا يضمون إليه معارف أخرى يفسرون بها ســبب اســتهلال الصــبي صارخا عند مولــده، وهم ينقلــون في ذلــك عن ابن القيم قولــه: (فإن قيل: فما السبب في بكاء الصبي حالــة خروجــه إلى هــذه الدار؟ قيل: ههنا سببان: سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الأطباء؛ وسبب ظاهر. فأما السبب البــاطن: فــإن اللــه سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شــيطانا، فشيطان المولود قد خنس ينتظر خروجــه ليقارنــه ويتوكــل بــه، فإذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته تحرقا عليــه،

---

[1] انظر مقالا بعنوان: الشيطان وعلاقتــه بالثــدي والرضــاعة، الكــاتب: بهــاء الــدين شلبي.

وتغيظا، واستقبالا لـه بالعـداوة الـتي كـانت بين الأبـوين قـديما، فيبكي المولـود من تلـك الطعنـة، ولـو آمن زنادقـة الأطبـاء والطبائعيين بالله ورسوله لم يجـدوا عنـدهم مـا يبطـل ذلـك ولا يرده، وقـد ثبت في صـحيح مسـلم عن أبي هريـرة: قـال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: صياح المولود حين يقع نزغـة من الشيطان. وفي الصحيحين من حديثه أيضا قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم: ما من مولـود يولـد إلا نخسـه الشـيطان فيستهل صارخا من مس الشـيطان إيـاه. وفي لفـظ آخـر: كـل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولادته؛ إلا مريم وابنها. وفي لفـظ البخاري: كـل بـني آدم يطعن الشـيطان في جنبـه بأصـبعه حين يولـد غـير عيسـى بن مـريم ذهب يطعن فطعن في الحجـاب. والسـبب الظـاهر الـذي لا تخـبر الرسـل بأمثالـه لرخصـه عنـد الناس، ومعرفتهم له من غيرهم هو: مفارقته المـألوف والعـادة التي كان فيها إلى أمر غـريب، فإنـه ينتقـل من جسـم حـار إلى هـواء بـارد، ومكـان لم يألفـه، فيسـتوحش من مفارقتـه وطنـه ومألفه)[1]

بالإضـافة إلى هـذا كلـه فـإن الحـديث يتعـارض مـع قولـه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْـوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ﴾ [الحجـر: 39، 40]، وقد اتفقت الأمة جميعا على أن جميع رسـل اللـه صـلوات اللـه وسلامه عليهم من المخلصين الذين لا يطيق الشيطان الاقتراب منهم أو إغـواءهم، وهـذا الحـديث يتعـارض مـع ذلـك المعـنى، ويجعل للشيطان سلطة على الجميع.

وقد كان هذا من الأسباب التي جعلت جار الله الزمخشري يطعن في الحـديث، كمـا ذكـر ابن حجـر ذلـك في قولـه: (وقـد طعن صـاحب الكشـاف في معـنى هـذا الحـديث، وتوقـف في صحته، فقال إن صح هذا الحديث فمعنـاه أن كـل مولـود يطمـع الشيطان في إغوائـه إلا مـريم وابنهـا، فإنهمـا كانـا معصـومين، وكـذلك من كـان في صـفتهما لقولـه تعـالى: ﴿قَـالَ رَبِّ بِمَـا

1) التبيان في أقسام القرآن (ص: 360)

أَغْـــوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْـــوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: 39،ـ 40].. واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه، ويقول هذا ممن أغويه، وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا، ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا) (1)

أبو هريرة.. وعلم الحيوان:

من العلوم التي اهتمت بها روايات أبي هريرة [علم الحيوان]، والإبداع الذي جاءت به روايته في هذا المجال، وهي مما اتفق عليه البخاري ومسلم، هي عكس ما تنص عليه نظرية داروين التي ترى بأن الإنسان تطور من حيوان.. لكن حديث أبي هريرة ينص على أن من الحيوانات من كان أصله إنسانا.

والحيوان الذي ذكره كنموذج لهذه الظاهرة الغريبة في علم الحيوان هو الفأر.. وقد استدل له بالمنهج التجريبي المعتمد في أمثال هذه البحوث.

وكم تمنينا لو أن أبا هريرة احتفظ ببراءة هذا الاكتشاف العظيم لنفسه، ولم ينسبه إلى رسول الله ﷺ.. إذن لما اهتممنا بالأمر، ولعددناه من جملة الخرافات التي تلقاها من أستاذه الكبير البروفيسور كعب الأحبار.. ولكنه للأسف راح ينسبها إلى رسول الله ﷺ نفسه ليشوهه تشويها عظيما من خلالها.

والرواية هي ما رواه محمد بن سيرين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (فقدت أمة من بني إسرائيل، لم يدر ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر، ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لا تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته)، قال أبو هريرة: حدثت بهذا الحديث كعبا، فقال: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، فقال لي ذلك مرارا، فقلت: أتقرأ التوراة؟!) (2)

---

1) فتح الباري لابن حجر (8/ 212)

وفي رواية: قال: (فقد سبط من بني إسرائيل، وذكر الفأرة، فقال: ألا ترى أنك لو أدنيت منها لبن الإبل لم تقربه، وإن قربت إليها لبن الغنم شربته)، قال: أكذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: أفأقرأ التوراة؟!.

وفي رواية، قال: (الفأرة مما مسخ، وآية ذلك أنه يوضع لها لبن اللقاح فلا تقربه، وإذا وضع لها لبن الغنم أصابت منه)، قال: فقال له كعب: سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: (فأنزلت علي التوراة!!)

وموقف السلفية من هذا الحديث عجيب جدا، وهو دليل على تعظيمهم لأبي هريرة وغيره من الصحابة أكثر من تعظيمهم لرسول الله ﷺ نفسه.

ذلك أنه يتناقض ويتعارض معارضة تامة مع حديث آخر يروونه، وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله. قال: قالت أم حبيبة، زوج النبي ﷺ: (اللهم أمتعني بزوجي، رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: (قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودات، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئا قبل حله،أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرا وأفضل)، قال: وذكرت عنده القردة. قال مسعر: وأراه قال: والخنازير من مسخ. فقال: (إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً. وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك)[1]

ومن البديهيات عند العلماء جميعا، بما فيهم أعلام السلفية أنفسهم أنه لا يقع التعارض بين الأخبار؛ لأنه لو تعارض خبران كان أحدهما كذباً لا محالة، كما صرح بذلك الطيب الطبري في

2) رواه أحمد (2/234، رقم 7196)، والبخارى (3/1203، رقم 3129)، ومسلم (4/2294، رقم 2997) وأبو يعلى (10/420، رقم 6031)، والديلمى (3/126، رقم 4340)، وغيرهم.

1) فتح الباري 353/6.

قوله: (كل خبرين عُلِم أن النبي ﷺ تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهراهما متعارضين... لأنه يوجب كون أحدهما صدقاً والآخر كذباً إن كانا خبرين؛ والنبي ﷺ منزَّه عن ذلك، ومعصوم باتفاق كلِّ مثبت للنبوة)(1)

ومثله قال ابن قدامة في [روضة الناظر]، وهو كتاب معتمد عند الكثير من السلفيين: (اعلم أن التعارض هو التناقض؛ ولا يجوز ذلك في خبرين؛ لأن خبر الله تعالى ورسوله ﷺ لا يكون كذباً؛ فإن وُجِدَ ذلك في حكمين، فإما أن يكون أحدهما كذباً من الراوي، أو يكون الجمع بينهما بالتنزيل على حالين، أو في زمانين، أو يكون أحدهما منسوخاً)(2)

وقد كان بإمكان السلفية بعد تعرفهم على التعارض الموجود بين هذين الحديثين أن يستدلوا على منهج أبي هريرة في الرواية، وكان يمكنهم لو كانوا أشجع وأجرأ أن يرفعوه من خانة الرواة الثقاة.. لكنهم للأسف لم يفعلوا.

وعندما التمسوا حلا لدرء التعارض أدى بهم إلى أن المخطئ في الحديث ليس أبا هريرة، وإنما رسول الله ﷺ نفسه.. ذلك أنهم كما يذكرون: اجتهد في ذلك، ولم يقل عن علم أو وحي..

وقد عبر عن هذا المعنى الشيخ عبد العزيز الراجحي، فقال ـ تعليقا على الحديث ـ: (يعني: أن الفأر مسخ، لأمة من بني إسرائيل مسخوا فأرا، وهذا قاله النبي ﷺ بظنه واجتهاده، حيث قال: ولا أراها -بضم الهمزة- أي: أظنها. وهذا قاله قبل أن يوحى إليه أن الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام، وإنما مسخ بنو إسرائيل قردة وخنازير ثم لم يعيشوا أكثر من ثلاثة أيام كما قال الله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أما الفأر فهو أمة من الأمم، وكذا القردة أمة، وكذا

---

1) الكفاية في علم الرواية: ص 606.

2) روضة الناظر: (2/208)

الخنازير والكلاب أمة، أما الممسوخون فإنهم لم يكن لهم نسل ولا عقب، بل ماتوا بعد ثلاثة أيام)[1]

وقبله قال بن حجر: (وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال أن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقباً وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا أراها إلا الفأر وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي) [2]

وهذا التعليل السلفي المشوه لرسول الله ﷺ عجيب جدا، لأنه يتناقض مع كل تلك القيم التي دعا إليها لقرآن الكريم، وقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن.

وأولها تناقضه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]

ويتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، 4]

ويتناقض مع كل تلك الأحاديث الصحيحة المتواترة، التي سبق ذكرها، والتي تبين أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا حقا، ومنها قوله ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو، قال: قلت: يا رسول الله، إنى أسمع منك أشياء أفأكتبها؟ قال: نعم. قلت: فى الغضب والرضا؟ قال: (نعم، فإنى لا أقول فيهما إلا حقا)[3]

ومن الأحاديث التي رواها أبو هريرة، والتي ترتبط بعالم

---

1) انظر موقعه على النت.

2) فتح الباري 353/6.

3) هذا الحديث ورواياته التالية في: أحمد (2/162، (6510) و(2/192، (6802). والدارمي (490) وأبو داود (3646)، وابن خزيمة (2280)، وغيرهم.

الحيوان ما حدث به عن رسول الله ﷺ أنه قال: (صوت الديك وضربه بجناحه ركوعه وسجوده)[1]

ومنها ذلك الحديث الذي يستشهد به السلفية في بيان فضائل أبي بكر وعمر، ونصه كما يرويه أبو هريرة، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: بينا رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنا خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله! بقرة تكلم؟ فقال: إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثم، ثم قال ﷺ: (بينما راع في غنمه، عدا الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال [له]: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله! فقال رسول الله ﷺ: (فإني أومن به، وأبو بكر وعمر)، وما ثم أبو بكر وعمر[2].

والحديث واضح في كونه من الأحاديث التي تقرب بها أبو هريرة لبني أمية الذين اهتموا بالرفع من شأن أبي بكر وعمر على حساب باقي الصحابة السابقين..

ولا يدري السلفية أنهم بتأييدهم لهذا الحديث ونشرهم له، يتهمون باقي الصحابة في التوقف عما يخبرهم به رسول الله ﷺ من أخبار الغيب.. فهل يمكن لمثل بلال وعمار وخباب وأبي ذر وغيرهم من الذين أوذوا في الله أن ينكروا شيئا قاله رسول الله ﷺ خاصة مع هذا الأمر البسيط، وهم يعلمون أن قدرة الله لا يحدها شيء.

ولعل تخصيصه عمر بن الخطاب بتحديث الملائكة له دون سائر الصحابة يدخل في هذا الباب، لأن الفئة الباغية تعظم

---

1) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (5/ 1760)

2) رواه البخاري 7 /ـ 42 في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم رقم (2388) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، والترمذي رقم (3681) و(3696) في المناقب، باب مناقب أبي بكر، وباب مناقب عمر بن الخطاب.

عمر أكثر من غيره من الصحابة، بل تعتبره ولي نعمتها، فهو الذي ولى معاوية على الشام، ولذلك بالغت كثيرا في تفضيله حتى على من سبقه إلى الإسلام من الصحابة متخلين عن نظريتهم في كون الأفضل هو الأسبق.

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر)(1)

ومثله ذلك أحاديثه المرتبطة بمناقب عثمان، ومنها قوله سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا)، أو قال: (اختلافا وفتنة)، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: (عليكم بالأمين وأصحابه)، وهو يشير إلى عثمان بذلك(2).

ولا شك أن أصحابه الذين يقصدهم هنا هم مروان ومعاوية وغيرهما من الفئة الباغية.

أبو هريرة.. ومراحل الخلق:

من الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تكفي أصحاب العقول المفعلة في الشك في أحاديث أبي هريرة، ذلك الحديث الذي رواه مسلم عنه، قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) (3)

---

1) رواه البخاري في باب (مناقب عمر) في: 2/194 من صحيحه.

2) أحمد 2/344 (8522)

3) مسلم (2789)

ومع كون الحديث رواه مسلم في صحيحه، ومع كون أبي هريرة يقول فيه: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي) إلا أن الكثير من سلف السلفية وخلفهم يؤكدون أن الحديث ليس مرفوعا لرسول الله ﷺ، وإنما هو موقوف على أبي هريرة، وأنا أبا هريرة بدل أن يقول: أخذ كعب الأحبار بيدي، قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي.

والسبب في إنكارهم لرفع الحديث هو كونه متعارضا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]، بينما هذا الحديث يجعل الأيام سبعة.

وليتهم طبقوا هذه القاعدة مع سائر أحاديثه.. وليتهم طبقوها مع جميع أحاديث رسول الله ﷺ التي تتعارض مع القرآن الكريم.. لكنهم لا يفعلون ذلك، ولا يتركون من يفعل، لأن الدين مبني عندهم على المزاج وعلى الرجال، لا على الحقائق.

وأنا موقن تماما أنه لولا تشكيك البخاري في الحديث لما تجرأ أحد منهم على التشكيك.. بل إنهم سيحاولون حينها، وبكل صنوف الحيل الجمع بينه وبين الآيات الكريمة.. وإذا اضطروا إلى التكذيب، فإنهم سيكذبون رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه أخطأ في اجتهاده، مثلما فعلوا مع حديث الفأر.

والعجب ليس في هذا كله، وإنما في بعض ردود السلفية المعاصرين على مقتضيات الحديث التي تتنافى مع كل ما اكتشفه العلم الحديث في شأن مراحل الخلق.

فقد قال مجيبا على إشكال حول ذلك: (إذا لم يثبت أن هذا الحديث قد قاله الرسول ﷺ فلا ننشغل بكلام الملحدين عليه، لأن الجدال إنما يكون في شيء قد ثبت أنه من الدين، وهذا الحديث ليس كذلك.. وعلى افتراض صحته وثبوته: فخلق الشجر يوم الاثنين لا ينافي خلق النور يوم الأربعاء، ومن زعم أنه ينافيه لاحتياج الشجر إلى النور للنمو فقوله غير صحيح، لما

يـأتي: أن هـذا خلـق اللـه، يخلـق مـا يشـاء، فلا تحكمـه قـوانين الطبيعة لأنه سبحانه على كل شيء قدير، وقد خلق هذا الخلـق الهائـل من العـدم، وهـذا خلاف على خلاف مـا يعهـده النـاس ويعلمونه.. وهذه القوانين التي تحكم الكون والمخلوقـات كلهـا، الذي جعلها قوانين ثابتـة مطـردة هـو اللـه تعـالى، فـإذا أراد أن يفعل شيئا خلاف هذه القـوانين فمشـيئته تعـالى نافـذة لا يقـف أمامها شيء، وقد فعل الله تعالى ذلك، عملناه وعلمـه النـاس.. وأيضا لا يمكن - عن طريق العلم الحـديث أو غـيره - إثبـات أن أول الخلق كانت تحكمه القـوانين الـتي يعرفهـا النـاس لأن كـل هذه المخلوقات ؛ السـموات والأرض والجبـال والبحـار والبشـر والحيوانات والنباتات... إلخ، كل ذلك قد وجد من عدم، فلم يمر بمراحل خاضعة لقوانين معينة حتى وجد على هذه الصورة)[1]

وهكذا نراهم يحـاربون العلم ومكتشـفاته، ويـدافعون حـتى على مــا ثبت لــديهم بالــدليل القــاطع أنــه من الإســرائيليات المكذوبة.. وهل هناك جهل مركب أكثر من هذا؟

1) انظر موقع: الإسلام سؤال وجواب، للشيخ محمد الصـالح المنجـد، سـؤال: كيـف خلق الله الشجر قبل أن يخلق النور، مع أن الشجر يحتاج إلى النور لنموه؟

هذا الكتاب

لا نريـــد من خلال هـــذا البحث رمي أحـــاديث أبي هريرة، ولا طرحها، ولا تكذيبها جميعـا، وإنمـا نـدعو إلى تمحيصـها حـتى نمـيز السـم عن العسـل، والصـدق عن الكذب، والإلهي عن البشري، والمقدس عن المدنس.

ذلك أن الكثير من الروايات التي رواهـا أبـو هريـرة نجدها مروية من طـرق غـيره من الصـحابة، بـل نجـدها عند الشيعة أو غـيرهم من فـرق المسـلمين بأسـانيدهم الخاصة بهم.

لكن غيرها، وخاصة مما اختص بـه، نحتـاج فيـه إلى تحقيـق كبـير، ذلـك أن أبـا هريـرة لم يكن من الصـحابة السـابقين، ولا من الـذين اكتفـوا بالتلمـذة على رسـول اللـه ﷺ.. بـل كـان تلميـذا نجيبـا لغـيره، وخاصـة لكعب الأحبار، ولذلك اختلطت ـ باتفـاق العلمـاء والمحـدثين ـ أحاديثه الـتي رواهـا عن كعب بأحاديثـه الـتي رواهـا عن رسول الله ﷺ، وكان له فـوق ذلـك اجتهاداتـه في بعض روايات الحديث، حيث كان يروي الحديث، ثم يضيف لـه بعض الإضافات التي يسميها العلماء إدراجا، ويعبر عنهـا هو بأنها من كيسه..